جامعة الجزائر-02-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

السودان الغربي في المصادر المغربية
(1493 – 1612 م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث

إعداد الطالبــة:
- حفيظة معمر

إشراف الأستاذ:
- أ.د: بن يوسف تلمساني

الموسم الجامعي:2011/2010م.

جامعة الجزائر-2-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

السودان الغربي في المصادر المغربية

(1493 – 1612 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث

إعداد الطالبة:
حفيظة معمر

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د فلة موساوي القشاعي	رئيسا
أ.د بن يوسف تلمساني	مشرفا و مقررا
أ.د منصف بكاي	عضو ا

الموسم الجامعي:2011/2010م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من أوصاني ربي إليهما بالإحسان إلى من أدعو إليهما بالرحمة كما ربياني إلى أعظم جوهرتين وهبهما لي الكريم الديان ... إليكما والدي العزيزان الكريمان حفظكما الله

إلى كل أفراد العائلة.

إلى كل من شجعني ولو بكلمة طيبة ، واستعجل بالسؤال شوقا ليرى هذا العمل يكتمل ...

حفيظة.

كلمة شكر

أحمد الله كثيرا طيّبا وأشكره على توفيقه لي في إتمام هذا العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي المشرف الدكتور : تلمساني بن يوسف على جميل صبره الطويل معي وإرشاداته ونصائحه لي .

كما أشكر جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2 خاصة الذين درسوني .

وإلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل .

قائمة المختصرات

أ/باللغةالعربية:

ت : توفي .

ج: الجزء .

د.ت.ن : دون تاريخ النشر .

ص : صفحة .

ص ص: صفحات .

ط: طبعة.

ع: العدد.

ق: القرن .

م: التاريخ الميلادي.

مج: مجلد.

هـ: التاريخ الهجري.

ب/ باللغة الفرنسية:

IFAN : Institut Français de l'Afrique Noir.

P: Page.

P P:Les Pages.

T: Tome.

V: Volume.

المقدمة

يعتبر العرب أول من أرّخ لإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ومنهم: المقريزي، والمسعودي، وابن حوقل، والبكري، والإدريسي...و قد أثني العديد من الباحثين المعاصرين على أهمية المعلومات التي حملها هؤلاء عن المنطقة محل الدراسة، هذا وقام عدد من الباحثين الأوروبيين بعدة دراسات حول هذه المصادر ونقدها ومن هذه الدراسات:

- دراسة جوزيف كيوك (JOSPH CUOQ) في كتابه:

Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale du VIII^{e} au XVI^{e} siècle -bilad al sudan -

- ودراسة أندري ميكال (ANDRE MIQUEL) في كتابه:

La géographie humaine du monde musulman jusqu' au milieu du 11 siècle.

- ودراسة جون دوفيس (JEAN DEVISSE):

Comment restitue-t-on l'histoire des relations transsahariennes ?

وغيرها من الدراسات التي اهتمت بالمنطقة المدروسة خاصة في فترة العصور الوسطى والتي كان الأوربيون يجهلونها، وعليه فإن أغلب معلوماتهم استقوها من المصادر العربية بعد نقدها لاستخلاص الحقائق، مما زاد من مصداقية المصادر العربية، وهذا ما استدعى اهتمامي لتناول مثل هذه المواضيع، رغم الصعوبة التي تكتنفها خاصة في هذه المرحلة من الدراسات العليا، حيث تستلزم الكثير من الخبرة والاطلاع الواسع حول جغرافية المنطقة المدروسة البشرية والسياسية، ومختلف التغيرات التي طرأت عليها، ولا يكون ذلك إلا بالاطلاع الشامل على مختلف المصادر والمراجع التي تطرقت لتاريخ هذه المنطقة مع توفر ما يسمى بالنظرة الثاقبة، والروح النقدية للباحث حتى يستطيع أن يقترب من الحقائق التاريخية.

رغم ذلك فإن ميلي الشخصي و تشجيع أستاذي المشرف هو الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع: **السودان الغربي في المصادر المغربية (1493-1612م)**، ووقع الاختيار على دراسة المصادر المغربية وذلك لأهميتها خصوصا في الجزء المتعلق بالعلاقات التي ربطت المغرب الأقصى بالسودان

الغربي، والمراحل التي مرت بها (ودية ومتوترة)، وإلى أين انتهت هذه العلاقات، اعتمادا على جملة من المصادر قصد إجراء دراسة نقدية لما هو متداول في المصادر المغربية، وذلك لمحاولة تقييم موضوعيتها خلال الفترة المدروسة هذا من جهة.

أما من جهة ثانية يمثل تاريخ **1493**م بداية جديدة في تاريخ السودان الغربي، بظهور الأساكيين على عرش مملكة سنغي كأكبر قوة سياسية بالمنطقة، عرفت خلالها أزهى فتراتها على ضوء ما تناولته الكتابات، كما تبرز الاهتمامات الأولى للمغاربة بالسودان الغربي، لكن لظروف سياسية داخلية جعلتهم يصرفون الاهتمام عنها. كما وقع في هذه الفترة حدث تاريخي مهم بالنسبة للمنطقة في سنة**1591**م وهو الحملة المغربية على السودان الغربي، هذا الحدث استأثر باهتمام المغاربة وغيرهم و تباينت وجهات النظر حوله.

أما تاريخ **1612**م فيمثل نهاية حكم آخر باشا مرسل من المغرب وذلك بعد عزله وإعلان الباشاوات العصيان عن السلطة المركزية بمراكش و نهاية الحكم المغربي المباشر على المنطقة والذي كان نتيجة لعدة أسباب.

أما السبب الآخر لاختيار هذه الفترة هو محاولة للتمكن من تقييم الآثار الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي خلفها المغاربة عندما حلوا بالمنطقة، وذلك بمقارنتها بما كانت عليه قبل الاحتلال المغربي.

و لمعالجة الموضوع والوصول إلى إستنتجات ومقاربات تاريخية طرحت إشكالية عامة تتمحور حول:

- ما مدى موضوعية المصادر المغربية المعتمدة؟

تتفرع عنها عدة إشكاليات جزئية هي:

- ما هي جذور العلاقات التي ربطت المنطقة ببلدان الشمال الإفريقي، وما طبيعتها وفيما تمثلت مظاهر التأثير والتأثر؟

- كيف طرحت المصادر المغربية المعتمدة واقع المجتمعات السودانية؟

- ما مدى تباين أو توافق نظرة كل من المؤلفات المغربية والسودانية لحملة أحمد المنصور الذهبي سنة1591م على بلاد السودان الغربي ؟ و ماهي المبررات؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على منهج تاريخي تحليلي، و محاولة نقد بعض الأطروحات غير الموضوعية اعتمادا على مصادر ودراسات حديثة عدنا إليها وفق خطة منهجية مبنية على مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة مذيلة بملاحق و بيبلوغرافيا وفهرس للموضوعات.

الفصل الأول: التعريف بالسودان الغربي والمصادر المغربية محل الدراسة: تطرقت فيه إلى جغرافية السودان، وأصل التسمية، والمؤهلات التي جعلته محطة لاستقطاب التجمعات البشرية، وتركيبته، مع ذكر أهم الكيانات السياسية التي قامت به، وعلاقاته الخارجية مع بلدان شمال إفريقيا والآثار الناجمة عنها،كما عرفت المصادر المعتمدة من حيث الشكل والمضمون.

الفصل الثاني: الوضع السياسي للسودان الغربي في 1493-1612 من خلال المصادر المغربية محل الدراسة: تناولت فيه السودان الغربي من بداية حكم الأساكيين (**1493م**).كما عالجت فيه أيضا الاحتلال المغربي للسودان الغربي (**1591-1612م**).

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للسودان الغربي و الآثار المغربية عليها من خلال المصادر المغربية محل الدراسة.

كما حاولت في الخاتمة الوقوف عند أهم النقاط والاستنتاجات المتوصل إليها.

و لمعالجة الموضوع و إثرائه اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع العربية، والسودانية، والأجنبية، منها ما هو سابق للفترة المدروسة مثل: **المسالك والممالك** لمؤلفه أبو عبيد الله البكري (**ق 5ه/11م**)، **المسالك والممالك** للإصطخري، و**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** للإدريسي(**ق 12م**)، **والعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر** لابن خلدون (**ق 14م**)، و**صبح الأعشى في صناعة الإنشا** للقلقشندى(**ق15م**).

أما أهم المصادر السودانية (نسبة إلى منطقة السودان) التي تم الاعتماد عليها منها: كتاب **تاريخ الفتاش** لمحمود كعت (**1468 – 1593 م**) فهو يبحث في فترة حكم الأسكيين وحوالي ستة سنوات من الحكم المغربي ببلاد السودان، كتاب **تاريخ السودان** لعبد الرحمان السعدي(**1596 م – 1656 م**) وكتابي: **نيل الابتهاج**، وذيْلِه:**كفاية المحتاج لأحمد بابا التنبكتي**، وكتاب: **فتح الشكور لمعرفة أعيان علماء التكرور** لمؤلفه البرتلى الولاتي. هذه الكتب الثلاثة الأخيرة أفادتني كثيرا في دراسة الجانب الثقافي بالسودان الغربي.

أما عن المراجع الحديثة فمنها:كتاب **مؤرخو الشرفاء** لليفي بروفنصال وهو دراسة نقدية قام بها المؤلف على الكتابات المغربية التي أرخت للشرفاء المغاربة السعديين والعلويين في العصور الحديثة والمعاصرة وهي دراسة جد قيمة، كذلك كتاب **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث** لمحمد المنوني، وهو الآخر جد مهم في التعرف على المصادر التي أرخت للمغرب، وكتاب: **السياسة والمجتمع في العصر السعدي** لإبراهيم حركات، وكتاب:**الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية** لقاسم جمال، كما اعتمدت على كتاب: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 – 1591 م** لعبد القادر زبادية، وكتاب محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، وهذان الكتابان ساعداني كثيرا في مقارنة التغيرات التي طرأت على المنطقة المدروسة عقب الاحتلال المغربي لها. وكتاب: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/السادس عشر والسابع عشر للميلاد– دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي–** لمطير سعد غيث، وتم الاستفادة من هذا الكتاب بصفة خاصة في التعرف على الحياة الثقافية بالمنطقة، و كتاب:**إفريقيا تحت أضواء جديدة** لبازل دافدسن وكتاب:**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر** للهادي مبروك الدالي هذا عن المراجع باللغة العربية، أما المراجع بالغة الأجنبية فمنها:

–Tableau géographique de l'ouest Africain au Moyne âge

لرايموند مونيي(Raymond Mauny)

–l'Afrique noire dans les relations internationales au 16e siècle –analyse de la crise entre le Maroc et le Songhaï – **لإيسيفو زاكاري دراماني** (Issifou Zakari Dramanni)

–<<la conquête du soudan par El Mansour 1591>>

لهنري دي كاستري (Henri De Castries)

–A History of Islam in west Africa(لسبنسر ترمنغهام (Spencer Trimingham)

و كتاب:

–Ahmed baba de Tombouctou 1556–1627 Sa vie et son œuvre(–Zouber. M. A)**زوبير عبدو محمود**

و غيرها من المراجع سيتم التعرف عليها في الدراسة.

واجهتني عدة صعوبات خلال إنجازي لهذا البحث منها طبيعة الموضوع المتناول، و ما يستلزم من توفر رصيد معرفي كبير عن المنطقة، والإلمام بكل المصادر والمراجع بمختلف اللغات التي كتبت عنها، وقد كان للأستاذ المشرف دور كبير في تذييل هذه الصعوبات.

كما أن لغة وأسلوب كتابة مصادر هذه المرحلة صعّبت نوعا ما في استخلاص الحقائق التاريخية المتعلقة بمواضيع المنطقة المدروسة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تفرّق المعلومات المتعلقة بنقطة معينة عبر عدة صفحات من الكتاب، مما استدعى إعادة تفكيكها وتركيبها من جديد وذلك حتى يتسنى وضع خطة للموضوع المتناول.

و في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور تلمساني بن يوسف، على توجيهاته لي، و صبره الطويل فشكرا يا أستاذي ونعم الأستاذ أنت.

الفصل الأول: التعريف بالسودان الغربي والمصادر المغربية محل الدراسة

- أولا التعريف بالسودان الغربي:

1-الجغرافية والمصطلح.

2- مؤهلاته الطبيعية.

3- تركيبته البشرية.

4- أهم الكيانات السياسة والعلاقات الخارجية.

- ثانيا التعريف بالمصادر المغربية محل الدراسة:

1- كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان المعروف بـ ليون الإفريقي.

2- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا لعبد العزيز الفشتالي.

3- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الوفراني.

4- تأريخ الدولة السعدية الدرعية التكمادرتية لمؤلف مجهول.

5- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور لابن القاضي.

6-كتاب رسائل سعدية.

قبل التطرق لأحداث جرت في منطقة ما لابد أن نعرف موقع هذه المنطقة، حدودها الجغرافية، مميزاتها (مؤهلاتها)، والتي جعلتها موقع استقطاب التجمعات البشرية المختلفة وذلك باعتبارها المسرح

الذي جرت عليه الأحداث التي بطبيعة الحال لا تقف جامدة تجاه النشاطات الإنسانية التي تجري عليها بل تؤدي دورا مهما بما توفره من فرص للتفاعل بين التيارات الوافدة والمقيمة الذي سيكون حتما له انعكاسات على حياة الإنسان في المنطقة، ثم دراسة الأجناس التي صنعت تلك الأحداث، لننتقل بعد ذلك إلى التعريف بالمصادر المغربية محل الدراسة وعرض أهم ما حملته خاصة ذلك الشق المتعلق بالسودان الغربي في الفترة المعنية بالدراسة في كافة الجوانب.

أولا التعريف بالسودان الغربي :

1- الجغرافية والمصطلح:

اصطلح الجُغرافيون، والمؤرخون، والرحالة العرب المسلمون في العصور الوسطى على تسمية المناطق الواقعة جنوب الصحراء الإفريقية الكبرى وشمال خط الاستواء اسم بلاد السودان، حيث وصفها الإصطخري(ت340هـ) بقوله: >>......**فإن بلاد السودان الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنف ليس بينه وبين شيء من المماليك اتصال غير أن حدا له ينتهي إلى البحر المحيط وحدا له بينه وبين أرض المغرب وحدا له بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات، وحدا له ينتهي إلى برية**<<[1]، ووصفها البكري(عاش في القرن 5هـ/11م) : >>... **أول بلاد السودان....جبال ورم العظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق** .....<<[2]، أما القلقشندى(**ت1418م**) فقد حددها بنفس الحدود تقريبا[3].

أما في بداية العصور الحديثة القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي حددها الحسن الوزان [4] بقوله: >>.... **أرض السودان، فيبتدئ شرقا بمملكة كاوكة، و يمتد غربا إلى مملكة ولاتة،**

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي(الإصطخرى):**المسالك والممالك**،تحقيق : محمد جابر عبد العالي الحينى، دار القلم، مصر، 1961م ص ص:10،11.

[2] أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (البكري): **المسالك والممالك**، جزءان، تحقيق: أدريان فان كيوفن، وأندري فيري، الدار العربية، تونس،1992م، ج:2، ص :837.

[3] أبو العباس أحمد (القلقشندى) : **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 15جزء، المؤسسة الوطنية المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج:5،ص :273.

[4] أنظر: ترجمته في المبحث الموالي، ص:36، هامش رقم :2.

ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا، وينتهي جنوبا إلى البحر المحيط في مواقع لا نعرف عنها غير ما يرويه التجار الذين يأتون إلى مملكة تنبكتو[تنبكت]، وهو كثير>>[1] كما حدد موقع الممالك السودانية الخمس عشرة التي زارها أنها: <<**تمتد هذه الممالك الخمس عشرة المعروفة كلها لدينا الآن على طول ضفتي النيجر وروافده، وتقع بين قفرين عظيمين يبتدئ أحد هما (يقصد الصحراء الكبرى) عند نوميدياو ينتهي في هذه البلاد (أي بلاد السودان)، والآخر في الجنوب يمتد إلى البحر المحيط [المحيط الأطلسي]**>>.[2]

أما عن أصل تسمية السود فقد استنبطوه ربما من لون البشرة[3]، إذ الإصطخرى قال عن الشعوب التي كانت تسكن المنطقة أنهم: <<..... **أشد الأمم سوادا**....>>[4]، كما قال عنهم ابن الوردي أنهم: <<...**شديدو السواد** >>[5]، وبما أن المدلول اللفظي لكلمة السودان قد يعني الشعوب السوداء البشرة فإنه من المرجح أن الكتّاب والمؤرخين والجغرافيين العرب في العصور الوسطى وكذلك الأوروبيون في العصور الحديثة قد حصروا هذه التسمية في الجزء الشمالي من المناطق الإفريقية التي يسكنها السود وهي: منطقة حزام السفانا[6] أو شبه الصحراوية التي تغلغل فيها الإسلام[7]، وعليه فحدود السودان تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن الهامش الجنوبي للصحراء الإفريقية الكبرى شمالا حتى المنطقة الاستوائية جنوبا.

---

[1] الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، جزءان، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، ط:2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م ، ج :1، ص: 29 .

[2] نفسه ،ج: 2 ، ص:161.

[3] **دائرة المعارف الإسلامية** ،14 مجلد، نقلها إلى العربية : محمد ثابت الفندى، أحمد الشناوي، و آخرون، **مادة السودان**، مج: 12 ، ص:327.

[4] الإصطخري: **المصدر السابق**، ص: 44.

[5] زين العابدين بن عمر(ابن الوردي): **تتمة المختصر في أخبار البشر**، جزءان، تحقيق: أحمد رفعت البد راوي، ط:1، بيروت، 1970 م، ص:135.

[6] المقصود بالسفانا: هي حشائش تنبت فيما بين المناطق شبه الصحراوية و الغابات الاستوائية الكثيفة و أطلق مصطلح السفانا على ذلك السهل الذي يشغل حاليا المنطقة الكثيفة من دول غرب إفريقيا و هي: موريتانيا، سنغال، مالي، غينيا بوركينافاسو، غينيا بيساو، جزر الرأس الأخضر، النيجر، ساحل العاج، و تعرف هذه الدول باسم المجموعة الاقتصادية لغرب إفريقيا و يرمز لها:C.E.A.O ، أنظر: مطير سعد غيث أحمد: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة / السادس عشر والسابع عشر للميلاد – دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي** – ط: 1، دار المدار الإسلامي، طرابلس ،2005م ،ص ص: 30 ،31 ، هامش رقم: 12.

[7] **دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق**، ص ص:327.

أما في الفترة المعاصرة فقد تم تقسيم هذه المنطقة إلى ثلاث مناطق هي : السودان الشرقي، والسودان الأوسط، والسودان الغربي[1]، فأصبحت المنطقة تحدد بالشكل التالي:

1- السودان الشرقي: ويمتد من البحر الأحمر شرقا حتى دار فور غربا ويضم : الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل[2]، هذا القسم أطلق عليه العرب بين القرنين التاسع والثاني عشر للميلاد اسم بلاد الزنج إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا[3].

2- السودان الأوسط: وهو يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد[4].

3- السودان الغربي: وهو يشمل حوض نهر السنغال ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر الفولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر[5].

وبما أن موضوع هذه الدراسة هو هذا القسم الأخير الذي يشكل جزءا من غرب إفريقيا فحدود هذه المنطقة غربا المحيط الأطلسي، أما الحدود الشرقية فتتماشى مع الضفة الشرقية لنهر النيجر وذلك أثناء مروره بدولة النيجر الحالية واتجاهه جنوبا صوب المحيط الأطلسي مخترقا دولة نيجيريا الحالية[6]، أما عن الموقع الفلكي للمنطقة فهو ينحصر بين خط طول 10 درجة شرق خط غرينتش و20 درجة غربه ودائرتي: عرض 10درجة و 20 درجة شمال خط الاستواء[7].

وعليه يمكن تحديد منطقة الدراسة حسب التسميات العصرية على النحو التالي: موريتانيا، غامبيا السنغال، مالي، والأجزاء الغربية والوسطى من النيجر، وبوركينافاسو[8].

---

[1] نفسه ،ص ص: 327، .328.

[2] محمد بن عمر (التونسي): **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان** ،تحقيق :خليل عساكر وآخرون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ،1965م ،ص:132 .

[3] عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء – دراسات ونصوص** – المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م، ص :11.

[4] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 م – 1591م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.ن، ص: 15.

[5] **دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق**، ص:330.

[6] مطير سعيد غيث: **المرجع السابق**، ص ص:32،33.

[7] نفسه، ص:33. أنظر: ملحق رقم:05 ، وهو خريطة تقريبية لموقع بلاد السودان الغربي، ص.172

[8] نفسه، ص:34.

بناءا على التقسيم المعاصر تتوزع الممالك الخمس عشرة[1] التي زارها الحسن الوزان في بداية الفترة المدروسة على : السودان الغربي، والسودان الأوسط، والسودان الشرقي و التي تهمنا هي تلك التي تقع بالسودان الغربي وهي[2]:وَلاَتَة، غِينْيَا(أو جني)، مالي، تنبكت،كَبْرَة،كاغو (جاو) أغَدَسْ، هذه الممالك كانت خاضعة لمملكة سنغي أكبر قوة سياسة بالسودان الغربي في تلك الفترة (القرن**10**ه/**16**م) والتي كان يحكمها الأسكيا محمد الكبير(**1493 – 1528**م)[3]، امتدت حدود مملكة سنغي في فترة من تاريخها إلى السودان الأوسط ومن الممالك التي تدخل ضمن هذا القسم الأخير والتي زارها الحسن الوزان هي: كُوبَرْ،كانو،كاتسينا، وزَكْزَكْ، وزَنْفَرى، هذه الممالك تعرف بممالك الهوسا أو الحوصا[4].

سيتم الحديث عن مملكة سنغي منذ بروزها كأكبر قوة سياسية بالسودان الغربي في عهد الأسكيين إلى غاية سقوطها سنة999ه/1591م على يد السعديين[5]، ليخضع بعدها السودان الغربي إلى الاحتلال المغربي المباشر إلى غاية **1612م**، وذلك بناءا على ما حملته المصادر المغربية محل الدراسة و مناقشتها مع مصادر ومراجع سودانية وعربية وأجنبية في الفصول الموالية.

امتاز السودان الغربي بمؤهلات جعلته منذ القديم محطة لاستقرار العديد من الأجناس البشرية فما هي هذه المؤهلات ؟ وما هي أبرز القبائل التي استقرت به؟

---

[1] لمعرفة موقع هذه الممالك أنظر ملحق رقم :06 ، ص: 173.

[2] الحسن الوازن: **المصدر السابق**، ج :2 ، ص ص : 162 -171.

[3] لمعرفة تفاصيل أكثر عنه، أنظر: الفصل الثاني من الدراسة، ص:52 و ما بعدها.

[4] تقع هذه الممالك بين مملكة سنغي في الغرب ومملكة البورنو في الشرق ولطالما كانت مطمع المملكتين السابقتين وهي مكونة من عدة ممالك ذُكر بعضها في المتن أعلاه لمزيد من التفاصيل عنها أنظر:

J. Spencer Trimingham : **A History of Islam in west Africa**, oxford, London, 1963,pp:126-138.

[5] السعديين حكموا المغرب الأقصى بعد أن أطاحوا ببني وطاس حكام المغرب قبلهم ،وذلك بعد أن اجتمع الناس في الجنوب المغربي قرب **تارودانت** على أبي عبد الله محمد القائم أول أمير من هذه الأسرة سنة 916ه/1510-1511م، ولما توفي عام 923ه/1517م خلفه ابنه أبو العباس أحمد الملقب بالأعرج، وفي عهده دخلت مدينة **مراكش** تحت طاعة الأسرة السعدية سنة 930ه/1524م، و أصبحت عاصمة مستقلة عن مملكة **فاس** التي بقيت بيد الوطاسيين وظل المغرب منقسما إلى شطرين حتى سنة 1554م إذ تمكن السعديين من الاستيلاء على عاصمة الوطاسيين و التربع على العرش المغربي، ومن أشهر الحكام السعديين :أحمد المنصور المشهور بالذهبي ابن محمد الشيخ شهد المغرب في فترة حكمه ازدهارا وتطورا ملحوظا، دامت فترة حكم السعديين 150سنة، يدعي السعديين النسب لآل البيت وبالتالي أحقيتهم دون غيرهم في الحكم. أنظر: محمد بن أحمد أكنسوس: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي**، 3 أجزاء ، مجلد بالمكتبة الوطنية ، الجزائر، د.ت.ن، ج:1، ص:41 ، و أيضا عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**،مج 8:،

ص ص : 7، 8 .

2- مؤهلاته الطبيعية:

إن الموقع الذي كان يحتله السودان الغربي وما يتوفر عليه من مرافق طبيعية تؤهله بأن يكون محطة لاستقرار العديد من الأجناس البشرية فقد جاء عن الفشتالي[1] في وصفه له <<..... **ممالك متعددة الأقطار متنوعة الأوطان و الأوطار جمة المرافق والفوائد و مألف الوافد والرائد، لا تحد بغاية ولا تدرك لها نهاية، محشر الأمم، وبستان العالم ومدرج الذر من بني ادم** >>[2]، ومن تلك المؤهلات التي يتوفر عليها السودان الغربي:الثروة المائية والمتمثلة في بعض الأنهار المعروفة اليوم بنهر النيجر، ونهر السنغال، ونهر غامبيا، و كان الجغرافيون والمؤرخون العرب لا يفرقون بين نهر النيجر ونهر السنغال إذ أطلقوا على كليهما نيل السودان أو بحر السودان، واعتقدوا أن نيل السودان كما يُسمونه ينبع من وسط إفريقيا ويصب في البحر المحيط استمر هذا الاعتقاد سائدا إلى غاية الفترة المدروسة (**1493 ـ 1612م**) فقد قال الفشتالي: <<.......**نيل السودان يجرى من الشرق إلى أقصى المغرب وعليه جميع بلاد السودان أو أكثرها ومبدؤهما معا من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة، وذلك أنه يخرج منه من عشرة عيون فتصب خمسة أنهار منها في بطيحة وتخرج خمسة أنهار أخرى فتصب في بطيحة أخرى وتخرج من البطيحتين ثلاثة انهار فتمر بأجمعها إلى أن تصب في بطيحة كبيرة جدا وهي فوق خط الاستواء مماسه له، وفي أسفل هذه البطيحة جبل معترض شق أكثرها فيمر.... في جهة المغرب وهو نيل السودان** >>[3]، وفي موقع أخر قال : <<.... **والممالك المنتظمة مع خط النيل (أي نيل السودان) من عدوتيه انتظام السلك الجارية مع تياره في طلق من لدن تخوم النوبة إلى مصبه في البحر المحيط[المحيط الأطلسي]** >>[4].

[1] سيرد تعريف بهذا المؤلف في المبحث الموالي، ص ص:40، هامش رقم:3.

[2] أبو فارس عبد العزيز(الفشتالي): **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق : عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط،1972 م، ص:145.

[3] نفسه، ص: 166.

[4] نفسه، ص:117.

يُعتبر الحسن الوزان المؤلف الوحيد الذي ذكر نهر النيجر منفردا في كتابه:وصف إفريقيا[1] فقال :>>.... **نهر النيجر الذي يخرج من فلاة تدعى ساو، ونابعا من بحيرة عظيمة[2] – وهو حسب الجغرافيين– فرع من فروع النيل ، يغيب تحت الأرض ثم يخرج منها ليكون هذه البحيرة**<<[3]، كما ذكر أيضا أن منبع نهر النيجر من الغرب ويتجه نحو الشرق:>> .... **أنه (أي نهر النيجر)في جبال تقع إلى جهة الغرب ثم يسيل إلى الشرق ليتحول إلى بحيرة**<<[4]، إلا أنه تراجع عن قوله، ليظل هذا الاعتقاد سائد من أن نهر النيجر يتجه من الشرق إلى الغرب إلى غاية القرن التاسع عشر ميلادي، فها هو ذا المؤرخ المغربي الزياني يورد نفس المعلومة التي أوردها الفشتالي[5]، إلا أنه أُثبت العكس عن طريق الكشوفات الجغرافية التي قام بها الرحالة الأوربيون الذين كانوا لا يعلمون عن دواخل القارة الإفريقية شيء حتى القرن التاسع عشر ميلادي، إذ استطاع الرحالة الأوربي منجو بارك (Mungo Park) أن يحل المعضلة ويحدد اتجاه مسار النهر من الغرب إلى الشرق[6]، هذا دون أن يكتشف منبعه، وبعد وفاته في رحلته الثانية إلى السودان الغربي كُثفت الجهود لكشف منبع نهر النيجر من طرف الرحالة الأوربيون[7] بالإضافة إلى هذه الثروة المائية وما يرافقها من خصوبة التربة وبالتالي كثرة المحاصيل الزراعية والتي أعطى الحسن الوزان صورة عنها:>>**كل الأقاليم المجاورة لهذا النهر(أي نهر النيجر) تصلح جدا للزراعة، وتنمو فيها الحبوب بكثرة .... شجرة ضخمة ... تبعد هذه الأشجار قليلا عن النهر لتقع في الأرض اليابسة...اليقطين والخيار والبصل ينبت هناك بكثرة ...**<<[8].

---

[1] أنظر التعريف بهذا الكتاب في المبحث الموالي، ص:36 وما بعدها

[2] يقصد بها بحيرة تشاد، أنظر: الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج :1، ص: 30، هامش رقم: 8 .

[3] نفسه، ص :30.

[4] نفسه.

[5] أبو القاسم (الزياني) : **الترجمانة الكبرى**، مطبعة فضالة، المحمدية، ص:315.

[6] أنظر كتابه :

Voyage dans l`intérieur de l`Afrique, tard : Adrian Adams, française Maspero, paris,.1980

[7] أنظر: جوز فين كام :**المستكشفون في إفريقيا**، تعريب: يوسف نصر، و آخرون ،دار المعارف، 1983م، ص ص: 85 -167.

[8] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:1، ص: 77 .

كما حوت المنطقة ثروة سمكية وحيوانية فضلا عن هذا هناك أيضا الثروة المعدنية[1] خاصة الذهب الذي أسال لعاب الكثير من بينهم وزير قلم[2]- السلطان أحمد المنصور[3]- الفشتالي فقال: <<....**وأرض كرم الله تربتها وأبان فضلها بما اختصها به من معادن الذهب الذي به قوام العالم، وأس الملك، وبناء المجد، وبالتفاوت فيه تتفاوت أقدار قوة وسلطانا، وجنودا، وأوطانا فهي مثرات العديم، و مجلب التبر إلى المشارق والمغارب في الحديث والقديم**>>[4].

3- تركيبته البشرية :

سبقت الإشارة إلى أن المؤهلات التي شملها السودان الغربي جعلته منذ القديم محطة لاستقرار العديد من التجمعات البشرية، ويورد أغلب المؤرخين الذين أرخوا للسودان الغربي أنه عاشت به نوعين من السكان: محليين ووافدين[5]، إذ عرفت المنطقة هجرات متتالية لاسيما من الشمال الإفريقي ومن الشرق نحو الغرب، إذ وجد سكان الجزيرة العربية طريقا للهجرة إلى السودان الغربي ألا وهو برزخ السويس ومنه تمكن العرب من التوغل في السودان الغربي عن طريق المغرب العربي أو عن طريق وادي النيل،كما أن الصحراء الكبرى لم تكن قط حاجزا يحُول دون بلوغ العرب أو البربر بلاد السودان لاسيما وأن الصحراء لم تكن جافة وقاحلة في الماضي كما هي عليه اليوم[6].

و سيتم تناول أبرز هذه القبائل التي قامت بأدوار متعددة في المنطقة وذلك على النحو التالي:

---

[1]أنظر تفاصيل أكثر عن ثروات السودان الغربي في المبحث الأخير من الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص ص:136 وما بعدها.

[2]لقب أطلق على عبد العزيز الفشتالي المؤرخ المغربي .

[3]هو السلطان أحمد المنصور بن أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي عبد الله القائم بأمر الله ، ولد سنة:956هـ، وهو من أشهر سلاطين الدولة السعدية بالمغرب الأقصى اشتهر بالذهبي بعد استيلاءه على السودان، توفي في 1012هـ/1603م. أنظر : **موسوعة أعلام المغرب** ، تنسيق وتحقيق :محمد حجي، 9أجزاء، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص ص:1124-1132.

[4] الفشتالي: **المصدر السابق** ، ص:117.

[5]Raymond (Mauny): **Tableau Géographique de L'ouest Africain au Moyen âge**, IFAN, Dakar, 1961, p : 443.

[6]نعيم قداح: **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، ط:2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.ن، ص ص:13، 14.

أ/القبائل السودانية(المحلية):

من أبرز القبائل السودانية بالمنطقة قبائل السوننك الذين شكلوا تاريخيا عصب مملكة غانة[1]، تتميز هذه القبائل بصفات جسمانية خاصة وتقاليد اجتماعية معينة، انتشر نفوذهم في أجزاء واسعة من السودان الغربي وامتدت مضاربهم من تنبكت شرقا حتى بلاد السنغال حاليا غربا [2].

امتزج السوننك مع القبائل الوافدة، أدى هذا إلى تغيير بعض الشيء في ألواهم حتى أن قبائل الولوف[3] يطلقون على قبائل السوننك المقيمين قي حوض السنغال اسم تشير كول أو سراكول، وتعني هذه التسمية عند الولوف الرجال الحمر أو الناس الحمر[4]، تضم مجموعة السوننك فروعا مختلفة اشتهرت بأسماء متنوعة تبعا للأماكن التي قامت بها أو تبعا لأسماء العشائر التي برزت من بينها أو بحسب تسمية جيرانهم لهم[5].

و نتيجة الامتزاج المبكر بين السوننك ومسلمي الشمال الإفريقي الوافدين اعتنق السوننك الإسلام وقاموا بنشره في بلادهم[6].

---

[1] أنظر عن هذه المملكة في العنصر الموالي، ص:22 وما بعدها.

[2] مطير سعد غيث: **المرجع السابق**، ص:39.

[3] سيتم التعريف بهذه القبائل فيما يلي.

[4] الهادي مبروك الدالي : **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15م إلى بداية القرن 18م**،ط:1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م، ص:23، وأيضا إبراهيم طرخان: << **غانة في العصور الوسطى**>>، في المجلة التاريخية المصرية، مج :13، القاهرة، 1967م، ص :37.

[5] نفسه.

[6] مطير سعد غيث :**المرجع السابق**، ص : 40.

وعاشت بالمنطقة أيضا قبائل الصوصو الوثنية التي كانت خاضعة لمملكة غانة عند ما كانت في عزّ ازدهارها وما إن سقطت هذه المملكة تحت ضربات المرابطين[1]حتى انقلبت ضدها[2] واحتلت عاصمتها كومبي صالح[3] عام **1203**[4]، إلا أن طموح قبائل الصوصو في التوسع لم يدم وسرعان ما ظهرت قبائل سودانية أخرى هي قبائل الماندينجو مؤسسو مملكة مالي الإسلامية [5] التي قضت على طموحاتهم السياسية[6].

أما عن قبائل الماندينجو أو الماندينغ أو المالنكا أو الماندى وهي تسميات لجنس واحد [7] كانت مواقع انتشارها في أعالي نهري السنغال والنيجر إلى المحيط الأطلسي[8]، وقد انتشرت لغتهم إلى ما وراء حدود بلادهم [9].

---

[1]قامت دولة المرابطين على أكتاف ثلاث قبائل صنهاجية هي:كدالة (جدالة)، لمتونة، مسوفة، وكان مهد هذه قبائل في المنطقة التي بين مصب نهر السنغال وحوضه الأدنى إلى منحنى نهر النيجر إلى بحيرة تشاد، أما الحد الغربي فهو المحيط الأطلسي، أما الحد الشمالي فهو المرتفعات الجنوبية من جبال الأطلس، أما الحد الشرقي فهو بلاد الهقار بجمهورية الجزائر الحالية، (أنظر: محمد عبد الهادي شعيرة :**المرابطون تاريخهم السياسي (430–439هـ)**، ط:1، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1969م، ص:16.)، إذْ استطاعت قبائل جدالة بزعامة أميرها يحي بن إبراهيم الجدالي أن تتولى قيادة هذه القبائل الملثمة. كان مجتمع دولة المرابطين لا يعرف من الإسلام إلا اسمه، فقرر زعيمها يحي بن إبراهيم هداية قومه، فعند عودته من الحج عرّج على المغرب وأحضر معه الفقيه عبد الله بن ياسين الذي أمر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر ......، لكن مجتمع الملثمين لم يتقبل هذه التوجيهات إذ لم يألفوا الخضوع لقانون يحد من نزواتهم ويوقف شهواتهم.....،فسخطوا عليه، فاضطر خوفا على نفسه إلى الخروج من مضاربهم، فاتجه بصحبة مريديه ويحي بن إبراهيم ، وذهبوا إلى ربوة في جزيرة تقع عند مصب نهر السنغال (أنظر: محمد فاضل علي ،سعيد إبراهيم كريرية: **المسلمون في غرب افريقيا ــ** تاريخ وحضارة ــ، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص ص :68،69.) واتخذوا هذا المكان رباطا لهم ومن هنا جاء اسم المرابطين (أنظر: عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430هـ–515هـ/1038هـ–1121هـ)**، ط :1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص:69 وما بعدها)، وبعد مضي عشر سنوات من التثقيف والتعليم أمر عبد الله بن ياسين جماعته بالخروج للجهاد في سبيل الله في الجنوب باتجاه غانة وفي الشمال بعد أن استنجد به فقهاء سجلماسة (أنظر :عصمت عبد اللطيف دندش: **مرجع سابق**، ص:79.)

[2]عبد الرحمن(ابن خلدون): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر**، 8 أجزاء، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص: 266.

[3] أنظر عن هذه المدينة فيما يلي .

[4]إبراهيم طرخان: **المرجع السابق**، ص:76.

[5] أنظر عن هذه المملكة في المبحث الموالي ، ص :27.

[6] لمزيد من التفاصيل عن كيفية قضاء الماندينجو على قبائل الصوصو أنظر: الهادي مبروك الدالي: **العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي من 7–9 هـ/13–15م**، ط:1 ،دار المحيط العربي ،بيروت 1991م،ص:22.

[7] مطير سعد غيث :**المرجع السابق**، ص:41.

[8] نعيم قداح:**المرجع السابق**، ص:18.

[9]نفسه.

كما عاشت بالمنطقة أيضا قبائل البمبارا وهي إحدى فروع الماندينجو[1] التي عاشت في المنطقة المعروفة حاليا بموريتانيا، واستمرت على وثنيتها رغم انتشار الإسلام في تلك المنطقة منذ عهد المرابطين[2].

كما عاشت بالمنطقة قبائل الولوف المنتشرة في حوض السنغال الأدنى ويتميز هذا الشعب بقامته الطويلة وشعره الأسود الفاحم وذكائه المتوقد[3]، وقبائل السيرر و التكرور امتدت مضارب هذه القبائل على طول ضفتي السنغال [4]، كما عاشت بالمنطقة قبائل الموسي أو الموشي[5] وأقامت مملكة وثنية في منحنى نهر النيجر.

ومن القبائل التي عاشت أيضا بالمنطقة قبائل السنغي التي لعبت دور رئيسي في الفترة المعنية بالدراسة ولهذا سيتم إعطاء تفاصيل أكثر عنها فيما يلي:

إن أصل قبائل السنغي من دندى شمال الداهومي(بينين حاليا) صعدت مع مجرى نهر النيجر حتى وصلت منطقة كوكيا[6] الوفيرة الخيرات فاستقرت حولها [7]، ينقسم هذا الشعب السراكولي إلى فريقين هما الصيادون والفلاحون كان الصيادون يشنون الغارات اللصوصية على الفلاحين [8]، خضعت قبائل السنغي لقبائل لمطه (أو لمته) وهي إحدى القبائل البربرية التي وفدت إلى هذه المنطقة في القرن السابع ميلادي ويعتبر مكلها الأول ضياء بن قس أو ضياء اليمن(أوزا الأول)[9] هو الذي فكر في إحداث هذه الدولة اعتنق الملك زا الرابع عشر في تلك الأسرة واسمه **زَاكُسْي**(معناه أسلم طوعا بلا إكراه)الإسلام سنة **1009م**، أي قبل مجيء المرابطين وتغلب على القبائل السنغية السراكولية ،وفي عام **1010م** استولى

---

[1] نفسه، ص:19.

[2] توماس أرنولد : **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة: حسن محمود حسن، وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، 1970م، ص:358.

[3] نعيم قداح :**المرجع السابق**، ص:18.

[4] نفسه.

[5] حسن محمد نبيلة: **في تاريخ أفريقيه الإسلامية انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتي القرن التاسع الهجري**، دار المعرفة الجامعية،2007م، ص:274.

[6] تقع جنوب مدينة جاو أنظر تفاصيل عن هذه المدينة في الفصل الثالث من الدراسة، ص ص:111.

[7] محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، دار الرشيد، بغداد، 1982م، ص:53.

[8] ادم عبد الله الألورى : **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، 1965م، ص :156، وأيضا أحمد شلبي : **موسوعة التاريخ الإسلامي**، 8 أجزاء، ط : 5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ج :6، ص: 21.

[9] زال الأول ورد عند السعدى، أنظر :عبد الرحمان(السعدى) :**تاريخ السودان**، طبعة هوداس، أنجي، فرنسا، 1964م، ص:2.

على مدينة جاو[1] والتي أصبحت منذ ذلك الحين عاصمة لمملكة سنغي[2]، ومع ظهور واتساع مملكة مالي الإسلامية وسيطرتها على جميع المدن الواقعة على النيجر ومن بينما مدينة جاو دخلت قبائل السنغي تحت حكمها في سنة **1325م** [3]، لكن ما إن حلت سنة 1335م حتى استطاعت عائلة آل سني وهي فرع من عائلة آل ضياء أوآل زا أن تستقل بسنغي عن مالي وذلك تحت قيادة **سني علي كلن**، وفي عهد **سني علي بير(حكم في 1465 –1492م**) دخلت سنغي في طور الإمبراطورية حيث وسّع هذا الملك حدود دولته على حساب القبائل المجاورة [4]، إلا أنه ما إن حلت سنة **1493م** حتى استطاعت قبائل السنغي السراكولية أن تستعيد حكمها بقيادة الأسكيا الحاج محمد الكبير الذي أنهى حكم آل سني بثورة قام بها عقب وفاة سني علي مباشرة سنة **1493م**[5]، وبتوليه أصبحت مملكة سنغي أكبر قوة سياسية بالسودان الغربي التي استمرت إلى غاية **1591م** بعد حملة المغاربة عليها– سيتم التطرق لها في الفصل الموالي–، وبعد هذا التاريخ أخذت قبائل السنغي تنحصر وتتجه إلى ما رواء نهر النيجر جنوبا وشرقا وتختلط بقبائل الحوصا أو الهوسا[6]، هذا عن أهم القبائل السودانية (المحلية) التي عاشت بالمنطقة المدروسة.

ب/القبائل البربرية والعربية:

عند دراسة المصادر و المراجع التي أرخت للسودان الغربي وتناولت موضوع القبائل الوافدة إليه، فإنها تذكر أن هذه القبائل تنقسم إلى مجموعتين:قبائل بربرية(صنهاجة)، وقبائل عربية.

- القبائل الصنهاجية:

هناك اختلاف بين المؤرخين حول أصول هذه القبائل فالمؤرخ المغربي ابن أبي زرع أشار إلى ذلك فقال : <<**ذكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب النمراني صاحب كتاب:الإكليل في الدولة**

---

[1] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 53.

[2] بازل دافدس : **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة: جمال أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.ن، ص: 157 .

[3] نفسه، ص:158، وأيضا عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي ....، مرجع سابق**، ص :26 .

[4] نفسه، ص ص:26-82.

[5] انظر: تفاصيل عن هذه الحادثة في المبحث الأول من الفصل الأول، ص ص :54.

[6] محمد الغربي: **المرجع السابق**،ص:09.

الحميرية:أن لمتونه فخذ من صنهاجة و صنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، وأن الملك افريقش ابن ذي المنار....بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب، و أرض إفريقية....وخلف بها قبائل حمير، وزعمائها صنهاجة ليردوا البربر عن مشاكاتهم، ويأخذوا أخراجهم، ويربوا بها و صنهاجة باكسر قوم في المغرب من ولد صنهاجة الحمير[1]، وقد رد ابن خلدون هذا وأباه، ورفع عمود نسبهم في البربر وتبعهم في ذلك ابن الأزرق وغيره من المؤرخين<<[2] أما عن مضاربها فقد حددها بالصحراء التي ما بين: >>**بلاد البربر، وبلاد السودان**<<[3].

هذه القبائل لا تكاد تحصى لكثرتها[4]، لكن القبيلة التي شكلت جزءا هاما من البنية السكانية للمنطقة المدروسة وخصوصا الأجزاء الشمالية منها هي قبائل الطوارق أو التوارك المسوفية الصنهاجية[5] التي لعبت عدة أدوار اقتصادية وسياسية و ثقافية في الفترة التي نعالجها، وسيتم ملاحظة هذه الأدوار في فصول هذه الدراسة.

- القبائل العربية:

عرفت منطقة شمال إفريقيا حوالي القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي، هجرة ثلاثة مجموعات قبلية عربية من المشرق العربي هي: قبائل بني حسان من بني معقل، وقبائل بني سليم، وقبائل بني هلال وذلك انتقاما للفاطميين من المعز بن باديس الصنهاجي الذي خلع طاعة الفاطميين ، وساروا

[1] يذهب هذا المذهب من أن صنهاجة أصلهم من حمير صاحب كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وهو أندلسي الأصل من أهل القرن الثامن هجري، أنظر: مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط :1،تحقيق:سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص:18.

[2] أبو عبد الله محمد ابن عبد الحليم(ابن أبي زرع):**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، مجلد بالمكتبة الوطنية، الجزائر، د.ت.ن، ص:80.

[3] نفسه، ص:81.

[4] نفسه.

[5] السعدي: **المصدر السابق**، ص:45، لتفاصيل أكثر عن قبائل الطوارق أنظر : إبراهيم بتقه : **مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر** (**1890-1920م**)، رسالة ماجستير(غير منشورة)، قسم التاريخ، الجزائر، 2010/2009م، ص ص: 09-27.

غربا حتى وصلت طلائع بني معقل إلى سهول المغرب الأطلسية حوالي القرن السادس هجري /الثالث عشر ميلادي[1].

في منتصف القرن السادس عشر ميلادي سكنت قبائل بني حسان من بني معقل منطقة الحوض في الجنوب الموريتاني الحالي[2]، وانساحت بذلك إلى المنطقة المدروسة و كان لها ثقلها السياسي والاقتصادي الذي يحسب حسابه، وقد تسابقت القوى السياسية التي قامت بالمنطقة على كسب ودِّها من أجل استمرارها في الحكم[3].

4-أهم الكيانات السياسية والعلاقات الخارجية:

يقود الحديث عن المنطقة المدروسة إلى التطرق لموضوع مهم ألا وهو أهم الكيانات السياسية التي قامت بها، والعلاقات التي كانت تربطها بالشمال الإفريقي، وما خلفته من آثار تؤكد عمق التواصل الذي كان بين المنطقتين منذ القديم، وازداد هذا التواصل أكثر عقب دخول الإسلام إلى المغرب العربي الذي تسرب عبر القوافل التجارية إلى المنطقة المدروسة، وانعكست مظاهره على مختلف ميادين الحياة السودانية.

أ/أهم الكيانات السياسية :

- مملكة غانة :

تتفق معظم المصادر والمراجع التاريخية التي أرخت للمنطقة المدروسة أن مملكة غانة من أقدم الممالك التي قامت بالمنطقة[4]، مع أن فجر تاريخها غير دقيق، ولكن المعلومات والمعارف المتعلقة بتاريخها تتضح منذ القرن الثامن ميلادي فصاعدا[5]، إذ قال كعت عن ملوك غانة الأوائل: << **وقد بلغ بعد**

---

[1] مطير سعد: **المرجع السابق**، ص:50.

[2] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي ...، مرجع سابق**، ص:48.

[3] الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي و الاقتصادي...، مرجع سابق**، ص:157.

[4] من المصادر والمراجع التي أرخت لمملكة غانة : البكري : **المصدر السابق** ، ج:2، ص :857 وما بعدها، وأيضا ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (العمري): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 27 جزء، أصدره فؤاد سزكين، وآخرون، شتروس، هيشبرج، ألمانيا الاتحادية، 1989م، ج:25، ص : 96، وما بعدها، إبراهيم طرخان: **المرجع السابق**، ص: 35 وما بعدها، وغيرهم .

[5] نفسه.

زمانهم ومكانهم علينا ولا يتأتي لمؤرخ في هذا اليوم أن يتأتي بصحة شيء عن أمورهم يقطع بها، ولم يتقدم لهم تاريخ فيُعتمد عليه >>[1].

وكلمة غانة ليست لها أصول عربية كما أشار إلى ذلك ياقوت الحموي:<<**كلمة غانة كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركا من العربية وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب، متصلة ببلاد السودان** >>[2] .

لكن أشار البكري أن كلمة غانة في الأصل لقب ملوكها ثم أطلقت على كل المملكة فعرفت به <<**وغانة سمة ملوكهم واسم البلد أوكار** >>[3].

وغانة المقصودة هنا ليست جمهورية غانة المعروفة حاليا، وذلك لأن إشارات الجغرافيين العرب المتعلقة بالمنطقة تضم أرجاء لا تمت بصلة إلى ما يعرف الآن بجمهورية غانة، فمعظم المؤرخين يذهبون إلى أنها سيطرت على كل المنطقة الممتدة من بلاد السنغال وحوض النيجر، وتمتد إلى جنوب موريتانيا الحالية، وجمهورية مالي[4].

أما عن أصول سكانها فهناك أساطير مختلفة حول هذه الأصول خاصة وأن المنطقة كانت محطة للهجرات البشرية منذ القدم ، فأهل غانة القدماء كانوا يسمون أنفسهم التورد أو التورث، وأنهم جاؤو أصلا من دجلة والفرات[5]، لكن أغلب سكان مملكة غانة في العصور الوسطى هي قبائل السوننك[6] التي كانت تقيم على حافة الصحراء، وربما حدث بذلك تمازج بينهم، وبين البربر هذا التمازج الذي غير نوعا ما في ألوانهم كما سبق وتم الإشارة إلى ذلك.

[1] محمود بن الحاج المتوكل(كعت): **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش وأكابر الناس**، نشر :هوداس، باريس، 1964م، ص: 42 .

[2] أبو عبد الله ياقوت(الحموي): **معجم البلدان**، 5 أجزاء، دار صادر، بيروت، 1977م، ج:4، ص: 184.

[3] البكري : **المصدر السابق**، ج:2، ص: 871 .

[4] R et M .Cornevin: **Histoire de l'Afrique des origines a la deuxième guerre Mondiale**, **4eme** editions: petite bibliothèque payot, Paris, 1964, p : 134.، أنظر خارطة غانة في الملحق رقم:07،ص: 174.

[5] الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي...**، **مرجع سابق**، ص: 22.

[6] لمعرفة تفاصيل عن هذه القبائل أنظر : المبحث السابق من الدراسة ، ص : 15 و ما بعدها.

أول حكومة قامت في غانة هي حكومة من البيض يقال أنها ترجع إلى حوالي القرن الأول ميلادي ، ثم اشتد ساعدها خلال القرن الرابع ميلادي، والمتواتر في بعض المصادر أن جماعة من المهاجرين الساميين البيض جاءت من الشرق أو شمال شرق إفريقيا هذه الهجرة كانت بطريقة سلمية أكثر منها إلى الغزو المسلح فاختلطت بالسكان الأصليين وأخذت لغتهم[1].

وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون مملكة غانة حتى نهاية القرن الثامن ميلادي[2]. وصف كعت نهاية هذه الحكومة فقال : << ... **ثم أفنى الله ملكهم، وسلط أرذالهم على كبرائهم من قومهم واستأصلهم، وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نسائهم، ويخرجوا الجنين ويقتلونهم** >>[3].

حوالي نهاية القرن الثامن ميلادي، قامت أسرة من السوننك تمكنت من طرد أسرة البيض الحاكمة لغانة، وعملت على توسيع حدود مملكتهم وبلغت أقصى اتساعها وذلك مابين القرنين العاشر والحادي عشر ميلادي ، فاستولت على أهم المراكز التجارية ومنابع الذهب بالمنطقة، منها أودغست[4] الإسلامية في عام **990 م**، إذ حرص ملوك غانة على السيطرة عليها وذلك لأنها همزة وصل بين المراكز التجارية في الشمال، ومصادر الذهب في الجنوب و بالإضافة إلى الثروات التي تحتويها ومكانتها بالمنطقة[5].

---

[1] إبراهيم طرخان : **المرجع السابق** ، ص: 39، هناك اختلافات في الرأي حول أصول هؤلاء البيض فمنهم من يرجع أصلهم إلى اليهود مثل دو لافوس Delafosse، والمسعودي يقول أن حكام غانة الأوائل جاؤوا إليها من الحبشة، نفسه .

[2] جوزيف جوان : **الإسلام وممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، ترجمة: أحمد السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1978م، ص : 48 .

[3] كعت: **المصدر السابق**، ص : 42 .

[4] أودغست مدينة قديمة في شمال غربي إفريقية لم يصبح لها أثر على ظهر الأرض اليوم، وقال البكري أنها كانت تقع بين بلاد الزنج وبين سجلماسة على مسيرة 51 يوما من واحة سجلماسة، ويفترض بارث Barth أن موقعها كان بين خطى طول 10° و15° غربي غرينتش، وبين خطي عرض 18° و19° شمال خط الاستواء بموريتانيا الحالية، كانت في عصر البكري في عز ازدهارها، لكنها في عهد الرحالة الإدريسي اضمحلت، أنظر: **دائرة المعارف الإسلامية...،مرجع سابق**، مج: 3، **مادة أودغست**، ص ص: 113، 114.

[5] نفسه.

عرفت غانة الزراعة والتجارة واستخراج الذهب، إذ أن عظمة غانة التاريخية قامت على ثروتها من الذهب، والتبادل التجاري حتى أن ملوكها قد بلغوا من القوة والثراء بحيث صاروا يلقبون بملوك الذهب، كما صارت بلادهم تُعرف بأرض الذهب[1] .

ويُرجع المؤرخون سبب بلوغ غانة لهذه المكانة المزدهرة والامتداد الشاسع قبل غيرها من ممالك إفريقيا الغربية، يعود إلى قوة جيشها الذي تمكّن من استعمال السلاح الحديدي قبل غيره من الجيوش السودانية، وحرص ملوكها على تنظيم الجيش وتطويره، فكان لها جيش دائم يبلغ تعداد أفراده أربعة آلاف محارب في وقت الشدة، وكان ملوكها قادرين على تجنيدها بمائتي ألف محارب دون صعوبة وفي إمكانهم تسليح أربعين ألف مسلحين بالعصي والرماح[2]، فقد كان سكان المنطقة يستخدمون الحديد حوالي سنة **300** ق.م، ومن المحتمل أن تكون قرطاجة هي التي علّمت أهل غرب إفريقيا صناعة التعدين [3]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عمق الصلة بين دول شمال إفريقيا، والمنطقة المدروسة.

أما عاصمة هذه المملكة فقد ازدهرت في عهد حكومة السوننك إلا أن تأسيسها يرجع إلى عهد حكومة البيض الأولى حوالي عام **300**م، ونظرا لقدم الإسلام في بلاد غانة صارت هناك مدينة خاصة بالمسلمين [4] وهذا ما تدل عليه النصوص التي قدمتها المصادر التاريخية العربية في العصور الوسطى عن مدينة غانة (أي عاصمة غانة) فقد ذكر صاحب كتاب **المسالك والممالك** البكري: << **ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي سكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنتا عشر مسجدا، احدها يجمعون فيه (يصلون فيه صلاة الجمعة) ولها الأئمة والمؤذنون و الراقبون وفيها فقهاء وحملة علم، و حواليها آبار عذبة منها يشربون ....، ومدينة الملك على ستة أميال من هذه المدينة وتسمى بالغابة والمساكن بينها متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط** ...>>[5]،وذكر صاحب كتاب **نزهة المشتاق ... الإدريسي:** << **وغانة مدينتان على ضفتي البحر**

---

[1] كعت : **المصدر السابق**، ص: 42، وأيضا جوزيف جوان: **المرجع سابق**، ص ص: 48 – 51 .

[2] البكري : **المصدر السابق** ، ص : 875 ، بازل دافدسن : **المرجع السابق** ، ص : 134 .

[3] ويدنر دونا لد : **المرجع السابق** ، ص ص : 27، 28 .

[4] إبراهيم طرخان : **المرجع السابق** ، ص : 45 .

[5] البكري : **المصدر السابق** : ص ص: 871 ، 872 .

الحلو ، وهي أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا >>[1]،وذكر صاحب كتاب **صبح الأعشى**..القلقشندى: << **إنهما مدينتان على ضفتي نيلها، إحداهما يسكنها المسلمون، والثانية يسكنها الكفار** >>[2].

يَعتقد كثير من المؤرخين أن مدينة كومبي صالح هي التي كان يقصد بها مدينة غانة، وذلك أنه في عام **1914 م**، قام أحد الضباط الفرنسيين يدعى دي ميرزي بعملية التنقيب في إحدى المناطق القريبة من الساحل وهي منطقة رملية في أعالي النيجر، فوجد شواهد جعلته يعتقد أن تلك المنطقة بالذات كانت تقع فيها عاصمة غانة لذلك بدأت أعمال التنقيب في منطقة كومبي صالح الواقعة على بعد 205 ميل شمالي مدينة باماكو عاصمة جمهورية مالي الحالية، وهو ما يجعل الاعتقاد بأن مدينة غانة التجارية التي أشار إليها البكري تكون قريبة من هذه المنطقة[3].

سقوط غانة :

إذا كان آخر القرن الخامس الهجري يشكل أزهى أيام المملكة فإنه يمثل في نفس الوقت نهاية التطور السياسي للمملكة ذلك أن المملكة عرفت ابتداء من منتصف القرن **5 هـ / 11 م** تحولا جديدا في تاريخها السياسي والعسكري والحضاري وذلك بدخول الإسلام إلى المنطقة.

ففي عام **446 هـ**[4] **/ 1054 م**، تعرضت إمبراطورية غانة إلى هجوم دولة المرابطين الذين استولوا على مدينة أودغست عام **447 هـ / 1055 م**، وهي ثاني أهم مدينة في غانة بعد كومبي صالح فهزمت غانة على يد عبد الله بن ياسين، ومن بعده يحي بن عمر، وأبي بكر الذي استطاع أن يستولى على كومبي صالح في **463 هـ / 1067 م**[5]، ورغم الفترة القصيرة التي حكم فيها المرابطين غانة التي لم تتجاوز العشرين سنة، وذلك عقب وفاة القائد المرابطي أبي بكر بن عمر سنة **480هـ**[6]**/ 1087 م**، إلا

---

[1] أبوعبد الله الشريف (الإدريسي) :**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مجلدات، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت.ن.

[2] القلقشندي : **المصدر السابق**، ج:5، ص:284.

[3] بازل دافدسن: **المرجع السابق**، ص ص: 139، 140 .

[4] البكري : **المصدر السابق**، ص: 862.

[5] إبراهيم طرخان: **المرجع السابق**، ص ص: 67- 75.

[6] ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:93.

أنها كانت لها نتائج أهمها انتشار الإسلام كما نتج عن هذا الفتح تفكك المملكة الغانية، واستقلال أغلب الأقاليم التابعة لها ومنها مملكة الصوصو[1] الوثنية التي استولت على أكبر جزء من أراضي مملكة غانة ففي عام **638 هـ / 1240 م** هاجمت العاصمة كومبي صالح وخربتها وقامت بطرد السوننك المسلمين منها الذين لجؤوا إلى مدينة ولاته التي أسسوها في **622 هـ / 1224 م**، فأصبحت منذ القرن السابع هجري تستقطب العلماء البربر كما عوضت مدينة أودغست كمحطة للقوافل التجارية [2].

- مملكة مالي الإسلامية :

بعد تعرض مملكة غانة لهجمات المرابطين ضعف ملكها وبدأت تعرف طريقها إلى الزوال ، ذلك أنه وإن انسحب المرابطون فيما بعد عنها وتركوا للسوننك(حكام غانة السابقين) من أن يستعيدوا نفوذهم، لكنهم لم يستطيعوا المحافظة على مملكتهم، إذ سرعان ما بدأت الأقاليم التابعة لسلطانها تنفصل عنها ، ودخلت هذه الأقاليم في صراع من أجل السلطة فآل الأمر في الأخير إلى قبائل الماندينجو المسلمة القاطنة في قرية كانجاب kangaba[3]، إذ استطاع ملكهم **سندياتا كيتا** أن يهزم ملك الصوصو **سومنغورو Soumangourou** (**1200 م – 1235 م**)[4] في معركة كيرتا عام **631 هـ / 1235 م**، وأتاح هذا النصر له ولرفقائه السيطرة على جُلّ الأجزاء التي كانت تابعة لمملكة غانة، وتغيير العاصمة القديمة جريبة أوجارب فاختار مكان غير بعيد من نهر النيجر وشيد فيه عاصمته الجديدة وسماها نياني[5]، وبذلك تمكن على أنقاض غانة إقامة مملكة جديدة عرفت بمملكة مالي الإسلامية عام **638 هـ / 1240 م**[6].

---

[1] لمعرفة تفاصيل عن هذه المملكة أنظر: M. Delafosse: **haut –Sénégal– Niger**, 3 t, Maisonneuve et la Rose, paris, 1912, T2, pp : 162-173.

[2] نور الدين شعباني:**علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي، وآثارها الحضارية بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين /العاشر والخامس عشر ميلاديين**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005م، ص:16.

[3] M . Delafosse: **Les Noirs de l'Afrique**, paris, 1922, p :55. ،وأيضا محمود حسن أحمد : **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001 م، ص: 187.

[4] R et M. Cornevin: **op.cit**, p: 162.

[5] عبد الرحمان زكى : **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1964 م، ص : 97، وأيضا أحمد شلبي : **المرجع السابق**، ص: 141 .

[6] الهادي مبروك الدالي: **العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية... ، مرجع سابق**، ص: 22، وأيضا محمد نبيلة حسن: **المرجع السابق**، ص: 210.

أما عن حدود مملكة مالي الإسلامية فذكر القلقشندي : << **ويحدها في الغرب البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، وفي الشرق بلاد البورنو وفي الشمال جبال البربر وفي الجنوب الهمج** >>[1]، وهي تشمل بذلك جمهورية مالي الحالية، والسنغال الشرقي، وشمال غينيا وشمال كل من بوركينافاسو (فولتا العليا سابقا)، وبنين (الداهومي سابقا) والجنوب الأقصى لجمهورية موريتانيا[2].

من بين أشهر الملوك الذين تولوا عرش مملكة مالي الإسلامية **سنديا كيتا** المشهور بلقب ماري جاطة[3](**636 – 654 هـ / 1235 – 1255 م**)[4] ودام بذلك حكمه حوالي عشرين سنة. أثنى المؤرخون على فترة حكمه فهو الذي اتخذنياني عاصمة المملكة ووسع حدودها وضم إليها حقول الذهب الكبرى في بامبوك Bambouk [5] كما واصل عملياته العسكرية حتى بلغت فتوحاته أسفل نهر السنغال ونهر غامبيا ومستنقعات التكرور، وبذلك أصبحت مالي أعظم وأقوى مملكة بالسودان الغربي[6]،كما قام بوضع أساس نظام إداري فقسم دولته إلى أقاليم يحكم كل إقليم حاكم من العائلة المالكة على أساس وراثي [7] ،كما اهتم سندياتا بالميدان الزراعي وتربية الحيوانات[8]، حج **سندياتا** بعد هذا الانتصار العظيم والتوفيق الذي حالفه وجيوشه، وأعان العلماء في ظل الدولة الجديدة على نشر العلم والإسلام[9].

[1] القلقشندي: **المصدر السابق،** ج:5، ص: 282.

[2] عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية** ... ، **مرجع سابق،** ص: 16، أنظر حدودها في الملحق رقم:08، ص:175.

[3] ماري معناه الأمير، جاطة معناه: الأسد، أنظر: ابن خلدون : **المصدر السابق،** ج :6، ص: 120، وأيضا نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام** ، مراجعة عمر الحكم، كوناكري، 1969م، ص: 50 .

[4] R. M. Cornevin : **op.cit** , pp :162,163

[5] Ibid, p :163.

وتعد بامبوك في ذلك الوقت أحد أهم ثلاثة مناجم كبرى للذهب في السودان العربي وهي : غلام (Galam)، بامبوك (Bambouk)، بورى (Bouré) .

[6] إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها،** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص: 300.

[7] الهادي مبروك الدالي: **العلاقات بين مملكة مالي**... ، **مرجع سابق،** ص: 28.

[8] إسماعيل العربي: **مرجع سابق،** ص: 300.

[9] أحمد شلبي: **المرجع السابق،** ص ص : 64، 244،245 ،S. Trimingham: **op.cit**, pp

بعد الملك **سندياتا** مؤسس مملكة مالي تولى ابنه عرش المملكة منسا ولي، تعني منسا السلطان وولي تعنى علي ، حكم منسا ولي بين عامي (653- 655 هـ / 1255 - 1270 م) وصفه المؤرخين بأنه من أعظم ملوكها ، قام برحلة للحج في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس[1].

ثم جاء بعده عهد منسا موسى وهو من أزهى عهود المملكة إذ وصلت في عهده قمة التوسع فاستولت مملكة مالي على مملكة سنغي الواقعة على نهر النيجر ويعتبر هو أول من ملكها من سلاطين مالي[2]وضمت عاصمتها جاو ومدينة تنبكت[3]، وبلاد التكرور في الغرب وامتدت شمالا في قلب الصحراء، وجنوبا حتى فوتا جالون وحدود نيجيريا الحديثة [4].

كما اتجهت عناية هذا الملك لنشر الإسلام في ربوع مملكته، وأصبغ مالي بصبغة إسلامية واضحة بما شيده بها من مساجد وما كان يقوم به من احتفالات باهرة في المناسبات الإسلامية المختلفة وبرعايته للعلم و العلماء[5]، ازدادت شهرته أكثر عقب تأديته فريضة الحج عام **725 هـ / 1324 م**[6].

وبعده تولى أخوه منسا سليمان، وفي هذه الفترة زار الرحالة ابن بطوطة مملكة مالي في(1352 م- 1354م)، وأعطى وصفا دقيقا لها في مختلف مناحي الحياة [7].

وقبل التطرق لموضوع سقوط مالي لا بأس من إعطاء صورة عن الحالة التي كانت تعيشها هذه المملكة، فبفضل امتلاكها لمناجم الذهب والملح ومناجم النحاس الذي انعكس على الرخاء الذي عرفته المملكة، كما عرفت المنطقة الزراعة وانتشار مختلف المحاصيل الزراعية[8] وحركة التبادل التجاري النشيطة، فها هو ذا ابن خلدون يحدد عدد رحلات القوافل التجارية التي تجتاز الصحراء إلى مالي قادمة من

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج:6، ص: 200.

[2] السعدي: **المصدر السابق**، ص : 7 .

[3] لمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة أنظر المبحث الأول من الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص:103.

[4] جوزيف جوان: **المرجع السابق**، ص ص : 73، 74، أحمد شلبي: **المرجع السابق**، ص: 245 .

[5] S . T rimingham : **op.cit**, p71

[6] الهادي مبروك الدالي :**مملكة مالي ....، مرجع سابق**، ص:34 .

[7] أبو عبد الله محمد(ابن بطوطة) : **تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار (المعروف بالرحلة)** : دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ص ص : 441- 456 .

[8] أحمد شلبي: **المرجع السابق**، ص ص: 248، 249 .

الشرق: <<... **اجتاز ... في هذا العام سفر من تجار المشرق إلى بلد مالي، كانت ركابهم أثني عشرة راحلة... ذلك هو الشأن في كل سنة** >>[1]

كما يُعتبر كتاب الرحالة ابن بطوطة أهم مصدر يصف حالة مالي الاجتماعية، وذلك لأنه تنقل بين المدن والتقى العلماء، وتعتبر رحلته دراسة اجتماعية قبل كل شيء، فوصف ما رآه وما سمعه ودوّن مختلف تجاربه وملاحظاته، فذكر الأفعال الحسنة لأهل مالي وقلة الظلم وانتشار الأمن ومواظبتهم على صلواتهم وحرصهم على تحفيظ أولادهم القرآن الكريم، ووصف لباسهم الحسن والأبيض خاصة يوم الجمعة كما عدد بعض صفاتهم السيئة إلى غير ذلك[2].

وبعد عهد منسا سليمان دخلت مملكة مالي الإسلامية مرحلة الضعف و الانحطاط، وانحصرت حدودها، وهذا ما ذكره الرحالة الحسن الوزان في كتابه إذ أصبح آخر ملوكها خاضعا للأسكيا محمد الكبير ومثقلا بالضرائب[3]، لتظهر على المسرح السياسي للسودان الغربي مملكة سنغي السودانية التي استمرت إلى غاية العقد الأخير من القرن السادس عشر ميلادي، وهذا ما سيتم التعرض له فيما يلي.

- مملكة سنغي قبل عهد الأسكيين :

تُرجع المصادر والمراجع التي أرخت لهذه المملكة أن تأسيسها يعود إلى القرون الميلادية الأولى حوالي القرن السابع ميلادي، وذلك عقب هجرات القبائل البربرية لمطا أو لمتا إلى منطقة استقرار قبائل السنغي[4] في دندي على الضفة اليسرى لنهر النيجر إذ استطاع هؤلاء البربر أن يؤسسوا أسرة حاكمة تسمى أسرة ديا أوزا[5]، ويعتبر مؤسسها الأول زا اليمن كما ذكر السعدي[6]، اتخذت أسرة ديا أوزا من

---

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج:6، ص: 220.

[2] ابن بطوطة : **المصدر السابق** :ص ص : 441. 456 .

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص:165.

[4] لمعرفة تفاصيل عن هذه القبائل أنظر ص:18 وما بعدها.

[5] حسن إبراهيم حسن: **انتشار الإسلام والعروبة فيما وراء الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربيها**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، 1957م، ص: 66، وأيضا

J.Beraud.Villars: **l'empire de Gao un état soudanais aux XV^e^ et XVI^e^ siècles, paris, 1942**, pp: 3-10.

[6] السعدي :**المصدر السابق**، ص : 6 .

قبائل لمطا أو لمتا مدينة كوكيا عاصمة للمملكة [1]ظلت هذه الأسرة تحكم مملكة سنغي إلى غاية **1325**م[2].

عرفت مملكة سنغي أربعة عشر ملكا ابتدءا من زا اليمن ماتوا جميعا في الجاهلية[3] وفي القرن **5 هـ / 11 م** أسلم ملكهم زَاكْسي طوعا بلا إكراه[4] قام هذا الملك عقب توليه السلطة بنقل العاصمة من مدينة كوكيا إلى مدينة جاو عام **1010 م** [5]، ذكر بازل دافدسن أن الملك الأول الذي اعتنق الإسلام يسمى ضياء ابن قس (زاكسي) سنة **1009 م** أي قبل غزوات المرابطين ويُقِر أنه قد سبق غزوات المرابطين لهذه المناطق في غرب إفريقيا قدوم رجال المرابطين سواء أكانوا تجار أو من الدعاة[6]، وتعزز الإسلام بسنغي عقب حركة المرابطين التي قاموا بها في القرن الحادي عشر ميلادي[7].

ظلّت أسرة ضياء ديا أو زا تحكم مملكة سنغي إلى غاية **1325**[8]، حيث قام **منسا موسي** المالي بالسيطرة عليها وأخذ ولدي الملك السنغي " **زابدا**" **علي كولن** وشقيقه **سليمان** كرهائن مما يدل على التبعية حسب عادتهم في ذلك الوقت[9].

ظلت مملكة سنغي تحت سيطرة مملكة مالي إلى غاية **1335 م**، حيث استطاع **علي كولن** أن يحرر مملكة سنغي من الهيمنة المالية مستغلا الاضطراب الذي عرفته مملكة مالي عقب وفاة **منسا موسى**

[1] بازل دافدسن : **المرجع السابق** ، ص : 156 .
[2] جوزيف جوان : **المرجع السابق** ، ص : 82 .
[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 03.
[4] نفسه .
[5] بازل دافدسن: **المرجع السابق** ، ص : 157 .
[6] نفسه.
[7] حسن إبراهيم حسن : <<**انتشار الإسلام في القارة الإفريقية** >>، في المجلة التاريخية المصرية، مج:14، القاهرة، 1968م، ص: 65 .
[8] **دائرة المعارف الإسلامية...، مرجع سابق، مج 12، مادة سنغاي**، ص : 365 .
[9] عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاى ...** ، **مرجع سابق**، ص : 26 .

وأعلن استقلاله عنها[1]، واتخذ هذا الملك لقب **سني** بمعنى المحرر[2] وبدأت بذلك مملكة سنغي تدخل في دائرة التوسع والتطور خاصة بعد تولى عرش المملكة **سني علي بير** (**1465 م – 1492م**)، الذي قام بعدة فتوحات ودخلت المملكة في طور الإمبراطورية حيث وسّع حدود دولته على حساب القبائل المجاورة[3]، وعائلة **سني** هذه هي فرع من عائلة **آل ضياء** البربرية.

في سنة **1493 م** تولى عرش مملكة سنغي الأسكيا الحاج محمد الكبير عقب ثورة قام بها على **أبو بكر داعو** ابن **سني على بير** ليتولى السودانيون حكم بلادهم كما أشار إلى ذلك المؤرخ المغربي الحسن الوزان في بداية الفترة المدروسة[4].

أصبحت مملكة سنغي أكبر قوة سياسية بالمنطقة المدروسة خلال القرن السادس عشر ميلادي، لكن في أواخر هذا القرن دخلت المملكة في طور الضعف بسبب انهماك الأسكيين المتأخرين في المنازعات العائلية التي أعاقتهم عن الاهتمام بشؤون المملكة الداخلية لتسقط في الأخير على يد السعديين،وسيتم معرفة تفاصيل أكثر عن هذه المملكة في فترة حكم الأسكيين من خلال ما قدمته المصادر المغربية محل الدراسة معتمدة في مناقشة المواضيع التي قدمتها هذه الأخيرة على مصادر ومراجع سودانية وعربية وأجنبية وذلك بغية تقييم موضوعيتها في معالجتها للموضوعات التي طرحتها خاصة ذلك الشق المتعلق بالحملة التي قام السعديين على مملكة سنغي الإسلامية، وكيف تنظر إلى هذه الحملة ؟ والآثار المترتبة عنها في الفصول الموالية.

التطرق لموضوع العلاقات الخارجية للمنطقة المدروسة خاصة مع دول شمال إفريقيا ضروري، لأنه يعكس عمق التواصل بين المنطقتين التي تتجلى مظاهره في الآثار التي خلفها على مختلف مناحي الحياة، وهذا ما أوردته المصادر العربية في العصور الوسطى.

ب/العلاقات الخارجية والآثار المترتبة عنها:

[1] السعدي:**المصدر السابق**، ص:6، وأيضا محمد نبيلة حسن: **المرجع السابق**، ص: 267.

[2] أحمد شلبي: **المرجع السابق**، ص: 259 .

[3] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص ص: 26 – 28.

[4] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص: 160.

تَدُل المصادر التي أرخت لشمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، أن الصحراء لم تكن في يوم من الأيام حاجز في سبيل الاتصال بين المنطقتين عبر مختلف العصور، إذ تعود جذور التواصل بين المنطقتين إلى عصور موغلة في القدم.

فهاهو ذا المؤرخ اليوناني هيرودوت يذكر بأن شعب الغرامنش الذي يسكن منطقة جرمة في صحراء فزان عبر الصحراء بواسطة العربات المجرورة عن طريق الخيول وذلك حوالي عام **450 ق.م** [1] ،ويضيف مؤرخ يوناني آخر وهو (سترابون) بأنه حوالي **400 سنة** بعد ذلك عبرت قبائل صنهاجة الصحراء ، وجلبت من إفريقيا الغربية نوعا من الأحجار الكريمة والغريبة تسمى (كاريونكل) بالإضافة إلى الذهب والعبيد[2]،ومن الواضح أن أغلب الأسفار التي كان يقوم بها التجار إلى المنطقة المدروسة كانت من أجل الذهب خاصة وأن المنطقة عرفت بأرض الذهب [3].

ازدادت تلك العلاقات أكثر عقب دخول الإسلام بلاد المغرب العربي الذي تسرب بدوره عبر القوافل التجارية، وحمله التجار مع سلعهم وانتشر بين سكان المنطقة، إذ أعطت المصادر التي أرخت للمنطقة صورة عن العلاقات التجارية التي كانت تربط شمال إفريقيا و إفريقيا جنوب الصحراء .

فهاهو ذا المقري يذكر على لسان السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني أنه قال يوما عن تجارة السودان:<< **لولا الشناعة لم أنزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر، الذي كل أمور الدنيا له تبع** >>[4]،كما يفيد ابن خلدون بأن عدد القوافل التي كانت تتجه إلى مالي من الشرق قد بلغت اثني عشرة قافلة، وأن ذلك هو الشأن في كل سنة [5]، كما

[1]J. Fage: **A history of Africa**, frist published, Hutchinson, and com, London, 1978, p: 47 نقلا عن هيرودوت.

[2]B.Davidson: **les Africains avant les blans**, traduit par: Pierre vivaud, Paris, 1962, p:30

[3]كعت : **المصدر السابق** ، ص : 41

[4] أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8أجزاء، دار صادر، بيروت، 1968**، ج:5، ص: 206.

[5] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج: 6، ص: 220.

وُجدت البيوت التجارية التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية على نحو منظم كشركة الإخوة المقري[1]، هذه الإفادات وغيرها كثير تدل على وجود علاقات تجارية بين المنطقتين[2].

ولم تقتصر العلاقات على الميدان التجاري فحسب فبالإضافة إلى ما كانت تحمله القوافل التجارية معها من سلع حملت معها أفكار، وحضارة دول البحر الأبيض المتوسط، انعكست مظاهرها على المجتمع السوداني، فمن الآثار التي خلفتها هذه العلاقات اعتناق الدين الإسلامي، فأقيمت المساجد التي حرص ملوك السودان على بنائها، وانتشار اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، وحِرص الأولياء على أولادهم لحفظه[3]، والاحتفالات الدينية، ورحلات الحج التي كان يقوم بها الملوك فيما سجلته المصادر العربية والسودانية، ونظرا لانتشار الإسلام بالمنطقة نسبيا فقد تكونت هناك علاقات ثقافية بين المنطقتين تمثلت في البعثات الطلابية التي كانت تنتقل من المنطقة المدروسة إلى الشمال الإفريقي لتدرس في المراكز الثقافية هناك كتلمسان، فاس، القيروان، والقاهرة، كما وفدت على المنطقة جالية مغربية وعربية لتلقين مختلف العلوم خاصة الدينية للسودانيين وتركزت هذه الجالية أكثر في المراكز الثقافية التي برزت في السودان مثل:تنكبت، جني، جاو، ولاتة وغيرها، وقد وجدت هذه الجالية ترحيبا من طرف الملوك، والشعب السوداني وهذا ما جاءت به الكتب العربية التي أرخت للمنطقة، والملاحظ أن أبناء المنطقة في هذه المرحلة ـــ أي في المد الزماني السابق لهذه الدراسة ـــ لم يخرجوا عن إطار التلقي دون المساهمة في إثراء الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة [4]، على عكس ما حدث في المد الزماني لهذه الدراسة خاصة في عهد الأسكيين إذ دخلت مرحلة جديدة وأصبح أبناء المنطقة يساهمون في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية كما سيتم إثباته في المبحث الثاني من الفصل الثالث في هذه الدراسة، وذلك قبل التواجد المغربي بها.

---

[1] عطاء الله دهينة .<<**العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن 6 إلى القرن 8 هـ ، ودور تلمسان في هذا الميدان** >>، في مجلة الأصالة، ع : 26، الجزائر، جويلية – أوت 1975م ، ص: 102.

[2] لمزيد من التفاصيل عن العلاقات التجارية بين المنطقتين أنظر:

R. MAUNY : **op.cit**, **pp**: 367-441, chérif Khaled sabeur :**<<Dynamique desaxes caravaniers au XV^e et XVI^e >>**in annal of the historien, vol VI, Algérien, juillet 2005, pp:24- 32.

[3] ابن بطوطة : **المصدر السابق** ، ص : 443 .

[4] نعيم قداح:**حضارة الإسلام**.....، **مرجع سابق**، ص: 157.

كما ظهرت آثار على الجانب الاجتماعي منها التخفيف من ظاهرة العراء التي كانت منتشرة في السودان، وأعمال السحر والشعوذة وعبادة الأوثان والأرواح التي كان يمارسها أبناء المنطقة [1]، وانعكس كذلك على نمط البناء الذي كان على النمط المغربي والأندلسي [2]. وغيرها من المظاهر التي تؤكد عمق التواصل بين المنطقتين.

و تعدّت هذه العلاقات الميدان التجاري والثقافي والاجتماعي إلى الميدان السياسي الذي تمثل في السفارات التي كانت بين المنطقتين والتي كانت نتيجة حتمية وذلك أن تبادل المصالح الاقتصادية ترتب عنه مجاملات وتبادل للزيارات الدبلوماسية.

و نكتفي بهذا القدر فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية السودانية لأن الهدف ليس سرد تفاصيل عن هذه العلاقات التيُ طرقت كثيرا من طرف الباحثين بل الهدف هو إبراز جذور التواصل والآثار المترتبة عنها.

ثانيا التعريف بالمصادر المغربية محل الدراسة:

الهدف من هذا المبحث هو التعرف على الكتب التي تم الاعتماد عليها و هي:

1- كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان المعروف بـ ليون الإفريقي [3] :

---

[1] نور الدين شعباني: **المرجع السابق**، ص: 161.

[2] الهادي مبروك الدالي: **العلاقات بين مملكة مالي....، مرجع سابق**، ص: 157.

[3] هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي الذي اشتهر باسم ليون الإفريقي **léon l'Africain** ، ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزناتية، التي تستوطن في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية بين ساحل البحر المتوسط ومجرى وادي لاو والقريب من مدينة شفشاون المغربية، ولد حوالي عام **888هـ /1483م** بغرناطة، انتقل مع أسرته إلى فاس أين تلقى تعليمه بهذه المدينة، اسند ت إليه عدة مهمات سياسية بالإضافة إلى النشاط الدبلوماسي، قام بعدة رحلات خارج بلاد المغرب الأقصى وفي إحدى رحلاته وقع في الأسر على يد القادة الصقليين أواخر سنة 1519م اقتادوه إلى ايطاليا (روما) وقدموه هدية للبابا ليون العاشر(يوحنا المديسي) المعروف بتشجيعه للآداب والعلوم واهتمامه بقضايا الشرق يقال أنه اعتنق المسيحية، و هناك الكثير من الغموض في حياته خاصة الفترة الأخيرة منها فهناك من قال أنه رجع إلى المغرب وعاد للإسلام وهناك من قال بأنه بقي بروما، توفي حوالي **944هـ/ 1537م**، ترك عدة مؤلفات أغلبها في حكم المفقودة من هذه المؤلفات: معجم عربي عبري لاتيني، كتاب في التراجم باللاتينية، مختصر الإسلام وغيرها، وأهم ما ألف هو: كتاب وصف إفريقيا محل دراسة، لمزيد من التفاصيل عن حياته أنظر: **مقدمة الطبعة الأولى لكتاب وصف إفريقيا** لمحمد حجي محمد الأخضر، ص ص:5-23، وأيضا بازل دافدن: **المرجع السابق**، ص: 178 وما بعدها ، وجمال قاسم: **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، 1996م، ص: 160 وما بعدها، إبراهيم حركات : **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، دار الرشاد، الدر البيضاء

يُعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر المغربية التي كتبت عن إفريقيا في بداية القرن السادس عشر ميلادي، وتكمن أهميته في أن المؤلف زار أغلب المناطق التي تعرض لها بالوصف والدراسة، وشهد مختلف الأحداث والتطورات السياسية التي طرأت عليها فكانت أغلب معلومات كتابه نتيجة لسلسلة من رحلات قام بها[1].

وعلى الرغم من أن الكتاب عُرف بوصف إفريقيا إلا أن مفهوم المؤلف عن إفريقيا قد اقتصر على التعريف بالمناطق التي زارها بنفسه والتي توجد إلى الشمال من خط الاستواء[2].

ظهر الكتاب أول مرة في منتصف القرن السادس عشر ميلادي باللغة الايطالية على يد جيان باتيستا رامسيو (GianBatista Ramusio) الذي ذكر في تقديمه للكتاب أن الحسن الوزان (ليون الإفريقي) بفضل تمكنه من اللغة الايطالية استطاع ترجمة كتابه العربي وصف إفريقيا وتاريخها لكن النسخة العربية الأصلية لم يتم العثور عليها، مع أن هناك إشارات أخرى تفند فكرة من أن الكاتب ألف كتابه باللغة العربية أول مرة بل هي مجرد ملاحظات كان يدونها المؤلف اعتمد عليها في كتابه باللغة الايطالية [3].

كان ظهور هذا الكتاب وتعريف رامسيو سببا لظهور ترجمات أوربية كثيرة: اللاتينية والفرنسية والإنجليزية[4] وذلك نظرا لقيمة المعلومات التي حملها هذا الكتاب خاصة ذلك الشق المتعلق بإفريقيا جنوب الصحراء (السودان) والتي كان الأوربيون في تلك الفترة لا يعرفون عن دواخلها شيئا.

أما عن الكتاب الذي تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة هو **ترجمة عن الفرنسية قام بها محمد حجي، ومحمد الأخضر في جزئيين، الطبعة الثانية، الصادرة عن دار الغرب الإسلامي، بيروت،**

1987م، ص ص: 439 -441، محمد المنوني : **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، جزءان، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1983 م، ص ص: 125، 126، وأيضا. R . mauny: **op.cit** , pp: 46,47

Mody cissoko sékéné: **Documents d'histoire de l'ouest Africain pour l'enseignement secondaire- le Moyen âge VII^e^- XVI^e^ siècle-** ,Présence Africaine ,paris,1965,p:69.

[1] R.mauny :**op.cit** , p:46 , M . C. Sékéné :**op.cit**, p:69

[2] جمال قاسم: **مرجع سابق**، ص: 162، إبراهيم حركات: **مرجع سابق**، ص: 440.

[3] جمال قاسم:**المرجع السابق**، ص ص: 183.

[4] محمد المنوني: **المرجع السابق** ، ص: 125.

سنة 1983م، في 722 صفحة، يحتوي الجزء الأول على 344 صفحة بالإضافة إلى مقدمة الطبعة الأولى والثانية (من صفحة 3 إلى الصفحة 26)، وفهارس (من الصفحة 285 إلى الصفحة 340).

فيما يخص مضمون الكتاب فقد جاء في تسعة أقسام وكان محتواها : القسم الأول عبارة عن دراسة عامة لقارة إفريقيا تتناول الطبيعة المناخية والاقتصاد والاجتماع والسكان والقسم الثاني عن: مدينة مراكش بالإضافة إلى بعض مدن الجنوب، الثالث عن: فاس مضافا لها بعض مدن الشمال هذا عن الجزء الأول، أما القسم الرابع بالجزء الثاني عن: مملكة تلمسان، الخامس: مملكة بجاية وتونس وأهم مدنها، السادس منطقة نوميديا السابع، ممالك السودان، الثامن: مصر المملوكية، التاسع: الأنهار الكبرى والنباتات والمعادن.

القسم الذي يهم في هذه الدراسة هو القسم السابع المتعلق ببلاد السودان في الجزء الثاني من الصفحة 159 إلى الصفحة 181، وأغلب المعلومات المتعلقة به كانت نتيجة للرحلتين التي قام بهما في (**1510 و 1512 – 1514 م**)[1] للسودان وكان سبب إحدى الرحلتين يدخل ضمن السفارة التي أرسلها الملك محمد الوطاسي المغربي الملقب بالبرتغالي حكم في(**1505– 1524م**) إلى الأسكيا محمد الكبير مع أن سبب السفارة غير معروف[2]، في هذا القسم ذكر الممالك الخمس عشرة التي زارها وهي موزعة بين: السودان الغربي، والشرقي، والأوسط –كما سبق وتم الإشارة إلى ذلك – وعاشر سكانها واستقبل من طرف ملوكها ورؤسائهم وأعيانهم ودرس عاداتهم وتقاليدهم، فأعطي تفاصيل تاريخية هامة رواها شاهد عيان عن هذه المناطق ولم تقتصر معلوماته عن مشاهداته وملاحظاته فقط بل أشار إلى من سبقه من المؤرخين والجغرافيين العرب الذين تعرضوا لهذه المناطق[3]، هذا وأشار الباحث **رايموند موني** إلى أن الحسن الوزان يختلف عن من سبقه في أن مادته أصلية صاحبها كتب ما شاهده بنفسه، في حين أن

---

[1].M.C:Sékéné:**op.cit**, p:69.

[2] عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ، 9 مجلدات، مطابع فضالة، المحمدية، 1988 م، مج: 7، ص: 314 .

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 159.

الكثير من الرحالة الجغرافيين العرب اقتصروا في تعريفهم بهذه المناطق على الرحالة والمغامرين الذين ارتحلوا إليها، لذلك تعتبر المعلومات التي أوردوها مادة ثانوية وليست أصلية[1].

لكن تجدر الإشارة إلى أن المعلومات التي حملها هذا الكتاب لم تكن كلها صحيحة فمثلا: يذكر أن العرب لم يصلوا للسودان قبل السنوات الأخيرة من القرن العاشر ميلادي حينما بدأ التجار العرب والمغاربة يصلون إليها منذ ذلك الوقت عن طريق الصحراء[2]، ولكن الثابت أن العرب وصلوا إلى السودان الغربي في فترة سابقة عن الفترة التي ذكرها الرحالة الحسن الوزان وهذا ما أثبته المصادر العربية في العصور الوسطى[3]،كما أن التواريخ التي أوردها في كتابه أغلبها لم تكن مضبوطة وقد برّر ذلك بنفسه من أنه اعتمد على ذاكرته في تدوين الكثير من المعلومات لأنه لم يطلع منذ عشر سنوات على كتاب عربي إسلامي[4].

تكمن أهمية هذا القسم من كتابه الذي عرض فيه ممالك السودان أنه يمكن التعرف على التغيرات العديدة التي حدثت في المنطقة منذ وصف الرحالة والمؤرخون العرب في العصور الوسطى كالبكري (**ق 5 هـ / 11 م**)، الإدريسي (**6 هـ / 12 م**)، ابن بطوطة (**8 هـ/ 14 م**) وغيرهم فمثلا: مملكة مالي التي كانت في الفترة التي زارها فيها ابن بطوطة في أوج ازدهارها وهي المسيطرة على أقاليم السودان فقدت سيادتها في الوقت الذي ساح فيه الحسن الوزان وأصبحت تابعة لمملكة سنغي[5]، وهذه المملكة الأخيرة كانت الأسرة التي تحكمها هي القبائل الليبية البربرية ثم استطاعت القبائل السودانية أن تستعيد حكمها عليها عقب الثورة التي قام بها الأسكيا محمد الكبير الأسود[6].

وقد تم عرض مختلف المعلومات التي قدمها الحسن الوزان عن المنطقة المدروسة في الفترة المدروسة موزعة بين فصول الدراسة.

---

[1] R.Mauny:**op.cit**. P: 46

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص: 159.

[3] أنظر: المبحث الأول من هذا الفصل .

[4] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 1، ص ص : 35 ، 36 .

[5] نفسه، ج: 2 ، ص : 165 .

[6] نفسه، ص:160.

2- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا لعبد العزيز الفشتالي[1] :

كاتب هذا الكتاب هو المؤرخ المغربي عبد العزيز الفشتالي والذي عرف بوزير القلم لسلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي[2]، كان مكلفا بتحرير الرسائل و المستندات الرسمية منها على الخصوص نص بيعة ولي العهد المأمون[3]، ونص رسالة بيعة ملك بورنو[4] وغيرها وقد أكسبته هذه المكانة حظ كبير داخل البلاط السلطاني الشيء الذي مكنه من الاطلاع على مجريات الأمور والوقائع. ولعل السبب في تأليفه لكتابه هو أن المنصور توصل إلى تأليف تاريخي يحمل الكثير من المغالطات والأخطاء الأمر الذي دفعه إلى تكليف الفشتالي بتدوين تاريخ الدولة السعدية وبذلك أصبح مؤرخ الدولة الرسمي[5]، اعتبر الباحث دراماني إيسيفوا(DRAMANI ISSIFOU) هذا الكتاب مصدر رئيسي لمعرفة الوضع الداخلي والخارجي للمغرب في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي[6].

أُعتبر هذا المصدر منذ القديم في حكم المفقود كما أشار إلى ذلك الباحث ليفي بروفنصال في فهرسته النقدية مؤرخو الشرفا، وقد اعتمد ليفي في نقده لهذا الكتاب على المقتبسات الطويلة التي أخذها

---

[1] هو عبد العزيز بن محمد إبراهيم الصنهاجي الفشتالي نسبة إلى قبيلة فشتالة المغربية، اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته حيث نجد أحمد بن القاضي جعلها عام (**952هـ/1546م**)، في حين أن أحمد المقري جعلها عام (**956هـ/1549م**)، وإذا أخذ بهذا التاريخ الأخير فإنه يكون قد ولد في نفس السنة التي ولد فيها السلطان السعدي المنصور. اشتهر بكنيته أبو فارس ويكنى أيضا أبا محمد وهو ابنه، وكنيته الأولى هي من باب الكنية الاصطلاحية كقولهم لعبد الرحمن أبو زيد، وأحمد أبو العباس وغيرها. نشأ عبد العزيز في مسقط رأسه وحفظ القرآن ثم توجه إلى فاس أخذ عن علمائها كما أخذ عن علماء مراكش. كان عبد العزيز الفشتالي يطمح إلى منصب عالي لذا توجه إلى مراكش عاصمة السعديين، تولى مهام الكتابة و الإنشا في ديوان إنشا ولي العهد محمد المأمون ابن المنصور بفاس عام(**988هـ/1580م**)، ثم انخرط في صفوف موظفي الديوان السلطاني للإنشا ثم أصبح وزير للقلم في عهد المنصور والكاتب الرسمي للدولة السعدية. واستنادا على مترجمي الفشتالي فقد ترك العديد من المؤلفات لكنها في حكم المفقود .توفي في مراكش (**1031هـ/1621م**)لمزيد من التفاصيل أنظر: أبي العباس احمد بن محمد المكناسي (ابن القاضي): **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ج:3، ص: 129، وما بعدها، وأيضا المقري: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، المطبعة الملكية، الرباط، 1964م، ص:112 وما بعدها، وأيضا ليفي بروفنصال: **مؤرخو الشرفا**، تعريب :عبد القادر الخلادي،الرباط،1977 م ،ص :80 ،وما بعدها ،وأيضا عبد الله كانون :**ذكريات مشاهير رجال المغرب – الفشتالي–**، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت .ن ،ص ص:15وما بعدها، وأيضا عبد الكريم كريم :<<**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**>>، في المجلة التاريخية المصرية، مج :15، المطبعة العالمية القاهرة، 1969م، ص: 239، وما بعدها، وأيضا محمد المنوني: **المرجع السابق**، ص: 141 وغيرهم.

[2] ابن القاضي :**المصدر السابق**،ص:129.

[3] الفشتالي: **المصدر السابق**،ص:82 وما بعدها .

[4] نفسه، ص:69.

[5] ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص:48، إبراهيم حركات: **مرجع سابق**، ص:8.

[6] Zakari Dramani Issifou : **l'Afrique noir dans les relations Internationales au 16e siècle - analyse de la crise entre le Maroc et Songhaï –**, Paris, 1982.P: 21.

المؤرخون اللاحقون عن كتاب الفشتالي كالوفراني في كتابه **النزهة**، والناصري في كتابه **الاستقصا** وغيرهم.

لكن في سنة **1962**م عُثر على نسخة من الجزء الثاني من كتاب المناهل من أصل ثمانية أجزاء وهذا ما ذكره المؤرخون الذين ترجموا للفشتالي أمثال: المقري [1]، وهناك نسخ من هذا الجزء في تونس والرباط.

ظهر هذا الكتاب أول مرة على يد عبد الله كانون الذي نشره في **1964**م[2] إلا أن هذه النسخة تعتبر مختصرة و ناقصة[3].

قام الباحث عبد الكريم كريم بإعادة تحقيق الكتاب باعتماده على نسختين مخطوطتين لمناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا في الخزانة الملكية بالرباط[4]، وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على الكتاب الذي حققه هذا الأخير نشر ضمن **مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الثقافية وجاء في 307 صفحة من الحجم الكبير، قسمها إلى 39 بابا ومقدمة لهذه النسخة**، والملاحظ عن هذا الكتاب أن الجزء الذي تم العثور عليه هو خاص بعهد المنصور الذي يبتدئ من ولايته إلى بداية المائة الهجرية الحادية عشر (**986 –1006هـ/1578–1597م**)[5].

يعرض المؤلف الأحداث السياسية المعاصرة ويخلل ذلك بذكر منجزات حضارية متنوعة إدارية واقتصادية واجتماعية ومعمارية وفكرية وتسجيل جملة من الوثائق[6]، وقد علق الباحث المغربي إبراهيم حركات على كتاب مناهل الصفا:<< **أن صاحبه لا يهتم إلا بالجانب الإيجابي من أعمال المنصور، ولا يذكر الجانب السلبي، إلا ما يتناول أعمالا قام بها أشخاص معادون له، وهكذا فإن نقط الضعف في سياسة المنصور وسلوكه، وكذا ما يهم وضعية المجتمع المحكوم، ونشاطه لا يجد**

---

[1] المقري: **روضة الآس...، مصدر سابق**، ص ص: 161، 162.

[2] عبد الله كنون: **المرجع السابق**، ص:24، و أيضا عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص:239.

[3] نفسه، ص:238.

[4] نفسه.

[5] عبد السلام بن عبد القادر(ابن سودة): **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، جزءان، ط:2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، ج:1، ص: 162.

[6] محمد المنوني: **المرجع السابق**، ص ص: 141،142.

مكانا يستحقه في هذا الكتاب الذي يظل مع ذلك عملا رسميا يمثل رأيا ومنهاجا رسميين>>[1] كما قيّم الباحث المعاصر ليفي الكتاب استنادا على المقتبسات التي اعتمد عليها المؤرخون من بعده فقال عنه: <<**أن المُؤلف جعل كتابه مديحا، و تقريض أسرة المنصور الشريفة**>>[2]، لكن ما يهم هنا هو المواضيع التي طرقها والمتعلقة بالمنطقة المدروسة والتي جاءت في: **12 فصلا انطلاقا من الاستيلاء على توات و تيكورارين الصفحة 73 إلى الحدود رجوع محمود باشا من السودان أي ما مجموعه 58صفحة**، قال عن هذا الجزء الباحث درامابي بأنه من أحد المصادر الهامة لدراسة العلاقات بين السودان والمغرب الأقصى، حيث أبرز مرحلة هامة من تاريخها[3]، وخصصت أغلبها للجانب السياسي خاصة المتعلقة بالحملة التي قام بها السعديين على مملكة سنغي الإسلامية، كما عُزز المؤلف بالعديد من الوثائق والمتمثلة في الرسائل التي كان يبعث بها المنصور إلى أعيان وعلماء السودان الغربي[4] ورسالة المنصور إلى ولاة الأقاليم ليبشرهم بالفتح[5]،كما تناول بعضا من الجوانب الجغرافية والاقتصادية والثقافية بالمنطقة المدروسة.

ونظرا لأسلوب الفشتالي المليء بالاستعارات المعقدة وطابع السرد والمبالغة الذي غلب أحيانا على بعض النصوص، مما يُصعب على القارئ عملية التقاط المواد التاريخية المتعلقة بالمنطقة المدروسة.

بمقارنة هذه المعلومات التي قُدمت في هذا المؤلف مع المصادر والمراجع السودانية والعربية والأجنبية يمكن الاستنتاج أنها لم تكن في مستوى الموضوعية، وقد أشار إلى ذلك الباحث درامابي عندما شكك في الحدود التي امتدت لها حدود الدولة السعدية في عهد المنصور كما أوردها الفشتالي وقال عنها أنها جزئية غير ثابتة[6] فيلاحظ أنه عندما يتعلق الأمر بمعلومة قد تحط من قدر المنصور لا يذكر بالمرة وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه ليفي بروفنصال وإبراهيم حركات كما سبق وتم الإشارة إليهم، وهذا ما سيتم إثباته في هذه الدراسة.

[1] إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص:8.

[2] ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**،ص:81.

[3] Z. D.Issifou :**op.cit**, p : 22.

[4] الفشتالي : **المصدر السابق** ،ص: 123 وما بعدها .

[5] نفسه ،ص:143 وما بعدها .

[6] Z. D.Issifou :**op.cit**, p : 22.

3- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الوفراني[1]:

يُعتبر كتاب نزهة الحادي أحد المصادر المغربية الهامة لدراسة العلاقات التي كانت بين المغرب والمنطقة المدروسة رغم أنه ألف في فترة لاحقة للمد الزماني لهذه الدراسة لكنه احتوى على معلومات استقاها من مصادر هي الآن في حكم المفقود وعليه فهو يعتبر في هذه الحالة مصدر،كما أورد مجموعة من الأحداث وقعت في الفترة التي كتب فيها الفشتالي مُؤلفه المناهل لكن لم يذكرها بالإضافة إلى أنه يبدي رأيه في الأمور المتعلقة بالسودان، وقبل الخوض في هذه التفاصيل نعطي فكرة عن الكتاب.

بدأ المؤرخ كتابه بنشأة الأسرة السعدية وتعرض في آخره لبداية الأسرة العلوية إلى عهد المولى إسماعيل، فالكتاب يغطي فترة قرنين من الزمن رغم أن عنوانه يوحي بأنه سيقتصر فيه على تاريخ قرن واحد حيث أن الوفراني اعترف بنفسه أنه سيتعرض لأخبار كافة الأشراف السعديين فإنه ذلّل تلك الصعوبة بقوله: << **وهذه الدولة السعدية وإن كان ابتداؤها عام ستة عشر من القرن العاشر وأول الحادي عشر فلذلك ادرجناها في الحادي ، وما قارب الشيء فهو في الحكم محادي**>>[2].

كان الدافع لتأليف الوفراني لهذا الكتاب هو ميله العاطفي إلى السعديين إذ قال:<< **وإني لم أزل منذ علقت تميمة التمييز في عضدي، وجعلت سوار الطلب في زندي، متشوقا إلى أخبار الدولة السعدية، وسائلا هل استنشق أحد نفحات أخبارها الوردية فلما لم أرى إلا مجيبا بلا، تيقنت أن رسم العلم غيره البلاء، وقمت منتهزا الفرصة، ومفرغا على خاتم السبق من الإفادة قصة علما مني بأني أحسنت في التدوين، وذبحت خوان الأخبار ربما يشتهي من التلوين كان ما تنهيه من الإصابة والتأييد، وإلا كنت محركا لهمة غيري ومعينا له على التعقيد، وفي كلا الحالتين**

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الملقب : بالصغير والمشهور باليفريني أو الإفراني أو الوفراني حسب الكتب التي ترجمت له، وقد أخذنا بلقب الوفراني وذلك كما ورد في الكتاب الذي تم الاعتماد عليه، ولد بمدينة مراكش حوالي (**1080هـ/1670-1669م**) تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه على يد علماء مراكش، رحل إلى فاس وأكمل دراسته هناك حيث أخذ عن عدد من كبار العلماء هناك، والراجح أنه عمل بالمخزن السلطاني العلوي واشتغل في خط الكتابة ببلاط السلطان إسماعيل العلوي (**1672-1727م**) خلّف العديد من المؤلفات تمثلت في: المسلك السهل في شرح بن سهل وهو باكورة إنتاجه أتمه في الثامنة والأربعين من عمره، الظل الوريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف انتهى منه سنة (**1133هـ/1721م**) وغيرها، هناك اختلافات في تاريخ وفاته فهناك من قال أنه توفي في أواخر **1152هـ** وأوائل **1153هـ/1740م** وهناك من قال أنه توفي في حوالي **1151هـ/1739م**. عن الترجمة أنظر: ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص:89، وأيضا محمد المنوني: **المرجع السابق**، ص:159، 160، وغيرهم .

[2] محمد الصغير الوفراني : **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**، تقديم: هوداس، باريس، 1888 م، ص:2.

فالتجارة رابحة >>[1] كما استنتج ليفي الميل الذي يكنه الوفراني للسعديين من خلال تألم المؤلف عندما قام السلطان إسماعيل العلوي بهدم قصرالبديع[2]،كما كان الوفراني يُريد أن يجعل كتابه ذيلا **لروض القرطاس لأبي زرع** و**روضة النسرين في دولة بني مرين لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر** لكنه عدل عن ذلك[3].

اعتمد الوفراني في تأليف كتابه على الكثير من التقاييد والمذكرات والوثائق والمستندات والكثير من المصادر حددها ليفي بروفنصال في **43 مصدرا** بعضها يتصل بالتاريخ العام وبعضه بتاريخ الدولة السعدية وغيرها[4]، كما أثني بروفنصال على الوفراني بأنه واسع الثقة وهذا ما يدل عليه نقده لأقوال بعض المؤلفين الذين أخطئوا في تعليل وتفسير بعض المعلومات[5].

أما عن أسلوبه فهو لا يخلوا من الطلاوة ولا يتأخر الإمعان في استعمال المحسنات البديعية لا سيما حينما يريد أن يَلُف بعض الحقائق المرَّة الخاصة بالإدارة المركزية [6].

بعد إعطاء لمحة عن محتوى الكتاب يجب التذكير أن الكتاب الذي تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة هو الذي قدمه **هوداس عام 1888م، 315صفحة، 81 مبحثا**.منها75مبحث لأيام السعديين والباقي لأوائل الدولة العلوية إلى عصر السلطان أبي الفداء إسماعيل بن الشريف.

بالعودة إلى سياق عرض ما يتعلق بالدراسة فإن موضوع السودان شكل حيزا هاما في الكتاب وقد جاءت الأبواب المتعلقة بهذا الجانب متشابهة لما سار عليه الفشتالي خاصة من حيث ترتيب الفصول إذ بدأ بذكر موضوع فتح توات وتيكورارين وكان مجموع الصفحات 12صفحة، اعتمد فيها بالدرجة الأولى عما نقله من مؤلف المناهل مع إبداء رأيه في بعض الحالات مثل تعليقه على رد المنصور لرجاله المعارضين لمسألة توجيهه لحملة إلى السودان.

---

[1] نفسه.

[2] ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص:94.

[3] نفسه.

[4] نفسه ،ص:96.

[5] نفسه.

[6] نفسه ،ص:89.

كما أورد معلومات أخرى متعلقة بأصل آل سكية وحكامها ووصف سِيَّرهم واتصالاتهم وذلك فيما نقله عن **الإمام التكروري** في كتابه **نصيحة أهل السودان،** لكن معلوماته عن الملوك الذين تولوا الحكم بعد الأسكيا الحاج محمد الكبير لم تكن بالدقيقة ، كما انه ذكر ما لحق آل آقيت على يد السعديين، أما عن طريقة معالجته للمواضيع المتعلقة بالسودان فهي أكثر موضوعية مقارنة مع الفشتالي وهذا ما أثبتته الدراسة.

4 – تأريخ الدولة السعدية الدرعية التكمادرتية لمؤلف مجهول[1] :

هذا الكتاب ألف هو الآخر في المد الزماني اللاحق للدراسة، لكن تكمن أهميته في أنه يحمل معلومات عن منطقة هذه الدراسة لم ترد إلا عنده،كما أن له طريقته الخاصة في عرضها وقبل الخوض في تفاصيلها يجب معرفة محتوى الكتاب ودوافع تأليفه، الذي ألفه صاحبه حوالي (**1090هـ/1679م–1680م**)[2].

الكتاب عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الثورات ،المؤامرات ، الاغتيالات، والمحاصرات ، والغزوات التي توالت بالمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر ميلادي استهلها المؤلف بذكر أخبار السلطان مولاي محمد الشيخ الملقب بالأصغر وهو يشمل تفاصيل دقيقة عن اغتيال العالم عبد الواحد الونشريسي، وعن حصار محمد الشيخ لمدينة فاس وانتصاره على أحمد الوطاسي وعن فرار عم هذا الأخير أبي حسون إلى الأندلس ثم الجزائر ورجوعه إلى فاس صحبة فصائل من الجيش التركي وآخر

[1] لم يتوصل الباحثون المعتنون بكتاب تاريخ الدولة السعدية إلى التعرف على مؤلفه على وجه الدقة واكتفوا بقولهم بأنه قد يكون ذا أصول وطاسية، فاسي النشأة أو مكناسي واستندوا في أنه من أصول وطاسية وذلك لأن المؤلف يتحسر كلما ذكر ما جرى للوطاسيين على يد السعديين، أما عن الفاسي النشأة فذلك من خلال وصفه الدقيق لهذه المدينة و حاراتها وسكانها وأبوابها، أما عن المكناسي النشأة وذلك أنه كلما ذكر المؤلف هذه المدينة يتبعها بدعائه: " **أمنها الله**"، لمزيد من التفاصيل عن الترجمة أنظر: مؤلف مجهول: **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرتية**، جورج كولان، الرباط، 1934م، (مقدمة النشر)، ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص:97، وما بعدها، وأيضا إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص: 11، وأيضا محمد المنوني: **المرجع السابق** ،ص:158، 159 .

[2] ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص:97,

الأمر عن موت أبي الحسون، وعن استيلاء مولاي محمد الشيخ على حاضرة فاس وقتله لعلي أبي محمد الزقاق ،ذكر الباحث ليفي بروفنصال أن المتصفح لهذا الكتاب يدرك أن صاحبه كان يرغب قبل كل شيء في تسجيل الأحداث التي وقعت في عهد الأمير السعدي الأول محمد الشيخ لأنه لم يخصص لخلفائه ومنهم أحمد المنصور إلا نتفا ضئيلة[1].

ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد اهتم به العديد من المؤرخين والباحثين مثل الو فراني في كتابه النزهة كما نقل عنه الزياني مع أن الوفراني كثير التحفظ فيما ينقل منه ويوجز كل ما فيه من التحامل على رجالات الدولة السعدية .

أكد الجميع أن الطابع الذي يميز مؤلف تاريخ الدولة السعدية هو طابعه الانتقادي وبعده عن المبالغة والمدح والثناء[2].

أما عن المادة المصدرية التي اعتمد عليها فيلخصها المؤلف بأنها مصادر شفوية استقاها من شخصيات عاصرت وعايشت الأحداث وشاركت فيها إذ ذكر مثلا أنه استمد أخبار السودان من شخصية مجهولة فقال: <<**وحدثني رجل من القوم**>>[3].

أما فيما يتعلق بمواضيع الدراسة فقد تناول الحملة المغربية على السودان بقيادة محمود باشا وتكلم عن الغنائم التي حصل عليها المنصور...، و غيرها من المواضيع التي سترد في محلها من فصول هذه الدراسة، كما أعرب عن وجهة نظره المعارضة لهذه الحملة.

الكتاب الذي تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة هو الذي اعتنى بنشره **جورج كولان، المطبعة الجديدة، الرباط، 1934 م، جاء في 112صفحة، مقدمة وفهارس وضعها الناشر.**

5- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور لابن القاضي[4]:

[1] نفسه، ص:100.

[2] نفسه، أحمد المنوني : **المرجع السابق**، ص: 158، إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص: 11.

[3] مؤلف مجهول: **المصدر السابق**، ص 68.

[4] هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الزناتي المكناسي نسبة إلى مكناسة أحد القبائل البربرية لا إلى مدينة مكناسة، توارث أجداده خطة القضاء لمدة طويلة حتى اشتهرت عائلته بتسمية ابن القاضي انتقلت هذه العائلة من مكناس إلى فاس أين ولد المترجم له في جماد الأولى سنة

ألف ابن القاضي هذا الكتاب ما بين (**995هـ-998هـ**)خصصه للسلطان أحمد المنصور الذهبي وقدمه له اعترافا للمنصور بجميل هو أنه افتداه من الأسر[1] فهو يعدد فضائله ويسهب في عرض مناقبه وصفاته الخلقية و الخقلية ويشيد بعدله ونزاهته وورعه ومعارفه وصبره وعنايته بالعلوم وبموسم المولد النبوي ومن خلال هذا الوصف تكشف معلومات تاريخية مهمة ، وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على الكتاب الذي قدم له وحققه **محمد زروق، في جزئين، الصادر عن مكتبة المعارف سنة 1986، جاء في 1021 صفحة**.

و قدم معلومات تتعلق بموضوع الدراسة خاصة الحملة التي قام بها جيوش المنصور بالسودان وهذا ما سيتم عرضه في الفصول الموالية.

6- كتاب رسائل سعدية :

و هو عبارة عن مجموعة من الرسائل الصادرة عن الدولة السعدية إلا أن أكثر هذه الرسائل صدرت عن سلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي.

قام الباحث المعاصر عبد الله كنون بجمع هذه الرسائل وقدمها في كتاب وضع له **مقدمة وجاء في 263 صفحة**. وهو الذي تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة، فقد جاء في أول عبارة من النسخة التي حققها عبد الله كنون <<**تقييد بعض ما عثرت عليه من المكاتبات السلطانيات و الظهائر الأمامية مما صدر عن كتاب الدولة العباسية المنصورية قد سما الله**>>[2]،كما أن أغلب هذه

(**960هـ/1553م**) وتلقى تعليمه على يد والده وعلماء المغرب ولكي يستكمل تكوينه رحل إلى المشرق واتصل بالعلماء و أخذ عنهم مكث هناك مدة طويلة ثم عاد إلى بلاده أين جلس للتدريس وإفادة الطلاب، وبعد ذلك بعثه المنصور إلى المشرق حيث وقع في الأسر على يد القراصنة قرب هنين الواقعة في الغرب الجزائري في **14 شعبان 994هـ**، عانى ابن القاضي خلال الأَسر وفقد العديد من الوثائق التي كانت معه ثم اتصل ابن القاضي بالسلطان أحمد المنصور الذهبي من أجل افتدائه وهو الأمر الذي قام به المنصور . خلّف ابن القاضي العديد من المؤلفات: درة الحجال، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الإعلام بمدينة فاس، درة السلوك فيمن حول الملك من الملوك ... وغيرها، أنظر عن ترجمته، ابن القاضي: **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور** ، جزءان، تحقيق: محمد زروق، مكتبة المعارف، 1986م (مقدمة التحقيق) ص ص:1-231، وأيضا ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص:83 وما بعدها، وأيضا محمد المنوني: **المرجع السابق**، ص: 140 و ما بعدها، وأيضا إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص:437 وما بعدها.

[1] أنظر ترجمته أعلاه.

[2] **رسائل سعدية**، تحقيق: عبد الله كنون، دار الطباعة، تطوان، 1954م، ص:11.

الرسائل من إنشاء الكاتبين عبد العزيز الفشتالي، ومحمد بن علي الفشتالي، وتكمن أهمية هذه الرسائل أنها تحتوي في مضامينها المواضيع المتعلقة بالمنطقة المدروسة،و سنورد تفاصيل أكثر عنها في الدراسة.

الفصل الثاني: الوضع السياسي للسودان الغربي في الفترة (1493 – 1612 م) من خلال المصادر المغربية محل الدراسة .

- أولا مملكة سنغي في عهد الأسكيين من 1493م إلى 1591 م:

1 – الأسكيا محمد الكبير وظروف تقلّده الحكم .

2– الملوك الذين تولوا الحكم بعد الأسكيا الحاج محمد الكبير.

3– التنظيمات الإدارية في عهد الأسكيين.

- ثانيا العلاقات السياسية السودانية المغربية من خلال المصادر المغربية محل الدراسة:

1– قبل عهد السلطان أحمد المنصور.

2– في عهد السلطان أحمد المنصور.

- ثالثا استعدادات المنصور لغزو السودان الغربي في 1591م:

1– تشاور المنصور مع أعضاء مجلسه .

2– الاستعدادات للحملة العدد والعدة .

3– مسالك جيش المنصور نحو السودان.

- رابعا السودان الغربي من 1591 م إلى 1612 م من خلال المصادر المغربية:

1- الاحتلال المغربي للسودان الغربي .

2- موقف المغاربة من الحملة .

3- موقف السودانيين من الحملة.

4- الباشاوات المغاربة الذين حكموا السودان الغربي من (1591إلى 1612م)

أولا مملكة سنغي في عهد الأسكيين من 1493م إلى 1591 م :

أول مصدر من المصادر المغربية محل الدراسة يمدنا بمعلومات عن بداية الحكم الأسكيين لسنغي في السودان الغربي هو كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان، لأنه زار المنطقة في بداية الفترة المدروسة واطلع على أحوالها السياسية وأعطى معلومات لا توجد عند غيره من الكتاب الذين تم الاعتماد عليهم في هذه الدراسة، فذكر وقائع كان شاهدا عليها أو عاصر من عاشها، وهو من حسن حظ مملكة سنغي كما قال أحد الباحثين المعاصرين[1]، عند ذِكر الحسن الوزان الممالك الخمس عشرة التي زارها والموزعة بين السودان الغربي والسودان الأوسط والسودان الشرقي – كما سبق وتم الإشارة إلى ذلك –[2]، يقول إنّ أغلب هذه الممالك خاضعة لملك تنبكت الأسكيا أبو بكر محمد الكبير، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الحسن الوزان كان يعتقد أن عاصمة مملكة سنغي هي مدينة تنبكت في حين أن العاصمة الحقيقية أي السياسية هي مدينة جاو وربما مَردّ ذلك إلى شهرة تنبكت باعتبارها أهم مركز من مراكز الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة فيقول: <<......**إلا أنها (أي الممالك الخمس عشرة) خاضعة لثلاث ملوك : ملك تنبكت[تنبكت] (أي ملك جاو) الذي يملك الحظ الأوفرمنها** ......>>[3].

1 – الأسكيا محمد الكبير وظروف تقّلده الحكم :

يشير الحسن الوزان إلى الانقلاب الذي قام به الأسكيا محمد الكبير على سني أبو بكر داعو وسلبه حكمه واستعادة حكم السودانيين لبلادهم، بعد ما كان يحكمهم الليبيين لمدة طويلة فقال:<<.... **أبو بكر أسكيا(أي الأسكيا محمد الكبير) من الجنس الأسود ، كان قد عين قائد أعلى من قبل ملك تنبكت [تنبكت] وكاغو[جاو] سني علي الذي هو من أصل ليبي، وبعد موت سني علي ثار أبو كر على أبنائه وقتلهم ثم خلص جميع السود من رقبة رؤساء قبائل ليبيا**>>[4]،

---

[1] وهو بازل دافدس يقول :<<.... **من سعد سنغي و بعض الدول السودانية الأخرى في هذا الإقليم أن أعمال ليون أفريكا (الحسن الوزان) تتصدى لها بكثير من النور المضيء، وليس فيمن نعرف حتى اليوم من أحق بالشهادة من هذا العالم الجليل ذي البصر النافذ والعقل الرصين لأنه شهد أكثر ما كتب عنه بعينه** >>، أنظر كتابه: **إفريقيا تحت أضواء ......، مرجع سابق**، ص: 178.

[2] أنظر الفصل الأول من هذه الدراسة، ص:12 وما بعدها.

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:1، ص: 33.

[4] نفسه، ج: 2، ص: 160.

وهذا فعلا ما أكدته المصادر السودانية التي أرخت للمنطقة وأعطت تفاصيل أكثر دقه عن هذه المعركة والأساليب التي اتبعاها الأسكيا محمد الكبير لدعوة سني أبو بكر داعو قبل المواجهة بالسلاح وذلك سيرا على خُطى الحكام المسلمين بالدعوة ثم التهديد ثم المواجهة العسكرية، وكان أحد سفرائه إلى هذا الملك صاحب كتاب تاريخ الفتاش[1] المؤرخ محمود كعت الذي أعطى معلومات كان صاحبها شاهد عيان عليها، فلا بأس بإعطاء لمحة عن الأسكيا محمد الكبير.

ورد بعض الخلاف في المصادر التي أرخت للأسكيا محمد الكبير فالمؤرخ محمود كعت نعته بالتوردي أصلا و الكوكوي دار ومسكنا [2]، والسعدي أطلق عليه اسم محمد بن أبي بكر الطوري وقيل السلّنكّي[3].

ويتضح من النصوص – المشار إليها – أنه لا يوجد خلاف كبير في ضبط اسمه، والخلافات البسيطة تعود ربما إلى تعدد اللهجات أو النطق أو طريقة الكتابة بسبب تعدد المجموعات العرقية التي كانت تضمها سنغي، أما أصله ففيه خلاف في الآراء وعن هذا الموضوع يقول محمود كعت: << .... **هذه ترجمة أمير المؤمنين وسلطان المسلمين أبي عبد الله أسكى محمد بن أبي بكر...... قيل من طور وأمه كسي بنت كركي بكر، ورأينا من ساق نسب أمه إلى سبط جابر بن عبد الله الأنصاري** >>[4]، في حين أن المؤرخ المغربي محمد الصغير الو فراني[5] ذكر بأن الأسكيا محمد الكبير ينتسب إلى أسرة صنهاجية << **آل سكية أصلهم من صنهاجة** >>[6]، وفي هذا الصدد يعتقد الباحث الجزائري المعاصر عبد القادر زبادية أن الأسكيا من أصل سراكولي[7]، ويقول إن أجداده الأوائل قد هاجروا من موريتانيا الراهنة أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي أثناء الأحداث التي شهدتها النواحي الغربية

[1] أنظر عن الكتاب وصاحبه في الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص:123.

[2] محمود كعت :**المصدر السابق**، ص :10.

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص:71.

[4] محمود كعت : **المصدر السابق**، ص ص :58، 59.

[5] أنظر عن ترجمته في المبحث الثاني من الفصل الأول، ص ص:43، هامش رقم: 5.

[6] الوفراني :**المصدر السابق**، ص: 79.

[7] سراكولي : هو لقب تطلقه قبائل الوولوف على قبائل السوننك أنظر الفصل الاول من هذه الدراسة ،ص:16.

في منطقة السودان الغربي بسبب حركة المرابطين وقد هاجرت أسرته، وسكنت منطقة النيجر الأوسط وتمازجت بقبائل السنغي[1].

وفيما يتعلق بتحديد فترة وطريقة وصول الأسكيا محمد الكبير للحكم، فلا توجد خلافات واضحة حولها، فقد اتفقت المصادر المغربية محل الدراسة مع جل الكتابات الأخرى التي تناولت هذا الموضوع من أنه تولى العرش بعد أن أطاح بابن سني علي وخليفته المدعو أبو بكر داعو وذلك عام **889هـ[2]/1493م**، وكما سبق وتم الإشارة إلى أن كلا من المصدرين السودانيين تاريخ الفتاش[3]، وتاريخ السودان[4] أعطيا تفاصيل عن المعركة التي دارت بين أنصار الأسكيا محمد الكبير، وأنصار سني أبو بكر داعو، و ملخصها أن المعركة جرت في مكان يُدعى انفع[5] أو انكع[6] قرب مدينة جاو، ولما انكسر جيش الملك سني أبو بكر لاذ بالفرار من وجه أنصار الأسكيا محمد الكبير والتجأ إلى منطقة أين[7] أو اير[8]، فدخل الأسكيا محمد الكبير العاصمة جاو منتصرا وسط جيشه الكبير.

تتفق جل المصادر والمراجع على أن الأسكيا محمد الكبير أعطى البلاد مؤسسات قارة إذ أدخل على الحكومة كثيرا من الإصلاحات[9]، و سيتم عرض هذه التنظيمات الإدارية في المبحث المخصص للتنظيمات الإدارية في مملكة سنغي في عهد الأسكيين.

بعد تربع الأسكيا محمد الكبير على العرش قام بعدة فتوحات والتي تطرقت لها المصادر المغربية محل الدراسة وخصوصا كتاب وصف إفريقيا.

[1] عبد القادر زبادية :**الحضارة العربية والتأثير الأوربي....، مرجع سابق**، ص ص:155، 154. .

[2] السعدي: **المصدر السابق**، ص:79.

[3] كعت: **المصدر السابق**، ص ص:53-55.

[4] السعدي :**المصدر السابق** ،ص ص:71، 72.

[5] هكذا وردت عند كعت: **المصدر السابق**، ص:55.

[6] هكذا وردت عند السعدي: **المصدر السابق**، ص:71.

[7] هكذا وردت عند السعدي: **المصدر السابق**، ص :72.

[8] هكذا وردت عند كعت :**المصدر السابق**، ص: 55.

[9] أنظر: بازل دا فدسن :**المرجع السابق**، ص: 160، وأيضا عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي....،مرجع سابق**، ص:32.

- **فتوحاته :**

تُجمع أغلب المراجع على أن أقصى اتساع بلغته مملكة سنغى الإسلامية في عهد الأسكيين كان في فترة حكم الأسكيا محمد الكبير.

عند اعتلاء الأسكيا محمد الكبير الحكم استولى على جميع ممتلكات سني أبو بكر داعو وهذا ما يؤكده محمود كعت <<.... **الوارث اسكى [أسكيا] محمد المذكور جميع أراضي شي بار [سني أبو بكر داعو]**>>[1]، ومن هذه الممتلكات التي ورثها غينيا (جني)، والتي قال عنها الحسن الوزان أنها: <<**في عهد الملك سني علي أصبح صاحب هذه المملكة أي (غينيا أوجني)خاضعا له، ولما فقد سني علي مملكته على يد خلفه أسكيا، أخذ وسجن في كاغو[جاو] حتى مات، وصار يحكم هذه المملكة أحد نواب أسكيا**>>[2]، ولم تقف حدود مملكة سنغي عند الحد الذي كانت عليه في عهد **آل سني**، بل قام الأسكيا محمد الكبير بتوسعات كثيرة جعلت حدود مملكته تمتد من بلاد الهوسا شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن أَغَدَسْ و تِغَزَّة شمالا إلى قبائل الموسى جنوبا، فعن فتوحاته في جهة الشمال جاء في كتاب وصف إفريقيا أن الأسكيا محمد الكبير استولى على أَغَدَسْ يؤدي له ملكها<< **نحو مائة وخمسين ألف مثقال كخراج لملك تنبكتو [تنبكت]**>>[3]، وهذا دليل على التبعة.

أما في الجهة الشرقية فقد امتدت يد جيوش الأسكيا محمد الكبير إلى الممالك الهوساوية بالسودان الأوسط مثل مملكة **كانو** وهذا ما أكدته نصوص كتاب وصف إفريقيا : <<.... **أعلن الحرب على ملك كانو ،وأرغمه بعد حصار طويل على أن يتزوج إحدى بناته، ويؤدى له (أي للأسكيا محمد الكبير) ثلث مورده كل سنة ،ويترك في المملكة عددًا من الأمناء والجباة لاستشفاء حقه من الضرائب** >>[4]، وكذا هو الحال بالنسبة لمملكتي كاتسينا و زَّكْزَكْ فقال عن الأولى:<<... **وكان لهؤلاء القوم (أي سكان كتسينا) في القديم ملك يحكمهم، لكن أسكيا قتله وأفنى نصف الشعب**

---

[1] كعت : **المصدر السابق** ، ص: 55.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص:164.

[3] نفسه، 172.

[4] نفسه، ص:173.

وتمكن من المملكة ....>>[1]، وكذا هو الحال بالنسبة لزَنْفَرَى[2]، أما في جهة الغرب ذكر الحسن الوزان أنه استولى على بقايا مملكة مالي [3].

اكتفى الحسن الوزان بذكر هذه النماذج من الفتوحات التي قام بها الأسكيا محمد الكبير وما يُؤاخذ عليه أنه لم يُعطى التواريخ التي تمت فيها هذه الفتوحات، لكن هناك دراسة حديثة اعتمد فيما صاحبها على ما كتبه الرحالة الحسن الوزان و المصادر السودانية وأعطى تواريخ الفتوحات بالضبط كما زود ذلك بخريطة[4] توضح تلك التوسعات[5].

– حجه:

من المواضع التي تطرحها المصادر المغربية محل الدراسة ، أنه ما إن استتب الأمن للأسكيا محمد الكبير، قرّر الذهاب إلى الحج فقال الحسن الوزان :<< **ولما فرغ (أي الأسكيا محمد الكبير) من نشر السلام والهدوء في مملكته رغب في الحج إلى مكة** >>[6]، وهذا فعلا ما أكدته المصادر التي أرخت للأسكيا محمد الكبير أمثال كتابات: الوفراني،كعت، السعدي، ولقب عقب هذه الرحلة بلقب (**الحاج**) وكان ذلك سنة **902هـ** [7]/ **1496م**، أما عن النفقات التي أنفقها في الحج ، فقد اختلفت المصادر التي أخرت له في هذه الكمية فالمصدر محل الدراسة وصف إفريقيا ذكر فيه صاحبه أنه<< **انفق فيه كل ماله واقترض خمسين ألف مثقال** >>[8]، في حين ذكر محمود كعت الذي كان مرافقا للأسكيا محمد في رحلته أن عدد العبيد والخدم بلغ ثمانية مائة، وقد تصدق الأسكيا على فقراء الحرمين الشريفين بمائة ألف دينار ذهبا ، واشترى بيوتا وجنانا حبسها للعلماء والفقراء والمساكين [9]، بينما قدر السعدي

---

[1] نفسه، ص ص: 173، 174.

[2] نفسه، ص:174.

[3] نفسه، ص:165.

[4] أنظر ملحق رقم:10.

[5] R. mauny: **op**.**ci**t, pp: 513, 514

[6] الحسن الوزان: **المصدر السابق،** ج:2، ص ص:161، 160.

[7] كعت : **المصدر السابق** ،ص : 16.

[8] الحسن الوزان: **المصدر السابق،** ج:2، ص: 161.

[9] كعت : **المصدر السابق،** ص : 16.

أعداد المرافقين للأسكيا بألف وخمسة مائة، وكميات الذهب التي أنفقها بثلاثة مائة ألف مثقال [1]، كل هذه الآراء تؤكد ضخامة الموكب السلطاني ، ووفرة الأموال التي أنفقها والتقى الأسكيا الحاج محمد في الحج بالعلماء و استشارهم في أمور دينه ودنياه وسيتم التطرق لذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

2-الملوك الذين تولوا الحكم بعد الأسكيا الحاج محمد الكبير :

بعد أن استفرد تقريبا الحسن الوزان بالحديث عن بداية حكم الأسكيين لمملكة سنغي وحاكمها الأول تأتي المصادر المغربية الأخرى محل الدراسة لتتحدث عن الحكام الذين تولوا الحكم بعد الأسكيا الحاج محمد الكبير فقال الوفراني: << **قام بالأمر بعده (أي بعد اسكيا محمد الكبير)، ولده داوود فأحسن السيرة ما شاء وتبع طريقة أبيه إلى أن مضي لسبيله ولحق بربه، فقام بالأمر بعده ولده إسحاق فعدل عن بعض سيرة أبيه وجدّه..... وعليه انقرض ملك آل سكية**>>[2]، حيث أقر الوفراني أن أول من تولي الحكم بعد الأسكيا محمد الكبير هو داوود في حين أن هذا الأخير لم يتولى إلا في **955هـ**[3] **/1549م** وسبقه أربعة ملوك ذكرتهم المصادر السودانية وعلى رأسها كتابي: كعت والسعدي وهم على التوالي:

1- الأسكيا موسى(935 -937هـ /1529-1531 م)[4]قال عنه محمود كعت: <<.... **ولم يتولى سلطنة سنغي و أسكويته أخف و أرذل منه فسلطة سنغي على ما قيل أكبر منه ومن سفاهته** >>[5].

---

[1] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 73.

[2] الوفراني : **المصدر السابق**، ص : 90.

[3] كعت : **المصدر السابق**، ص: 55.

[4] نفسه، 83-85، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص:91.

[5] كعت :**المصدر السابق**، ص ص:82، 83.

2- الأسكيا محمد بنكن بن عمر بن كمزاغ(**937-943هـ/1531-1537م**)[1] وصفه محمود كعت: <<... **كان أسكي بنكن كرى(لقب أطلق عليه لأنه قاطع صلة الرحم) شجاعا بطلا فارسا ... وقد كثر جيش سنغى في أيامه ... إقامته في السلطنة كانت ستة سنين وشهر.** >>[2].

3- الأسكيا إسماعيل(**943- 946هـ /1537-1537م**)[3]وصفه كعت : <<... **وكان محمود السيرة ومن استحق السلطنة ....، وكانت أيام أسكى [أسكيا] إسماعيل قحط وجوع .... ومَن مات في أيامه أبوه أسكى[أسكيا] محمد ..... ومدة سلطته سنتان وسبعة أشهر وأربع ليالي ومات يوم الثلاثاء أربع من شعبان المنير ستة وأربعين وتسعمائة.....**>>[4]

4- الأسكيا إسحاق الأول (946-955هـ/1539-1549م)[5]قال عنه محمود كعت <<..... **كان اسكى [أسكيا] إسحق [إسحاق] مرضيا صالحا مباركا كثير الصدقات ملازما لصلاة الجماعة عاقلا فطنا ذا دهاء..... مكث في السلطة تسع سنين وتسعة أشهر وتسع ليال........ وفي أول السادس والخمسين مات أسكى إسحق [أسكيا إسحاق]**>>[6].

5- الأسكيا داوود(**955 – 956هـ /1549م-991هـ /1583م**)[7]لم تعطي المصادر المغربية لا سيما منها الوفراني الذي انفرد من بين المصادر المغربية بذكره وذلك باعتماده على مصدر سوداني-كما سبق وتم الإشارة إلى ذلك-عن الفترة التي تولى فيها الأسكيا داوود ولاعن المدة التي قضاها في الحكم ويكتفي الوفراني بوصفه << **أنه أحسن السيرة ما شاء وتبع طريقة أبيه** >>[8] وهذا ما أكده كعت: << **كان الأسكى [أسكيا] داوود سلطانا مهيبا فصيحا خليقا للرياسة كريما جوادا مبسوطا ذا مزاج**

[1] نفسه.ص ص:84، 85.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص ص: 86،87، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص ص:91-95.

[4] كعت: **المصدر السابق**، ص ص: 86،87.

[5] نفسه، ص: 88.

[6] نفسه، ص ص:87-93 ، أما السعدى فقال أنه توفي **956هـ**، أنظر كتابه: **تاريخ السودان..مصدر سابق**،ص:100.

[7] هناك اختلاف بين السعدي و كعت حول تاريخ تولية الأسكيا داوود الحكم وسنة وفاته كعت: **المصدر السابق**، ص: 119، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص ص: 100- 113 .

[8] الوفراني: **المصدر السابق**، ص :90.

وسع الله عليه في دنياه وهو أول من اتخذ خزائن المال حتى خزائن الكتب، وله نساخ ينسخون له كتبا وربما يهادى به العلماء....<<[1].

تتفق بعض المصادر و المراجع على أن عهد داوود تميز بكثرة الحروب التي لم تجن من وراءها البلاد أي نتيجة بل سيعجل بإضعافها أكثر بمجرد اختفاء داوود [2].

بعد الأسكيا داوود لانجد كذلك ذكر للأساكي الذين حكموا بعده وهم من أولاده سوى الأسكيا إسحاق الثاني الذي نال الحيز الأكبر في الكتابات المغربية محل الدراسة، أما عن الذين تولوا الحكم من أولاده فهم على التوالي كما ذكرتهم المصادر السودانية :

6- الأسكيا الحاج بن داوود(**991– 995هـ/ 1582–1586م**)[3] الأسكيا الحاج هو أكبر إخوته تولي الحكم في اليوم الذي توفي فيه والده يوم الثلاثاء سابع عشر من رجب من عام **991هـ/1582 م** بايعه كلا من إخوته والجيش وكان الحاج قد أصيب منذ اعتلائه الحكم بمرض أقعده عن ركوب الخيل لذا فإنه طيلة حكمه لم يخرج بجيشه للغزو [4].

7-الأسكيا محمد بان (995-996 هـ /1586-1588 م)[5] تقلد الحكم بعد عزل أخيه الأسكيا الحاج في الرابع من محرم **995 هـ/1586م** تميز عهده بكثرة الاضطرابات وثورة أخيه عليه[6].

---

[1] كعت: **المصدر السابق**، ص: 94.

[2] أنظر: كعت: **المصدر السابق**، ص:94 ،95، وأيضا عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي ...**،**مرجع سابق**، ص:49 ، وأيضا Z.D.Issifou :**op**.**ci**t, pp: 142,143

[3] كعت:**المصدر السابق**، ص:119، وأيضا عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص: 49.

[4] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 115، وأيضا عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص:50، وأيضا الهادي مبروك الدالي : **التاريخ السياسي....**، **مرجع سابق**، ص:190.

[5] كعت : **المصدر السابق**، ص ص: 125-128، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص:121.

[6] كعت: **المصدر السابق**، ص:126، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص ص: 122، 123.

8- الأسكيا إسحاق الثاني(996 –999هـ /1588–1591م)[1] :

نال الأسكيا إسحاق الثاني الحيز الأكبر في المصادر المغربية محل الدراسة التي تكلمت عن ملوك سنغي وهي : مناهل الصفا، نزهة الحادي، تاريخ الدولة السعدية التكمادرتية، المنتقى المقصور وذلك لأنه في عهده تُوجت سلسلة التحرشات السعدية بالمنطقة وتحققت أمنيتها بالإطاحة بأكبر قوة سياسية إسلامية بالسودان الغربي– مملكة سنغى– وضمها للمغرب الأقصى لفترة معينة والتي تعتبرها المصادر المغربية فتحا.

وقبل الانتقال إلى العلاقات السياسية السودانية الخارجية خاصة مع المغرب الأقصى– الدولة السعدية – باعتبارها نالت الحظ الأوفر في الكتابات المغربية ، لابدّ من إعطاء صورة عن النظام الإداري للمملكة في عهد الأسكيين.

3– التنظيمات الإدارية في عهد الأسكيين :

جُل التنظيمات التي شهدتها مملكة سنغي في عهد الأسكيين كانت في عهد الأسكيا محمد الكبير، ومع أن المصادر المغربية محل الدراسة لا تعطى صورة كافية عن هذه التنظيمات ،إلا أن الباحث المعاصر بازل دا فدسن يُلخص الجهود التي قام بها الأسكيا الحاج محمد الكبير في سنغي فقال : <<**جمع أقصى الشمال وأقصى الجنوب في حكومة موحدة كانت –في الحقيقة – أساس عظمته، إلا أنه ابتدع لهذه الإمبراطورية الشاسعة نظاما من الإدارة، بدأ عهدا جديدا من التقدم نحو الدولة المركزية الموحدة في السودان الغربي كله كانت هذه مأثرته الأولى ولاشك في ذلك لأنه أقام حكومة مركزية ، ذهب وراء القوة القبلية والتنافس الذي كان يثور من حين لحين بين عديد من القبائل في الحكومات الموحدة التي سبقت حكومته**>>[2].

[1] نفسه، ص ص: 125، 126.

[2] بازل دافدسن : **المرجع السابق**، ص :160.

من هذه الأعمال التي قام بها:

نظرا لشساعة مملكة سنغي، ووقوع العاصمة جاو في أقصى شرق المملكة في حين أن المناطق الغربية الواسعة ، والآهلة بالسكان مهملة وبعيدة عن مقر الحكومة، قرّر الأسكيا إنشاء نيابة له في وسط المناطق الغربية في تنديرما، وذلك لتسهيل المصالح الإدارية لمواطني غرب البلاد وأسند حكمها لأخيه عمر كمزاغ[1]، كما قام بتقسيم المملكة إلى عدة ولايات تدين الولاء جميعها لجاو العاصمة، وقد أسند كل ولاية إلى وال من بين أقربائه وعبيده المخلصين،وبقيت تلك السُنة سائدة في تعيين الولاة واختيارهم طيلة أيام خلفائه من الآساكي، وهذه الولايات هي[2]:

1- ولاية كورما: وهي ولاية تقع غرب نهر النيجر،كان واليها في بداية الأمر يقيم في جاو ثم انتقل بعد ذلك إلى تنديرما، وهو يعتبر ممثل الحكومة في الغرب كانت له صفة الامتياز عن غيره من حكام الولايات.

2- ولاية بالاما: وهي تقع على حدود بلاد الموسى في الجنوب الغربي من المملكة .

3-ولاية دندي: وهي تقع إلى الجنوب من العاصمة جاو وكانت قصبتها مدينة جوجيا.

4- ولاية بانجو: تقع حول بحيرة ديبو، ونظرا لأن هذا الإقليم تقع فيه مدن العلم والتجارة الهامة في سنغي فقد كان حاكمه هو الوحيد الذي يدخل العاصمة بفرقته الخاصة من ضاربي الطنابير.

5-ولاية هار يباندا: إقليم هذه الولاية يقع على ضفة نهر النيجر اليمنى المواجهة للعاصمة جاو.

6-ولاية نهر النيجر: و يشرف عليها قائد الأسطول وتسمي وظيفته الإدارية كوى.

[1]J.Beraud-Villass: **op.cit**, p: 62.

[2] عبد القادر زبادية :**المرجع السابق**، ص ص : 34، 35.

كما أوجد الأسكيا الحاج محمد من أجل تسيير شؤون البلاد الإدارية وفق قوانين ثابتة عدة مناصب مهامها الحرص على السير الحسن للبلاد[1].

ومن مهام الأسكيا الحاج محمد أيضا إعادة تنظيم الجيش فبعدما كان التجنيد إجباري على كل فرد قادر على حمل السلاح في السابق أصبح معظم الجيش في عهد الآسكيين يتكون من المتطوعين الذين يعملون فيه بشكل دائم،كما قسم الأسكيا الجيش إلى فرق حسب الأسلحة التي كان يستعملها ، ازداد هذا الجيش تنظيما في عهد الأسكيا موسى، إلا أنه ضعف حيث فشل في رد الغزو المغربي عن البلاد[2].

كما كانت لوظيفة القضاء مكانة سامية بالمجتمع السنغي كما أشارت إليه المصادر التي أرخت للمنطقة [3].

ثانيا العلاقات السياسية السودانية المغربية من خلال المصادر المغربية محل الدراسة:

1–قبل عهد السلطان أحمد المنصور:

في هذا الموضوع يمكن أن نميز أن هذه العلاقات عرفت مرحلتين متمايزتين ودية و متوترة – هذا ما عكسته المصادر المغربية محل الدراسة –فالمرحلة الأولى امتدت من **1493**م إلى **1549**م أي منتصف القرن السادس عشر ميلادي ،تمثلت في السفارة التي رافق فيها الحسن الوزان عمه والتي ذكرها في كتابه وصف إفريقيا لكنه لم يذكر سبب هذه السفارة

سكتت المصادر المغربية محل الدراسة عن أي علاقة سياسية سودانية مغربية (سفارة) إلى غاية الحكام الأوائل للدولة السعدية، إلا أنه في عهد هؤلاء تبدأ العلاقات السودانية المغربية (السعدية) تدخل

[1] الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي...، مرجع سابق**، ص:124.

[2] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص ص: 65-72.

[3] نفسه، ص:73، وما بعدها

في دائرة التوتر خاصة بعد ضعف المملكة الإسلامية السنغية[1]، في مقابل زيادة قوة الدولة السعدية بالمغرب الأقصى واستقرارها.

فكانت سلسلة السفارات المتبادلة بين الدولة السعدية والمملكة السنغية محورها مما لح تِغَزّة، التي كانت في هذه الفترة ضمن ممتلكات المملكة السودانية السنغية وهذا ما أكدته الكتابات المغربية نفسها فها هو ذا الفشتالي يقول : <<**كانت (أي تغزة) في القديم من ممالك سكيه[الأسكيا] و تخم أعماله**>>[2].

وهنا يطرح سؤال لماذا تركز اهتمام السعديين بتِغَزّة ؟

ويمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال وصف الحسن الوزان الذي زارها في بداية الفترة المدروسة والذي يظهر أهميتها ووصفها بقوله: <<**تغزة مكان مأهول فيه عدد من مناجم الملح التي تشبه مقالع الرخام، يستخرج من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح ..... يستخرجون الملح ويحتفظون به تأتي قافلة فتشريه منهم. ومن هنا يحمل إلى تنبكتو [تنبكت] التي يعوزها الملح كثيرا** >>[3]، من خلال هذا الوصف يفسر سر اهتمام السعديين بتغزة الذي لا يمكن فيها بحد ذاتها ، بل في أهمية تجارتها مع السودان الغربي إذ كان يقاض الملح بالذهب [4]، وعليه فالمتحكم في تجارة الملح كأنما تحكم في ذهب السودان الغربي الذي كثيرا ما أسال لعاب المغاربة ، وهذا ما عكسته كتاباتهم فيقول الفشتالي عنه أنه : << **مثرات العديم و مجلبة التبر إلى المشارق والمغارب في الحديث والقديم** >>[5].

[1] J.S. Trimingham :**op**.**cit**,p :100

[2] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص: 120 .

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق** ،ج:2، ص ص :108، 109.

[4] البكري: **المصدر السابق** ،ج:2 ،ص:871.

[5] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص:117.

ترجع المصادر السودانية المحلية أول محاولة للسعديين للتدخل في تغزة إلى عهد أحمد الأعرج الحاكم الثاني في السلالة السعدية [1]، الذي راسله الملك السنغي الأسكيا إسحاق الأول في<< **أن يسلم له في معدن تغاز[تغزة]**>>[2]، إلا أن الملك السوداني أجابه :<< **بأن أحمد الذي يسمع له هو إياه وأن إسحق [إسحاق] الذي سُمع ليس أنا إياه مازال ما حملت به أمه** >>[3]،وتواصل المصادر السودانية سرد الأحداث وتقول أن الأسكيا إسحاق لم يكتفي بهذا الرد ، بل أرسل مجموعة من قبائل الطوارق وأمرهم أن يُغيروا على جنوب المغرب الأقصى دون قتل أحد << **ثم أرسل ألفين ركابا من الطوارق وأمرهم أن يغيروا على آخر بلد درعة إلى جهة مراكش بلا إخراج روح أحد فيرجعون على آثرهم فغاروا على سوق بني أصيح كيفما قام وثبت فأكلوا جميع ما وجد في ذلك السوق من أموال فرجعوا كما أمرهم وما قتلوا أحدا، وما ذلك إلا ليرى السلطان أحمد المذكور قوته** >>[4].

يمكن التوقف هنا وإعطاء ملاحظة عن المصادر المغربية محل الدراسة أنها لم تذكر شيء عن هذه الأحداث التي جرت بين المغرب الأقصى ومملكة سنغي .

تواصل المصادر السودانية سردها للأحداث السياسية التي ربطت المغرب الأقصى بالسودان الغربي فأوردت أنه جاء رد فعل المغاربة على الحملة التي أرسلها الأسكيا إسحاق الأول في عهد أخيه الأسكيا داوود بأمر من محمد الشيخ السلطان السعدي في **964هـ/ 1557**م كما جاء في كتاب تاريخ السودان: << **أما محمد كما تغاز منذ خديم أسكيا (هو عامل الأسكيا داوود بتغّزة) عليها فقد توفي في تغّرة في عام أربعة وستين و تسعماية[تسعمائة] قتله الفلالي الزبيري ووالد يعيش الفلالي بإذن مولاي محمد الشيخ الكبير سلطان مراكش وقتل معه من التوارق[الطوارق]**>>[5]

---

[1] عبد الكريم كريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية –دراسة لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية**–الرباط، المغرب، 1977م، ص:147.

[2] السعدى : **المصدر السابق** ،ص : 99.

[3] نفسه، ص ص : 100،99.

[4] نفسه.

[5] نفسه، ص:106.

أما المصادر المغربية محل الدراسة التي تتحدث عن هذه الأخيرة يكتفي الفشتالي من بينها بقوله: << **ثم لما أشرق نور هذا الأمر العزيز على الدنيا ومكن له في الأرض أجلب الأمام (المقصود بالإمام هو سلطان محمد الشيخ) رضي الله عنه على تغازى [تغزة]فانتزعها من يد سكية[الأسكيا]واستضافها للمغرب وعقد عليها لرجاله** >>[1]

والملفت للنظر عند ذكر الفشتالي لهذه الحادثة أنه اكتفى بقوله أن محمد الشيخ انتزع من الأسكيا تغزة، دون ذكر أعمال القتل والتخريب التي ذكرها السعدي.

سكتت المصادر المغربية عن رد فعل الأسكيا داوود تُجاه استيلاء السلطان محمد الشيخ على تغّزة، في حين أن المصادر السودانية تقول أنه – أي الاسكيا داوود — قاطع ملح تغّزة والقوافل التي تمتار منه كما قرر حفر منطقة قريبة من تغّزة ليجلبوا منها الملح وذلك استماعا منه لنصيحة نصحه بها الطوارق قال السعدى: << **فذكروا (أي الطوارق) له أنهم لا يتركون عادتهم من رفود الملح أن تفوت ، وأنهم عارفون المعدن غير تغاز الكبير (المنطقة التي يجلبون منها الملح) فأذن لهم بالرفود منها فحفروا تغازى[تغّزة]الغزلان في ذلك العام فرفدوا منها** >>[2] ،وهذا ما جعل منطقة تغّزةتفقد أهميتها لدى التجار مما أجبرمحمد الشيخ إلى الدخول في مفاوضات مع الأسكيا تخلى بموجبها كما يقول الفشتالي: << **عن بعض خراجها لسكية [الأسكيا]مقابل تسريح بيع الملح الذي تستامه العير إلى بلده من هذا المعدن، فكان سكية[الأسكيا] يبعث من يحمل له نصيبه من الخراج دون أن يكون له قبض ولا بسط في أحكام البلد والمعدن**>>[3].

ما يمكن أن يُؤاخذ عن المصادر المغربية لا سيما منها الفشتالي أنه لم يذكر السبب الذي دفع بالسلطان السعدي محمد الشيخ إلى التخلي عن بعض خراج تغّزة.

---

[1] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص: 120.

[2] السعدي: **المصدر السابق**، ص ص:106، 107.

[1]الفشتالي : **المصدر السابق**، ص:120.

بعد هذا تسكت كلا من المصادر المغربية محل الدراسة والسودانية عن أية علاقة سياسية،أو تحرش سعدي على تغّزة طيلة فترة الحاكمين السعديين الغالب بالله(**964 –981 هـ /1557ـ 1574م**)[1]، والمتوكل على الله (**981 – 983 هـ/ 1574 م– 1576 م**)[2]، ويرجع سبب ذلك أنهما كانا مشغولان عنه بأضداد الدولة ويخشى مغيب العساكر عن المغرب وخلاء جوه منه إضافة إلى ما تتطلبه الحملة إليه من مؤن وإبل وغير ذلك [3].

2– في عهد السلطان أحمد المنصور:

تعكس النصوص التي قدمتها المصادر المغربية محل الدراسة أنه ما إن تولى أحمد المنصور الحكم بالمغرب بعد معركة وادي المخازن **1578م**[4]، وأخذت أوضاعه الداخلية والخارجية تعرف نوع من الاستقرار بدأ في رسم سياسة توسعية خاصة أساسها التمركز في مواقع إستراتيجية هامة في الصحراء تشتهر بواحتها ومعادنها وبأهميتها في المواصلات ثم اتخاذها نقاط ارتكاز للتوسع فيما جاورها أولا ثم في بلاد السودان ثانيا [5].

تورد المصادر المغربية محل الدراسة أن أول خطوة قام بها المنصور في إطار تنفيذه لمشروعه وتحقيق سياسته التوسعية هي:

الاستيلاء على منطقتين رئيسيتين بالصحراء الجنوبية الغربية الجزائرية هما توات و تيكورارين اللتان تتميزان بقربهما من المغرب ومن عمق بلاد السودان وموقعهما الاستراتيجي المتحكم في طريق التجارة الصحراوي وغناهما الاقتصادي فقال الفشتالي : << **ما اشتملت عليه هذه الممالك من المرافق الجمة التي جاد بها كرم التربة وخصب البقعة** >>[6]، ولتحقيق هذا الغرض أخبر الفشتالي أن حملتين عسكريتين خرجتا

---

[1] عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م، ج:1، ص: 119.

[2] نفسه، ص: 12.

[3] نفسه.

[4] لمعرفة تفاصيل عن هذه المعركة، أنظر أبو حليل شوقي: **معركة وادي المخازن**، ط:1، دارالفكر، بيروت، 1988م.

[5] عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص: 148.

[6] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 118.

من فاس ومراكش سنة **991 هـ / 1583 م**[1]بقيادة كل من عبد الله محمد بن بركة وأبي العباس أحمد بن الحداد العمري التقت في سجلماسة ثم توغلت جنوبا حيث تلقت هناك مقاومة عنيفة من طرف تيكورارين انتهت بإخضاعها بالقوة وبعدها توجهت الحملة إلى تمنطيط قاعدة قصور توات حيث أعلن رئيسها وشيخها عمر بن محمد بن عبد الرحمان الطاعة[2].

هكذا حقق المنصور الخطوة الأولى من سياسته التوسعية السودانية واعتبر هذا النصر بمثابة عامل مشجع على التمادي في طريق التوسع والفتح على حد تعبير الكتابات المغربية [3].

تجدد النزاع حول تغّزة :

في إطار عرض العلاقات السياسية التي ربطت المغرب بالسودان الغربي في عهد المنصور لم تذكر المصادر المغربية السفارة التي أرسلها المنصور إلى الأسكيا داوود بشأن التنازل له عن خراج معدن تغّزة وقد أجاب الأسكيا داوود بأن : **<< بعث له عشرة ألاف ذهبا هدية وعطيّة .... فكان سبب المحبة والوصلة بينه وبينه>>**[4] وهذا ما ذكرته المصادر السودانية.

يفسر الباحث الجزائري عبد القادر زبادية قبول الأسكيا داوود لاقتراح المنصور بيسر ظاهر و تأجيره له مما لح تغزة وذلك لأن داوود كان على معرفة مسبقة بأهداف المغاربة وبعدم قدرة جيشه على محاربتهم [5].

---

[1] نفسه، ص :75. ذكر الوفراني أن تاريخ احتلال المنصور لهذين القطرين كان في 989هـ /1581م ، لكن التاريخ المرجح هو التاريخ الذي أعطاه الفشتالي لأنه أقرب للحدث و الوفراني ينقل عنه فقط خاصة إذا عُرف أنه اعتمد على ذاكرته في كثير من الأحداث كما يذكر هو بنفسه.

[2] الفشتالي : **المصدر السابق** ،ص ص: 76-101وغيرها، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 87. لمزيد من التفاصيل عن مقاومة أهل توات و تيكورارين للسعديين أنظر عمار بن خروف : <<**مقاومة الجنوب الجزائري للتدخل السعدى ، خلال القرن 10 هـ / 16م**>>، في مجلة : حولية المؤرخ، ع:1، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، 2002م، ص ص: 163-180.

[3] أبو العباس خالد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، 15جزء، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م ،ج:5 ،ص : 99، وأيضا محمد مزين : **<< المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16 و17 الميلاديين>>**، في مجلة :المؤرخ العربي ، ع: 31 ، 1987 م، ص: 219.

[4] السعدي :**المصدر السابق** ، ص :111.

[5] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص:48.

كما سبق الإشارة أن هذه المعلومة أوردتها المصادر السودانية في حين أن المصادر المغربية محل دراسة لاسيما الفشتالي لم يذكرها وذلك لأنه الكاتب الرسمي للدولة السعدية و المسؤول عن تدوين أخبارها خاصة فيما يتعلق بالمنصور وأعماله.

استمر الوضع على ما هو عليه بين المغرب الأقصى (الدولة السعدية) والسودان الغربي (مملكة سنغي) طيلة عهد الأسكيا داوود وبعد وفاته تذكر المصادر المغربية محل الدراسة أن المنصور أرسل في سنة 991 هـ[1]/1583م إلى الأسكيا الحاج بن داوود رسول وهو الشيخ مومن بن موسى العمرى المعيقلي وأرفقه << **بهدية ورسالة إلى سكية بكاغو [جاو]** >>[2]، وتكتفي المصادر المغربية محل دراسة بالقول أن سبب هذه السفارة هو: << **الاطلاع على عورة البلاد، وأحوالها في الضعف والقدرة** >>[3]، في حين أن المصادر السودانية ذكرت أن المنصور بعد وفاة الأسكيا داوود الذي تنازل له عن خراج تغزة لمدة عام واحد أرسل لولده وخليفته الجديد الأسكيا الحاج محمد لتعزيته وتهنئته في نفس الوقت وكذا للاطلاع على موقف الحاكم الجديد من التنازل عن معدن تغزة وقد حمل الوفد المغربي معه<< **هدايا عجيبات**>>[4].

تواصل المصادر السودانية في سردها لتفاصيل هذه السفارة إذ يقول السعدي أن الأسكيا ارجع الوفد ومعه << **أضعاف ما أرسل هو من الهدايا من خدام و سنانير الغالية، وغير ذلك ومن جملة ما أرسل ثمانون خصيا** >>[5]، وأكد له في نفس الوقت عن عزمه على عدم التنازل له عن معدن الملح في تغزة وهذا ما لم تذكره المصادر المغربية ،هذا السبب الذي أدى بالمنصور إلى التدخل عسكريا لانتزاع المعدن المذكور كما تفصل في ذلك المصادر المغربية محل الدراسة فيما بعد لكن قبل ذلك تورد هذه المصادر أن المنصور قبل أن يوجه عساكره للاستيلاء على تغزة قرر أولا السيطرة على جميع المناطق الصحراوية الساحلية الممتدة بين وادي نول شمالا وخليج النيل جنوبا (أي المنطقة المحتلة حاليا : الصحراء

---

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**،ص:79.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

[4] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 120.

[5] نفسه.

الغربية وموريتانيا) وكان ذلك في **992هـ[1]/1584 م**، وقد وردت تفاصيل هذه الأحداث في كتاب مناهل الصفا [2] وذلك حتى << **يستعين بفتحها وبما تشتاق العساكر من الكراع والظهر المجلوب ....على أمر الحركة إلى جهة الجنوب**>>[3].

تشير المصادر السودانية إلى معلومة لم تشر لها المصادر المغربية محل الدراسة مفادها كما يقول السعدي بعد عودة الوفد المغربي من عند الأسكيا الحاج بن داوود كما ذُكر أنفا وردت أخبار بأن المنصور <<**بعث جيشا فيه عشرون ألف رجلا إلى جهة ودان وأمرهم بأخذ ما هنالك من البلدان على شاطئ البحر وغيرها حتى يصلوا إلى تنبكت**>>[4]، إلا أن مصير الحملة باء بالفشل وتفرق شمل أفرادها إلا القليل منهم فرجع إلى مراكش[5].

وهنا يمكن الخروج بنتيجة يمكن تعميمها مفادها أن المصادر المغربية لا سيما الفشتالي يتفادون الخوض في تفاصيل التي لم يحالف فيها الحظ الدولة السعدية ، وهذه من المآخذ التي يمكن أن تسجل على هذه مصادر.

تواصل المصادر المغربية سردها للأحداث المتعلقة بالسياسة التوسعية تجاه السودان وتؤكد أن الظروف مشجعة ومساعدة في آن واحد خاصة بعد التحكم في المنفذين الهامين نحو السودان فالسياسة التي انتهجها من أجل تحقيق هدفه كانت قائمة على:

1 – مهاجمة تغزة والاستيلاء عليها وتحصينها ثم اتخاذها قاعدة انطلاق للسودان.

2– التدخل في السودان عن طريق استمالة بعض الثوار والخارجين على حكم الأسكيا واستغلالهم لمهاجمة السودان عسكريا .

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 79.
[2] نفسه، ص ص: 79، 80 وغيرها.
[3] نفسه، ص:79.
[4] السعدي: **المصدر سابق**، ص:120.
[5] نفسه .

وعليه تذكر المصادر المغربية محل الدراسة أن المنصور أرسل قوة عسكرية إلى تغزة تمكنت من السيطرة على المنطقة فـ<< **بني على ذلك المعدن حصنا انزل به جيش من النار من يحميه**>>[1]، وقام بفرض مثقال من الذهب على كل حمل <<**على جميع الإبل التي ترده**>>[2] كما ذكر أن الأسكيا الحاج بن داوود الذي تنعته بصاحب السودان أنه لما رأى << **ما يحصل من عظيم الربح والمنفعة في ذلك لأمير المؤمنين فسعى في تعطيل ذلك ، وإفساده ونادي في سائر بلاده باقتطاع ملح ذلك المعدن ومنع العير التي تمتار منه من الورود به إلى بلاده** >>[3]، وهذا ما أكده المؤرخ السوداني السعدي فقال أنه في<< **سنة أربعة وتسعين وتسعمائة في شوال جاء الخبر بأن لا يذهب أحد إلى تغازى[تغزة] فمن مشى فماله هدر** >>[4].

تورد المراجع الحديثة أن هذا الموقف قد أغضب الكثير من السودانيين مما أدى إلى قيام ثورة أطاحت في شهر **ذي الحجة عام 994هـ/ نوفمبر– ديسمبر 1586م** بحكم الأسكيا الحاج بن داوود، وجعلت البلاد تدخل مرحلة من الفوضى الداخلية إذ تولي الأسكيا محمد بن داوود أخو الأسكيا السابق الحكم .

بعد الاستيلاء على تغزة تورد المصادر المغربية محل الدراسة أن المنصور أرسل جاسوسا إلى السودان الغربي، لينقل له أخبارها كما حثه على جلب بعض المعارضين للحكم لكي يستعين بهم في مشروعه الذي همّ به <<**ليرمى به البلاد مع العساكر** >>[5]، فاستطاع هذا الجاسوس وهو منصور بن الفلالي شيخ أولاد سالم أن يقيم ثلاثة أعوام يتقرب فيها من حكام سنغي ويظهر لهم المناصحة مكرا وخديعة واعتمالا في إتمام الحيلة إلى إن توفي الأسكيا محمد بن داوود [6].

---

[1] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص: 120.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص ص :120 ،121.

[4] السعدي: المصدر السابق، ص: 121.

[5] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 121.

[6] نفسه.

لم تفصل المصادر المغربية في الظروف التي تولى فيها الأسكيا إسحاق الثاني الحكم وإلى المشاكل التي وجهها مع إخوته اكتفي الفشتالي بقوله أنه >> **كان حينئذ من ولد سكية[الأسكيا] وتحويل الدعوة إلى بعض إخوته فافترقت عليه الكلمة** <<[1].

إلا أن المصادر السودانية تعطي تفاصيل شاملة في كيفية تولى الأسكيا إسحاق الثاني الحكم والأعمال التي قام بها من إخماده للفتن الداخلية لاسيما ثورة محمد الصادق بلمع الذيكان قد أعلن نفسه أسكيا بمدينة تنبكت وانهزم أخيرا على يد الأسكيا إسحاق الثاني[2] تواصل المصادر المغربية محل الدراسة سرد الأحداث التي جرت في عهد الأسكيا إسحاق الثاني فذكرت أن أخوه ثار عليه وهو على بن داوود فأورد الفشتالي أن المنصور بن الفيلالي أشار على أسكيا إسحاق بنفي أخيه إلى تغزة وهذا ما حصل فعلا حيث >>**وكل به من أو صله إلى والى الأمر من قبل أمير المؤمنين بتغازى[تغزة] مقيدا فأغد به من حينه إلى مراكش** <<[3] التي وصلها في جمادى الأولى **997هـ/مارس –أفريل 1589م** ، وقدكان المنصور في زيارته الثانية لفاس >> **اتصل خبر وصوله بأمير المؤمنين بفاس فاهتز له من أعوداده سروا بإتمام حيلته واستبشارا بفتح البلاد** <<[4].

تختلف المصادر المغربية محل الدراسة مع المصادر السودانية في نسب هذا المعارض إلى الأسرة الحاكمة في سنغي آل آسكيا أو أنه مجرد أحد عبيده فالأولى تقول أن>> **هذا السبط من ولد سكيه[الأسكيا]** <<[5] وفي موضع أخر تقول: >> **أخاكم (أي أخ الأسكيا إسحاق) الذي نزل بنا (أي المنصور)** <<[6]، أما الثانية فتقول عنه أنه >> **ولدكرنفل وهو رجل من خدام أمراء سنغي**<<[7].

---

[1] نفسه.

[2] لمزيد من التفاصيل ارجع إلى كعت : **المصدر السابق** ، ص ص: 128، 129، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص ص: 127، 128.

[3] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 121، 122.

[4] نفسه، ص:122.

[5] نفسه، ص:121.

[6] **رسائل سعدية**، ص: 135.

[7] السعدى: **المصدر السابق**، ص:137.

إذا تم اعتبار أن هذا المعارض من أولاد الأسكيا، كيف يمكن تفسير أنه عقب الاحتلال المغربي للمنطقة لم يرد ذكر لهذا المعارض؟ وعليه يمكن إرجاع سبب إصرار المصادر المغربية اعتبار هذا المعارض من أولاد الأسكيا ربما لإضفاء الشرعية على ما سيقوم به تجاه مملكة سنغي.

كذلك من المآخذ التي تؤخذ على المصادر المغربية هي أنها لا تعطي صورة عن الأوضاع الداخلية التي كان عليها السودان الغربي في هذه الفترة.

بالعودة إلى ما سبق يمكن طرح سؤال هو: كيف استغل المنصور هذا المعارض للضغط على الأسكيا إسحاق الثاني ، ومهاجمة السودان الغربي عسكريا ؟،بناءا على ما طرحته المصادر المغربية محل الدراسة طبعا مع مناقشتها.

تذكر هذه الأخيرة أن المنصور ما إن سمع بوصول هذا المعارض حتى<< **اهتز من أعواده سرورا بإتمام حيلته** >>[1]، حيث استغل هذا المعارض للضغط على الأسكيا إسحاق الثاني فطلب منه (أي من المعارض)<< **أن يكتب إلى أمير المؤمنين يرغبه على إمداده بالعساكر ليجلب بها على السلطان بكاغو [جاو]** >>[2] فلبى طلبه وكتب الرسالة ، وبعد ذلك عجل المنصور بإرسال وفد إلى الأسكيا لتبليغه مطالبه المستعجلة التي يمكن أن تُستخلص من نص الرسالتين اللتين أوردتهما المصادر المغربية مناهل الصفا، ومجموعة الرسائل السعدية التي جمعها عبد الله كانون فورد في الكتاب الأول : أن المنصور حمّل موفده إلى الأسكيا رسالتين : << **وأسر مولانا أمير المؤمنين المنصور أيده الله إلى حامل الرسالة من أبوابه الشريفة أن يكون أول ما يدفع من الرسالتين إلى سكية [الأسكيا]عامل السودان هذه الرسالة الأخيرة التي ألان له فيها القول لعله يتذكر أو يخشى وبني الأمر فيها على أساس الشرع فإن استجاب وفوض الأمر إلى أمير المؤمنين في أمر هذه الملاحة فهو القصد، وإلا دفع إليه حينئذ الرسالة الأولى لما تؤذن به من تهديد بالعساكر التي طلب أخوه علي بن داوود الخالص**

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 122.

[2] نفسه.

للأبواب الشريفة برسم الإجلاب به عليه، فإن لم ينجح بذلك أطلعه بعد ذلك على كتاب أخيه بنفسه الذي كتبه... فيه الإمداد بالعساكر >>[1].

توجد الرسالة الأولى بكتاب مناهل الصفا ، أما الثانية فتوجد في كتاب رسائل سعدية [2] بينما اكتفى الوفراني بالإشارة لها [3]، أما ابن القاضي وصاحب كتاب تأريخ الدولة السعدية التكمادرتية لم يذكراها بالمرة.

وأهم ما جاء في الرسالة الأولى :

- ✓ أن المنصور فرض مثقال تبرا على كل حمل من الجمال التي تمتار الملح من تغزة، وذلك لتقوية جيوشه التي تدافع عن صلة الإسلام ،وأنه ما فعل ذلك إلا بعد أن استشار العلماء وأفتوه بأحقيته في النظر وحده في شؤون هذه الملاحة وحثه على التصدي لكل من يرغب عن الدفع.

أما أهم ما جاء بالرسالة الثانية:

- ✓ يورد نفس ما ورد في نص الرسالة الأولى مما فرضه على معدن الملح بتغزة من ضريبة، ويضيف أنه سوف يستغله لتقوية جيوشه الإسلامية التي لولاها لتمكن العدو(يقصد الإسبان)من الوصول إلى السودان.
- ✓ إخبار المنصور الأسكيا إسحاق الثاني أن أخاه استنجد بالمنصور لإمداده بالعساكر ضده فيقول: << **وها نحن أمهلناه (أي أخاك علي بن داوود).... حتى نرى إن شاء الله ما يبدو منكم**>>[4]، أي أن المنصور يلوح للأسكيا إسحاق بإمكانية مساعدة أخيه الذي هو مستعد بطبيعة الحال لإعلان طاعة المنصور وللاستجابة لرغباته متى استقر له الأمر بالسودان ، بينما اكتفى السعدي بذكر أمر هذه الرسالة دون إيراد نصها مع ذكر أنه اطلع عليها.

---

[1] نفسه، ص: 125 .

[2] أنظر: نص الرسالتين في الملحقين رقم:01 و02.

[3] الوفراني : **المصدر السابق** ، ص : 88.

[4] **رسائل سعدية**، ص ص: 135، 136.

فيا ترى كيف كان رد الأسكيا إسحاق الثاني لطلب المنصور ؟وما هي عواقب هذا الرد ؟

وللإجابة على السؤال الأول قال صاحب مناهل الصفا: أن الأسكيا تثاقل في الرد <<**فسوف بالرسول وبني أمره على المطاولة به** >>[1]، وذكر الوفراني نقلا عن الفشتالي كما يقول هو أن الأسكيا إسحاق الثاني أبدى<< **امتناعه واحتجاجه بأنه أمير نا حيته وأنه لا تجب عليه طاعته** >>[2]في حين أن المصادر السودانية ذكرت أن إسحاق رفض الاستجابة لمطالب المنصور << **والتسليم في ذلك المعدن بل قبح له الكلام في الجواب ، وبعث له صحبة جوابه حشرانا ونعلين من حديد** >>[3] إشارة منه إلى أنه بعد انتصاره على المنصور سيضعها في رجليه مما أثار المنصور، وهذه تعتبر إيهانه للمنصور وموقف قوة للأسكيا إسحاق الثاني.

هنا يمكن الاستنتاج أنه عندما يتعلق الأمر بشيء يسيء إلى قدر المنصور، فإن المصادر المغربية تخفيه وتحوره، وهذه تضاف إلى قائمة المآخذ على مصادر هذه الفترة لاسيما منها المغربية .

و للإجابة على الشطر الثاني من السؤال والذي ستكون له عواقب في تغير جذري على الوضع السياسي للسودان الغربي وتبلغ فيه العلاقات السياسة السودانية المغربية أقصى شدة توتر كما تتفق على ذلك كل الكتابات المعاصرة لها والحديثة لذا سيخصص له مبحث خاص.

ثالثا استعدادات المنصور لغزو السودان الغربي في 1591م:

بعد أن أدرك المنصور الرفض المطلق للأسكيا إسحاق الثاني لطلبه اتخذه سببا مباشر لتحقيق غرضه وهو غزو السودان الغربي و الاستيلاء على خيراته بدافع أنه خليفة المسلمين وكانت الخطوات التي سار عليها لإتمام هذا الغرض كما ذكرت المصادر المغربية التي لا تختلف كثيرا في التفاصيل والحيثيات التي صاحبت تحضير المنصور و التي يمكن حصرها في النقاط التالية :

[1] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص :126.

[2] الوفراني : **المصدر السابق**، ص: 90.

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 138.

1- تشاور المنصور مع أعضاء مجلسه :

عقد المنصور مجلسا للشورى ضم <<**الملأ من طبقات الأجناد وذوي الحل والربط وأولي البصيرة والحنكة الخبرة..... فصدع لهم أيده الله بذات صدره، وفاتحهم بغريمته وما أجمع عليه من تجهيز العساكر إلى هذه الأقاليم السودانية والأصقاع الجنوبية معلنا بذلك للملأ أن لا يدخر أحد رأيا...... وأنه أيده الله غير مستنكف من حق يوضحونه بحجة، ولا متوقف عن الرجوع إلى صواب يثبتونه ببرهان** >>[1].

أما عن الأسباب التي أعطاها المنصور لغزو السودان الغربي كما ترويها المصادر المغربية محل الدراسة هي:

❖ استغلال الذهب المجلوب من السودان وإنفاقه على العساكر لمحاربة الكفار والرقيق لكي يستغله في التجديف [2] و<<**أن صاحب أمرهم والمتولي عليهم اليوم ملكهم معزول على الإمارة شارعا إذ ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمى**>>[3].

عند ملاحظة هذه الأسباب التي أعطاها المنصور يمكن الإدراك أنها أسباب اقتصادية بالدرجة الأولى ، وأن هدفه ليس الجهاد أو نشر الإسلام في تلك المنطقة المراد احتلالها فكيف ينشر الإسلام وهو منتشر في تلك الفترة منذ القرن **4هـ /11م** كما تؤكد ذلك المصادر العربية والسودانية التي أرخت للمنطقة على حد سواء بل، وحتى المغربية نفسها حيث يورد الوفراني أن جنود الأسكيا في المعركة التي دارت بينهم، وبين جنود المنصور أخذوا في الصياح والنداء: << **نحن مسلمين نحن إخوانكم في الدين** >>[4].

[1] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص : 126.

[2] نفسه، ص: 197، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص :91 .

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص :94 .

بالعودة إلى معرفة رأي أصحاب المنصور في مشروعه تورد المصادر المغربية أنهم كلهم اجمعوا على الرفض ولم يستصوبوا رأيه وحججهم في ذلك:

- ❖ صعوبة المنطقة المستهدفة نظرا لطبيعتها الصحراوية [1].
- ❖ عدم تفكير الدول السابقة للدولة السعدية: دولة الملثمين (أي المرابطين) ودولة الموحدين و دولة بني مرين في الأمر رغم قوتها [2].

رد المنصور الذي تناولته المصادر المعتمدة كان دقيقا واستطاع إقناع أعضاء مجلسه، وركز على النقاط التالية :

- ❖ قدرة الجيش السعدي على تحمل مصاعب الصحراء التي لا تقف كعائق أمام تنقل التجار الذين لا يتوفرون إلا على إمكانيات بسيطة [3].
- ❖ التفوق العسكري للجيوش المغربية التي تتوفر على وسائل حربية حديثة في مقابل الجيش السوداني الذي يملك تجهيزات عتيقة [4].
- ❖ غنى منطقة السودان بالمواد الطبيعية [5].
- ❖ اعتبار بلاد السودان أنفع من منازلة الأتراك لأنه تعب كثير في نفع قليل [6].
- ❖ عدم تفكير الدول السابقة نابع من انشغالهم بحروب الجبهة الشمالية و الشرقية وعدم امتلاكهم للبارود[7].

---

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص : 126، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 91.
[2] نفسه، وأيضا الفشتالي: **المصدر السابق**، ص : 127.
[3] نفسه، الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 91.
[4] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص : 128.
[5] نفسه، ص ص: 127، 128.
[6] الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 95.
[7] ابن القاضي: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 833، المقري: **روضة الأس....** ، **مصدر سابق**، ص: 33 .

ينتقد الوفراني المنصور ويقول أنه وقع في كلامه: <<**أمران يحتاجان إلى مزيد بيان**>>[1] وهما:

- ❖ من أن البارود لم تكن تعرفه الدول السابقة التي حكمت المغرب في حين يعطي دليل من أن البارود جرى به العمل بفاس منذ **768 هـ / 1366 م**، وذلك بناءا على ما وجده عند الحافظ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في شرحه لمنظومته [2].

- ❖ أما النقطة الثانية– والتي تهم في التخصص ومرتبطة بالموضوع– التي ينتقده فيها هو أن ما ذكره عن دولة المرابطين أنها لم تكن لها سلطة على السودان فيذكر الوفراني أن ما يحفظه لابن خلدون وغيره أنهم ملكوا غانة وفرضوا عليها الجزية [3] وهذا ما أكدته الكتابات العربية في العصور الوسطى التي أرخت للسودان الغربي أمثال: البكري، ابن أبي زرع، وغيرهم .

نعم صحيح ما ذكره الوفراني عن دولة المرابطين من أنهم ملكوا غانة، ولكنه لم يكمل من أن دولة المرابطين لم تقم أساسا بالمغرب بل قامت في الجنوب ، واتجهت صوب الشمال إلى المغرب وجنوبا صوب غانة [4] لأن القارئ لهذه المصادر يضن وكأن المرابطين أول ما ظهروا ظهروا بالمغرب الأقصى واتجهوا نحو الجنوب إلى غانة.

كما أن الأمر يختلف على ما قامت عليه كلتا الدولتين فالأولى(أي المرابطين) كانت حركتها تجاه دولة لا تدين بالإسلام (مملكة غانة) فهدفها بالدرجة الأولى الجهاد ونشر الإسلام [5]، أما الثانية أي الدولة السعدية فكانت حركتها تجاه دولة مسلمة وهدفها هو استغلال خيرات وثروات البلاد من ذهب،

---

[1] الوفراني: **المصدر السابق** ، ص : 92 .

[2] نفسه.

[3] نفسه.

[4] أنظر تفاصيل من هذه المملكة في الفصل الأول من الدراسة ص: 23.

[5] أنظر: تفاصيل عن دور المرابطين في نشر الإسلام بالمنطقة المدروسة في كتاب: عصمت عبد اللطيف دندش: **المرجع السابق**، ص: 103 وما بعدها، وأيضا محمد فاضل علي، سعيد إبراهيم كريرية: **المرجع السابق**، ص:69 وما بعدها .

وملح ،ورقيق ،وهذا ما تؤكده المصادر المغربية المعتمدة فعند دراستها لا يجد الباحث أي إشارة فيها تدعو إلى الجهاد ونشر الإسلام بالمنطقة وهذا باعتراف الباحثين المغاربة المعاصرين [1].

كذلك من المآخذ التي تؤخذ على المصادر المغربية المعتمدة أنّها سكتت عن ذكر الدوافع الحقيقية التي جعلت المنصور يفكر في تنظيم حملة على ما وراء الصحراء.

وفي هذا الصدد ولمعرفة الأسباب الحقيقية التي أدت بالمنصور لاحتلال السودان تم الرجوع إلى كتاب درامانى ايسيفو زكري(Dramani Issifou Zakari) :**إفريقيا السوداء في العلاقات الدولية خلال القرن 16م–تحليل للأزمة بين المغرب وسنغاي–**

(**L'Afrique noir dans les relations internationales au16^{e} siecle –Analyse de la crise entre le maroc et songhaï**) الذي درس الحالة الاقتصادية للمغرب[2]، وخلص إلى أن السبب هو اقتصادي، إذ ذكر أن همّ السعديين وشغلهم هو كيفية مجابهة المشكل المالي الذي تعود جذوره للأزمة الحادة التي ضربة المغرب في عهد المرنيين، ومن بعدهم الوطاسيين بين (**1415م–1517م**) انتهت بانهيار الحياة السياسية و الاقتصادية بالمغرب ،وبعد اعتلاء السعديين العرش المغربي لم يجدوا مالا في صناديق الدولة، وحتى عندما سقطت فاس سنة **1554م**، وحينما سيطروا على كل المغرب أثقلوا كاهل السكان بالضرائب من أجل المال.

يواصل درامانى حديثه ويقول: أنه في القرن 16مكان عدد السكان يتراوح ما بين 4و6 ملايين نسمة و المداخيل كثيرة، إلا أن الأموال صُرفت على الجيش الذي بلغ **50000جندي**، وسياسة العظمة وما تتطلبه من إنشاءات (قصر البديع بمراكش شُيد خلال خمسة عشرة سنة **1578م–1593م**،كُسيت جدرانه بالرخام الإيطالي). أمام هذه الوضعية الحرجة ماذا فعل السعديون ؟ اتخذوا المواقف التالية :

[1] أمثال: محمد الغربي في كتابه: **بداية الحكم المغربي**...، **مرجع سابق**، ص: 129.

[2] Z.d .Issifou :**op**.**cit**,pp:69-71

وضعوا سياسة اقتصادية وطنية ذرت عليهم المال الكثير :غرسوا القصب السكري، و انشؤوا محطات للتصفية بالسوس ودرعة أوكلت هذه المهمة لليهود والنصارى، أما اليد العاملة فهم عبيد السودان، ومن الحكام السعديين محمد الشيخ (**1541م–1554م**) الذي فرض الخراج على سكان الجبال مما أدى إلى انتفاضة الأهالي مدعمين بالزوايا بيد أن ردة الفعل السلطة كانت عنيفة.

ويقول الباحث دراماني نقلا عن هنري تيراس(**Henri Terasse**) عن المنصور: أنه كان يميل للقضايا المتعلقة بالصحراء – العالم الصحراوي – وذلك على الأقل لأسباب اقتصادية.

كما ذكر الباحث علي القاسمي أن الأوضاع الاقتصادية السيئة وتصاعد الاحتجاجات المالية داخل المغرب آنذاك دفعت بالسلطان السعدي إلى توجيه تلك الحملة للحصول على الذهب الإفريقي [1]، ومن هنا يزداد التأكد من أن ما قام به السلطان السعدي أحمد المنصور تجاه السودان الغربي لم يكن جهادا أو فتحا كما تسميه المصادر والمراجع المغربية بل هو أقرب للاحتلال منه للفتح.

2– الاستعدادات للحملة العدد والعدة:

في موضوع الاستعدادات للحملة ذكرت المصادر المغربية أن المنصور أشرف شخصيا على توفير الوسائل والمعدات لها : <<**انتضى أمير المؤمنين أيده الله صارم العزيمة للاحتفال وشمر للجلوس بنفسه** >>[2]، فدعا القبائل إلى المساهمة بالجمال والخيول، ومواد التموين والقوات و الأزواد، وسخر الآليات الأخرى من أسلحة خفيفة وثقيلة من منجنيق، مدافع صغيرة وكبيرة، ذخيرة من رصاص، مواد بناء حديد وفولاذ وبارود، أوعية حفظ الماء والزاد، الحبال والأخشاب لصناعة القوارب والمراكب [3].

يلاحظ أن المصادر المغربية عندما تناولت استعدادات الحملة اكتفت بذكر نوع الوسائل التي سخرها المنصور لهذه الحملة مع المبالغة في وصفها وإعطاء أرقام متضاربة لا تمكن الباحثوالقارئ معا من

[1] علي القاسمي : **العلاقات بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء كيف، نفس أحداث التاريخ ؟**، ندوة حول: المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث: سعديون و الصنغاي- (من:23 إلى 25 أكتوبر 1992م)- معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، مراكش، ص:4.

[2] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 128.

[3] نفسه، ص ص: 129، 130، الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 93.

تحديد مدى قوة الجيش المغربي قال مثلا الوفراني في هذا السياق << **فهيأ جيشا عظيما وتخير من الإبل كل بازل و كوماء ... وعقد لواء الجيش لجوذر باشا**>>[1] وهو الأمر الذي ذكره ابن القاضي << **فأمر بتجهيز جيش عرمرم عظيم من جنوده المظفرة المنصورة** >>[2] وفي موقع آخر يقول: <<**فتوجهت بعدد من الإبل التي لا يمكن حصرها** >>[3]

أما الناصري فيشير أن عدد القوات وصل عشرون ألفا ومعهم ألفان من معلمي البحرية البطيحية ليكون عدد الإجمالي هو اثنان وعشرون ألفا [4].

وبخصوص قيادة الجيوش السعدية يكتفي الفشتالي ومعه الوفراني وابن القاضي أن قيادة الجيش أُسندت إلى جوذر باشا [5]، أما عن القواد الذين رافقوه يقول << **وشدّ مولانا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أزر مملوكهم المذكور بثقات من كفأته وطامته من قواد الأسل** >>[6] دون تحديد أسماء باقي القواد .

وفي هذا الصدد ولتوضيح الصورة أكثر لابدّ من الاعتماد على مصادر ومراجع أخرى لتكوين صورة أكثر وضوحا عن هذا التحضير والاستعداد لهذه الحملة تم الرجوع إلى دراسة قام بها الباحث هنري دو كستري (**Henri de Castries**) حول حملة السودان من طرف المنصور 1591 م (La Conquête du sudun par El Mansour 1591)نشرت بمجلة هيسبريس(**Hespririse**)، المجلد الثالث، لسنة **1923**م، والتي اعتمد فيها بالدرجة الأولى على

[1] نفسه .

[2] ابن القاضي: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 832.

[3] نفسه.

[4] الناصري: **المرجع السابق**، ص: 121

[5] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص : 130، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 93، وأيضا ابن قاضي: **المصدر السابق**، ج:2، ص: 832.

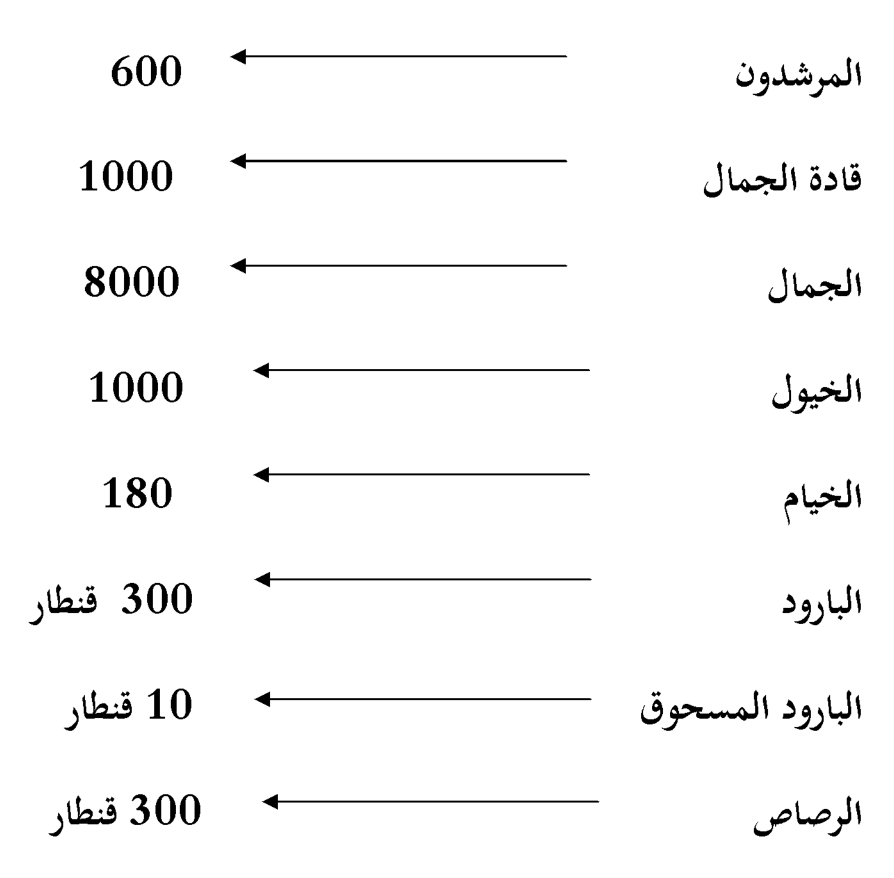
[6] الفشتالي: **المصدر سابق**، ص: 30، الوفراني: **المصدر السابق**، ص 93.

وثيقتين: رسالة المنصور الموجهة إلى أعيان وعلماء فاس، ومراسلة الكاتب الاسباني المجهول أَعطت الأرقام التالية [1]:

نوع القوات	العدد
المشاة:الأتراك،الأندلسيون،المسيحيون.	2000
الفرسان الأجانب	500
جيش العرب	1500
المجموع	4000

[1]H. De Castrie :<< **la Conquête du sudun par El Mansour 1591>>**, in Hespririse T: 03, 1923, p : 444.

أما عن المعدات فقال " هنري " أن حملة من هذا النوع كانت تتكون وفق الشكل التالي :



أما بالنسبة للموارد البشرية التي لم توفق المصادر المغربية محل الدراسة في إعطاء صورة واضحة إذ تكتفي بإخبار أن قيادة الجيش أسندت إلى جوذر باشا << **وشدّ مولانا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أزر مملوكهم المذكور بثقات من كفاته و طماتة من قواد الاسل** >>[1] دون تحديد، في حينذكر السعدي في كتابه: تاريخ السودان أن جوذر باشا كان يساعده عشرة قواد آخرين وهم: مصطفى التركي مصطفى عسكر، عمر العلجى، على بن مصطفى، أحمد الهوسى الأندلسي، احمد بن الحداد العمري، احمد عطية، احمد بن يوسف، أبو شيبة العمرى و أبو غيث العمري [2].

[1] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص : 130 .

[2] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 138.

بينما يتجاهل المجهول صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمادرتية هذه الحملة تماما وينتقل مباشرة بعد الحديث عن الحملة التي قادها القائد بن سالم إلى الحديث عن حملة محمود باشا فيقول : <<**فجهز السلطان محلة أخرى مع القائد محمود وأرسلها إلى كاغو[جاو]**>>[1].

ذكرت المصادر المغربية محل الدراسة أنه بعد ما أتمّ المنصور تجهيز الحملة وقبل انطلاقها عمل على استمالة علماء السودان للتعاون معهم خاصة قاضي تنبكت عمر بن محمود بن عمر<< **المسموع الكلمة في السودان** >>[2] الذي بعث إليه في **شوال(998هـ)** رسالة[3] وأهم ما حوته :

❖ الدخول في طاعة السعديين وتولى إشاعة دعوتهم في أقطار السودان كلها.

❖ إخبار القاضي بقرب تحركالحملة.

3 –مسالك جيش المنصور نحو السودان:

انتهت الاستعدادات التي دامت أشهر ونظمت الجيوش استعراضا يوم الاثنين **16 ذي الحجة 998هـ**، وفي مطلع شهر محرم **999هـ** انطلقت من مكان تجمعها وفي هذا الصدد يُشار أن ابن القاضي اختلف مع صاحب المناهل وصاحب النزهة في تحديد تاريخ ذلك فيقول:<< **فأمر بتجهيز جيش عرمرم عظيم من جنوده المظفرة المنصورة في خامس عشر من شهر ذي القعدة سنة 998هـ**>>[4] دون الإفصاح عن الغاية من البقاء كل هذه المدة بنواحي درعة والغاية من ذلك كما قال هنرى دي كاستري أن الحملة توقفت بالمكان المسمى لاكتاوه لاستكمال الاستعداد حيث تم صنع الحاويات التي ستُستغل لحفظ الماء المصنوعة من جلود الثيران ولنقل الإمدادات التي تم جمعها هناك (شعير، قمح، تمور....)[5].

[1] مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة السعدية.....، مصدر سابق**، ص: 68.

[2] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص :130.

[3] أنظر: نص الرسالة في الملحق رقم:03.

[4] ابن القاضي: **المصدر السابق**، ج :2، ص :832.

[5] De Castrie : **op**. **cit**: pp : 445-448

على كل حال تحركت الجيوش المنصورية باتجاه الجنوب وبخصوص أهوال الصحراء وصفها الفشتالي بشكل دقيق ولكن دون تمكين القارئ من الشيء الأهم، ألا وهو خارطة الطريق التي سلكها جوذر باشا بغية تحديد ودراسة مدى خبرة هذا القائد العسكرية واستعانته من تجارب المرشدين والتجار، وتفادى المراحل الصعبة حفاظا على أرواح رجاله ، وحتى رسالة المنصور الواردة في مناهل الصفا لا تُفيد في هذا الباب سوى بذكر حجم الصعوبات التي واجهت سير الجيش.

لهذه الغاية فقد بذل دي كاستري جهود كبيرة من أجل إعادة بناء المسار الذي اتخذته الحملة ورسم خارطة [1] ليست دقيقة ولكن تقريبية لخط سير الحملة سماه طريق جوذر يمكن تلخيصها كما يلي:

خرجت الحملة من مراكش في اتجاه درعة واجتازت سلسلة الأطلس الكبير إلى تيزي و تيكلاوى بمقاطعة الحتاوة ثم حادت إلى جنوب الغربي حيث عبرت وادي درعة ودخلت الحمادة وبعدها وصلت واحة تندوف ثم تغير اتجاه المسيرة إلى الجنوب الشرقي،إذ عبرت العرق الصحراوي المسمى الكلب ثم عرق الشاش إلى أن وصلت ملاحة تغزة الغزلان أو تاودني لتكون قد قطعت **800 كلم** ثم غيرت بعد ذلك إلى الجنوب **540 كلم** باتجاه تنزرفت ثم مالت شيئا ما إلى الشرق على أروان لتصل في النهاية إلى نهر النيجر بالمنطقة المسماة كابارا(كبرة) يوم **28 فيفري 1591 م** أي بعد **135** يوم[2] منذ مغادرة مراكش لتكون قد قطعت 60 مرحلة [3] أي ما مجموعه 2000 كلم تقريبا وعن المسافة التي قطعتها الحملة يفيد دي كاستري[4] بالمعطيات التالية:

[1] أنظر: الخريطة في الملحق رقم: 11.

[2] H.DeCastrie : **op. cit** , pp : 448

[3] الفشتالي : **المصدر السابق** ، ص : 82.

[4] H .De Castrie : **op. cit** , p : 449.

المرحلة	عدد الكيلومترات
من مراكش إلى تندوف	700 كلم
من تندوف إلى الملاحة	800 كلم
من الملاحة إلى كبرة	540 كلم
المجموع	2040 كلم

المصادر المغربية محل الدراسة جاءت بمعلومات شحيحة فيما يتعلق بالجيش السوداني، وحسب علي بن عيسى الذي كان من أشياع الأسكيا أن ما حشده زهاء مائة وأربعة ألاف مقاتل [1] في مقابل ذلك يكتفي ابن القاضي بالقول أن عددهم يناهز **100 ألف** دون رقم محدد [2].في حين يؤكد دي كاستري أن عددهم لا يتعدى **80 ألف** ضمنهم **8000** فارس[3]، أما عن أسلحة هذه الجيوش فذكر الوفراني أن أسلحتهم << **الحرشان الصغار والرماح والسيوف** >>[4].

كان جيش مملكة سنغي يتوفر على أسلحة تقليدية تتشكل من الرماح والسيوف والنبال والسهام، والحراب السامة ،ويُسند الإمبراطور أو الملك الذي يتولى مهمة القائد الأعلى للجيش قيادة الجند لقواد ينتمون إلى الطبقة النبيلة ، ويمكن أن يكونوا عمالا أو موظفين كبارا بالبلاد أو أمراء ويتكون الجيش السوداني من فئتين:

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 137 .

[2] ابن القاضي: **المصدر السابق**، ج:2، ص: 833.

[3]De Castrie : **op**. **cit** , p : 451.

[4] الوفراني: **المصدر السابق**، ص : 94.

سلاح الخيالة: هذه الفئة تحتل مكانة متميزة في التنظيم العسكري السوداني تنتمي عناصره إلى طبقة النبلاء يحملون أحيانا دروعا خفيفة وعملت السلطة على تزويده بأحسن الخيول التي تسهر عليها فرق خاصة.

المشاة: وهي كثيرة العدد معداتها من الحراب، النبال والسهام، ويحمل أفرادها دروعا مصنوعة من الجلد أو من القش[1].

مؤاخذة أخري يمكن تسجيلها على المصادر المغربية ذلك أنها لم تعطي أي رقم عن الخسائر التي تكبدها الجيش المغربي خلال عبوره للصحراء القاحلة ، بل ذهبت إلى حد المبالغة أنها لم تخسر شيئا<< ... **ولما شارفوا البلاد وهم على ما كانوا عليه بحمد الله من شدة الحزام وسل الحسام لم تضعف لهم والحمد لله شدة ، ولا نقص منهم ما كابدوه من المشاق عددا ولا عدة** >>[2] وإذا ما صُدق كلام الفشتالي فكيف تفسر معلومة قدمها صاحب كتاب تاريخ السودان مفادها: أن جوذر وهو في طريقه إلى السودان الغربي – مملكة سنغي– وهو بمحاذاة بلد أروان استولى على: <<**ابل عبد الله ابن شين المحمودى فأخذ منهم جوذر مقدار حاجتهم** >>[3]، كما أكد الباحث هنري دي كاستري أن الجيوش السلطانية لما وصلت كَبْرَة كانت قد فقدت نصف عددها بسبب العطش والجوع والتعب وضربات الشمس[4]، الذي لم يستغله الأسكيا فتنظيم هجوم على قوات منهكة رغم توفرها على معدات حربية حديثة كان من الممكن أن يحقق انتصارا كبيرا.

إذن وصلت جيوش المنصور إلى السودان الغربي ، وستحدث معركة بينهم وبين جنود سنغي، ويدخل السودان مرحلة جديدة في تاريخه سيتم التطرق لها في المبحث الموالي.

[1] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاى ...،مرجع سابق**، ص ص:67، 68.

[2] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 144 .

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 139.

[4]. H. De Castrie : **op.cit**, p : 449

رابعا السودان الغربي من 1591 م إلى 1612 م من خلال المصادر المغربية:

1–الاحتلال المغربي للسودان الغربي :

يمثل تاريخ **1591م** نقطة تحول في تاريخ السودان الغربي، فبهذا التاريخ تسقط أكبر قوة سياسية سودانية إسلامية بالسودان الغربي على يد دولة إسلامية أخرى،هذا الحدث يستأثر باهتمام العديد من الكتاب المعاصرين لها لاسيما منهم المغاربة.

تواصل المصادر المغربية محل الدراسة سرد تفاصيل المعركة التي دارت بين الجيش المغربي والجيش السنغي وفي خضم التعابير الأدبية وما يكتنفه هذا الوصف من مبالغه وغلوه، ستتم محاولة استخراج العناصر المتعلقة بوصف المعركة ، فمن نص الرسالة التي بعث بها المنصور لأصحابه ليبشرهم بالفتح يذكر أن المعركة دارت في مكان يبعد عن كاغو(جاو) بثلاث مراحل [1] وصفه الفشتالي بقوله أنه: <<**غابة ملتفة الشجر صعبة المسلك من اشتباك دوحها**>>[2]، وقد أطلق عليه عبد الرحمان السعدي تنكندبع فيقول: <<**فتوجهوا (أي جنود المنصور) إلى بلد كاغ [جاو] فتلقاهم الأمير أسكيا إسحاق في موضع يقال له تنكندبع وهو قرب تندبي**>>[3].

ويحدد موقعها بالضبط الباحث المعاصر محمد الغربي نقلا عن الباحث بوفيل أنها تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بعد **35 ميل** شمال جاو [4]، و ذكر الفشتالي أنه ما إن تقدم جنود المنصور حتى وجدوا جنود العدو قد أخذ موقعه بساحة المعركة ونظم صفوفه فعاجل العساكر المنصورية الأمامية بالقتال قبل أن يتم تنظيمها ليفت عضدها، إلا أن القوات المغربية ظلت صامدة وثابتة لتتمكن في الأخير من الزحف على العدو وقتل الكثير منهم وتراكم غبار البارود واشتدت المعركة كما يشيد بشجاعة الجندي المغربي وكذلك ببسالة الجنود السنغيين وصمودهم إلاّ أن النصر كان حليف جيوش المنصور المدرعة

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 144.

[2] نفسه، ص: 137.

[3] السعدى: **المصدر السابق**، ص: 140.

[4] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 256.

بالأسلحة النارية، فولى السودانيون الأدبار ونجي كبيرهم الأسكيا إسحاق الثاني[1] هذا عن الفشتالي، أما ابن القاضي فيشير إلى انتصار جنود المنصور دون إيراد تفاصيل عنها [2].

أغفلت المصادر المغربية محل الدراسة جانب مهم يتعلق بتحليل الاستراتيجية العسكرية لكلا الطرفين فيذكر محمود كعت المؤرخ السوداني أن جوذر تبنى التكتيك التالي :

في الميمنة وضع القوات المسيحية (الأعلوج) تمثلت في خمسمائة من الصباحية [3] مع كاهيتهم[4] وفي الجانب الأيسر تمركز القوات الأندلسية وهي الأخرى عبارة عن خمسمائة من الصباحية مع كاهيتهم[5]،ويُفهم من هذا أن جوذر باشا أشرك في هذه المعركة ألف جندي ،في حين نستخلص أنه من نص الرسالة الواردة في كتاب رسائل سعدية التي بعث بها المنصور إلى أهل فاس ليبشرهم بفتحه أن عدد الجنود هو سبعمائة فقط[6].

أما في الجانب السوداني فإن المنصور يذكر في نفس الرسالة السابقة أن عدد الجنود الأسكيا إسحاق الثاني بلغ أربعين ألف من السودانيين والأعراب والأحلاف [7]، أما السعدي فيقول: أن عدد جيوش الأسكيا كان اثني عشر ألفا وخمسمائة من الخيالة وثلاثين ألفا من أرباب الرجل[8]، في حين ذكر صاحب المصدر المغربي المنتقى المقصور أن عددهم يزيد عن مئة ألف جندي[9]أما في كتاب تاريخ الفتاش

---

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص ص : 137، 138، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص:93. لمزيد من التفاصيل عن المعركة أنظر السعدى: **المصدر السابق**، ص:146، وأيضا. H. De Castrie : **op.cit,p** :445

[2] ابن القاضي: **المصدر السابق**، ج:2، ص : 833.

[3] مصطلح يطلق على فرقة معينة من الجيش المغربي.

[4] قائد الفرقة العسكرية.

[5] كعت: **المصدر السابق**، ص:146.

[6] **رسائل سعدية**....، **المصدر السابق**، ص:193.

[7] نفسه.

[8] السعدي:**المصدر السابق**، ص:140.

[9] ابن القاضي: **المصدر السابق**، ج:2، ص: 833.

أكد فيه صاحبه أن معلوماته استقاها من شاهد عيان للمعركة ثقة من أن عددهم كان ثمانية عشرة ألف فارس وتسعمائة ألاف وسبعمائة راجل[1].

كما ذكرت المصادر المغربية محل الدراسة والسودانية على حد السواء أن الأسكيا إسحاق الثاني أطلق عددا من الثيران في اتجاه الجيش لإحداث فوضى في صفوفه إلا أن النتيجة كانت عكسية تماما إذ فتح جوذر الطريق ومرّت بين الصفوف دون أن تحدث خللا بل منها من انطلق باتجاه جنود الأسكيا[2].

ومن المشاهد المؤثرة التي يوردها صاحب كتاب نزهة الحادي أن جنود الأسكيا في وسط المعركة أخذوا في الصياح والنداء: << **نحن مسلمين نحن إخوانكم في الدين** >>[3].

بعد انهزام جيوش الأسكيا لم تذكر المصادر المغربية المكان الذي اتجه إليه الأسكيا إسحاق الثاني عند انسحابه من المعركة ، في حين يختلف كلا من المصدريين السودانيين تاريخ الفتاش وتاريخ السودان في تحديد المكان ، فالأول أخبر بدخول الأسكيا إسحاق الثاني منكسر النفس إلى عاصمته جاو التي استولى على سكانها اليأس والخوف وخرج منها مباشرة [4] ، والثاني أكد بأنه لم يدخل إلى جاو بل سار مباشرة إلى منطقة كورما[5] على الضفة الأخرى من نهر النيجر فيما كان الناس يبكون بالمدينة و يتزاحمون على المراكب لتحمِلهم على الضفة المقابلة[6]، وذكر السعدي أن الأسكيا إسحاق الثاني أصدر أمرا بإخلاء جاو و تُنبكت إلا أن هذه الأخيرة لم يتم إخلائها لصعوبة ذلك[7].

وذكرت المصادر المغربية أنه بعد انتهاء المواجهة الأولى تقدمت الجيوش إلى جاو واحتلتها ثم وجه خبر الفتح على وجه السرعة إلى المنصور فعمت الفرحة ربوع البلاد[8].

---

[1] كعت: **المصدر السابق**، ص: 147.

[2] نفسه.

[3] الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 94.

[4] كعت: **المصدر السابق**، ص:149.

[5] منطقة واسعة تقع مدينة جاو وسطها، محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 61، هامش رقم: 2.

[6] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 140.

[7] نفسه.

[8] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 139، أنظر نص الرسالة التي وجهها المنصور إلى أعيان وعلماء مملكته في الملحق رقم: 11.

بالعودة إلى جنود المنصور بالسودان الغربي تتفق بعض المصادر التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة على أن المناخ السوداني كان له تأثير كبير على القوات المغربية،إذ مرض العديد من الجنود ودبت في أجسامهم الآلام والأوجاع[1]، وفي هذه الأثناء ذكرت المصادر المغربية محل الدراسة أن رسولا من الأسكيا إسحاق الثاني وصل إلى معسكر جوذر باشا يطلب السلم فانطلقت مفاوضات باشرها من الجانب المغربي القائد أحمد بن الحداد العمري تم الوصول بمقتضاه إلى مشروع اتفاق مشروط بقبول المنصور[2] وقد تضمنت عروض إسحاق الثاني ما يلي:

- ✓ إعلان البيعة والطاعة للمنصور الذهبي [3].
- ✓ يدفع أسكيا حالا مبلغ مائة قطعة ذهبية ومائتي من الرقيق[4].
- ✓ يدفع الأسكيا كل سنة خراجا ثقيلا يرصد لبيت المال المسلمين برسم الجهاد [5].
- ✓ رجوع جيش المنصور إلى مراكش ويسلم له أرضه[6].

أما عن الرسول المرسل إلى السلطان أحمد المنصور فهو شوط علي العجمي[7].

ذكرت المصادر المغربية أن جوذر وقواته تراجعت من مدينة جاو واتجهت إلى مدينة تنبكت التي دخلها كما يقول السعدي في يوم الخميس السادس من شعبان **999هـ** وبقي ينتظر رد السلطان عن طلب الأسكيا إسحاق[8].

---

[1] نفسه، ص: 146، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 94 .

[2] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص : 147.

[3] نفسه .

[4] نفسه، الوفراني: **المصدر السابق**، ص : 94.

[5] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص:147، وأيضا الوفراني : **المصدر السابق**، ص: 94.

[6] السعدي: **المصدر السابق**، ص:141.

[7] نفسه، ص147.

[8] نفسه.

في هذا الصدد ذكرت المصادر السودانية أن قاضي تنبكت أبي حفص عمر بن محمود آقيت لم يستقبل جوذر بجيوشه بنفسه بل أرسل له مؤذن الجامع الكبير، هذا الأمر أغضب جوذر كثيرا لأنه يعلم أن عدم استقبال القاضي له شخصيا يعني عدم الاكتراث و الترحيب به مما يعني عدم رضاه عن الحملة والوجود المغربي بالسودان الغربي فهو يمثل الطبقة المثقفة ليس هذا فحسب بل له مكانته في المدينة وفي البلاد كلها.

ذكرت المصادر المغربية أنه في أثناء انتظار الباشا جوذر لجواب المنصور خاصة بعدما تأقلم جنود الحملة مع جو البلاد و <<**ذهب عنهم وعث السفر**>>[1] أخذ في بناء أسطول الذي أكد الفشتالي أن المنصور: << **قد أمدهم بئالتها وأرباب صناعتها** >>[2] وذلك مخافة أن يفاجئهم المنصور بالرفض فيجده مستعدا.

ذكرت المصادر السودانية أن جوذر باشا اتخذ تنبكت عاصمته و حومة الغدامسين مقرا لقصبتهم ،وقد فصّل المؤرخان السودانيان محمود كعت والسعدي في كيفية بناء هذه القصبة[3]، كما ذكر كعت المعاملة السيئة التي كان يلقاها سكان تنبكت خاصة التجار منهم والعلماء حيث ألزمهم بأن يقدموا مجموعة من العبيد تتراوح ما بين **20** و **17** عبد على أن يكونوا من أفتى العبيد وأكثرهم مهارة في البناء كما كان على كل تاجر أن يطعم عبيده وينفق عليهم ، ويأتي العبيد جماعات بعد صلاة الصبح وعلى رأس كل جماعة شاوش (ضابط صف) وأن يحرصوا على مراقبة صحة العبيد الموكلين لهم فعليهم أن يتعشوا جيدا في بيوت مالكيهم ويناموا مبكرين ولا يقوموا بأي عمل في البيوت ، وقد ألزم جوذر تجار البلد أن يقدموا مؤونة للجيش المغربي من طعام وشراب ...، ولم يكن أهل تنبكت قد ألفوا مثل هذه المعاملة القاسية[4].

---

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص:147.

[2] نفسه، ص148.

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 142، وأيضا كعت: **المصدر السابق**، ص: 157، 158 .

[4] نفسه، ص : 158 .

جاء رد المنصور لجوذر حول طلب الأسكيا إسحاق الثاني إذ تُجمع المصادر المغربية محل الدراسة والسودانية على حد سواء على أن المنصور غضب غضبا شديدا على الباشا جوذر والقائد أحمد بن الحداد العمري الذي اتفق مع جوذر على ذلك الصلح[1] والأسباب التي أدت بالمنصور إلى استنكار ما قام به جوذر من عقد الصلح هي النتائج الناجمة عن هذا الصلح و هي :

❖ إعطاء فرصة للأسكيا لتنظيم نفسه واسترجاع أنفاسه بعد التمكن منه ، وفي المقابل يدب الوهن في عساكره خاصة وأن جو البلاد لم يألفوه بعد واستنكروه[2].

وكانت الإجراءات التي اتخذها المنصور كالتالي[3] :

✓ عزل جوذر باشا عن قيادة الجيش وتكليفه بإدارة شؤون البلاد السودانية.

✓ إرسال الباشا محمود بن زرقون في فرقة من الجيش وتوليه مكان جوذر.

✓ إصدار أمر بقتل أحمد بن الحداد العمري، لكن وصل قرار العفو قبل تنفيذ أمر قتله.

وصل الباشا محمود بن زرقون (ثاني باشا مغربي) لتنبكت يوم **الجمعة 26 شوال 999هـ / 17 أوت 1591 م**[4] الذي جدد المعركة مع الأسكيا إسحاق الثاني ، ثم واصل المسير نحو مدينة جاو[5] رفقة الجيش ودارت أول معركة بينه وبين أسكيا إسحاق الثاني بمنطقة بنب شمال نهر النيجر بين مدينتي جاو و تنبكت وذلك يوم **25 ذي الحجة 999 هـ / 14 أكتوبر 1591** ما انتهت المعركة بانهزام إسحاق الثاني وفراره فتبعته القوات المغربية[6] فاضطر إلى متابعة تراجعه وأثناء ذلك دخلت جيوش محمود باشا العاصمة جاو.

---

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص : 148، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص: 144.

[2] الفشتالي : **المصدر السابق** ، ص : 148.

[3] نفسه، ص: 149، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص ص: 144، 145.ملاحظة : لم يرد ذكر للحكم الذي صدر بحق أحمد بن الحداد العمري عند الفشتالي.

[4] السعدى : **المصدر السابق** ، ص : .145

[5] نفسه .

[6] الفشتالي : **المصدر السابق** ، ص ص : 153 ، 154.

ذكرت المصادر المغربية محل الدراسة أن محمود باشا واصل ملاحقة الأسكيا إسحاق الثاني على طول نهر النيجر الذي اعتقد أن الجند لن يتبعوه لانشغالهم بأمر سقوط مدينة جاو ، فمشى ببطيء الشيء الذي مكن العساكر من اللحاق به وراء مدينة جاو فهزموه وهرب مرة أخرى بعد أن نجا من شرّ الموت .

وهكذا تفيد المصادر المغربية المعتمدة أن القوات المغربية ظلت في أعقاب إسحاق الثاني إلى أن شدت الخناق ليضطر في الأخير إلى الالتحاق بدار الكفر وتحديدا عند كفار كرم (كورما) طالبا حمايتهم، إلا أن الجيش المغربي تدخل وهددهم باستعمال القوة ودفعهم إلى التخلص منه عن طريق قتله مسموما واستيلاء العساكر على أمواله [1] إلا أن السعدي يذكر أن هناك عداوة كانت بين أسكيا إسحاق الثاني وكفار كرم(كورما) و هو ما أدى إلى قتله[2].

كما ذكرت المصادر المغربية محل الدراسة مناهل الصفا تحديدا أن أخ الأسكيا إسحاق الثاني الذي انخزل في ثلاثمائة من إخوته كان قد أبدى تعاونا مع القوات المغربية إذ كان طموحا أكثر من اللازم فبمجرد وفاة أخيه حاول الاستقلال بنفسه ، إلا أن محمود باشا أرسل إليه أحد رؤساء الخلافة المدعو محمد ابن عبد الله فوقف على استعداداته العسكرية الشيء الذي دفع محمود باشا إلى تجهيز قوة عسكرية قضت عليه [3].

2– موقف المغاربة من الحملة:

عند دراسة المصادر المغربية التي تناولت موضوع الحملة يمكن الخروج بموقفين متناقضين:موقف الإشادة و التأييد، وموقف المعارضة والاستنكار.

[1] نفسه.
[2] السعدي : **المصدر السابق**، ص: 149 .
[3] الفشتالي : **المصدر السابق**، ص ص: 154 ،155.

أ–موقف الإشادة والتأييد:

نلمس هذا الموقف من خلال قصائد التّهاني التي تلقاها المنصور من الشعراء بمناسبة فتحه للسودان كما يقولون ومنهم:قصيدة أبو عبد الله من بن على الهزوالي[1]قصيدة أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي[2]،قصيدة مؤلف كتاب مناهل الصفا عبد العزيز الفشتالي الذي يُعتبر على رأس المؤيدين [3]، قصيدة عبد الله بن عجال المزورى[4]، قصيدة أبو القاسم الغساني[5]، قصيدة الحسن المسفيوى[6]، وقصيدة أحمد بن القاضي[7].

أ– موقف المعارضة والاستنكار:

يكاد ينفرد بهذا الموقف صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمادرتية فنلمس ذلك من موقفه تجاه الأعمال التي قام بها جنود المنصور ضد جنود الأسكيا إسحاق الثاني فقال: << **فصاروا يقتلونهم والعبيد المساكين رحمهم الله يرفعون اكفهم إلى السماء وهم يقولون: نحن إخوانكم في الدين والظلمة (أي جنود المنصور) مع ذلك الحال يقتلونهم حتى قتل المخذولون جميع من بات عندهم ظلما وعدوانا وكل ذلك في صحيفتهم وصحيفة رئيسهم وسلطانهم (أي المنصور) وعند الله تجمع الخصوم و يلتقى الظالم والمظلوم ومات من أهل الغرب قدر عشرة أمثال الآخرين وذلك جورا وظلما من غير تعد من العبيد** >>[8]، واستنكاره لموقف المنصور من هذا العمل فقال: <<**فأمر بالمفرحات غدوة وعشية ثلاثة أيام فرحا بقتل عباد الله المسلمين** >>[9]، كما استنكر موقف أصحاب الرأي الأول عن تأييدهم وإشادتهم فقال:<< **وأتاه المتفقه والقواد، وعلماء الظاهر العادمين**

[1] الفشتالي : المصدر السابق، ص ص : 141 ،142 .

[2] نفسه، ص ص : 140، 141.

[3] نفسه، ص ص:139، 140، المقري : **روضة الآس** ...،**مصدر سابق**، ص ص: 128، 129، وغيرها الوفراني: **المصدر السابق**، ص ص: 94-96.

[4] المقري: **المصدر السابق**، ص ص: 215-217.

[5] نفسه، ص ص: 216، 217.

[6] نفسه، ص ص: 169-170.

[7] نفسه، ص ص: 275- 276.

[8] مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة السعدية**....، **مصدر سابق**، ص ص:69، 70.

[9] نفسه، ص: 70.

البصائر، والأمناء بغير حقيقة يهنونه في قتال أهل الإسلام، واخذ أموالهم وتمليك عيالهم وأولاهم >>[1]، وفي موقع أخر ذكر أن المنصور << **ترك الجهاد وأخذ السودان** >>[2].

3–موقف السودانيين من الحملة:

أ–موقف العلماء :

يمكن استشفاف موقف السودانيين المعارض والمندد للتواجد المغربي في بلادهم من خلال نظرة العلماء– تنبكت بصفة خاصة – لهذا التواجد فيُلمس ذلك من خلال معاملتهم للجنود المغاربة، فكما عُرض سابقا عندما دخل جوذر باشا مدينة تنبكت، وكيف تحفظ القاضي أبي حفص عمر بن محمود أقيت وأتباعه في إبداء ترحيبهم كما كان ينتظر جوذر باشا، وهذا ما جعله يغضب بشدة، لأنه يعلم آثار هذه اللامبالاة وانعكاساتها على الرعية، كذلك يُلمس موقفهم – أي العلماء – من خلال الحوار الذي دار بين أحمد المنصور السعدي الذهبي وأحمد بابا التنبكتي، وهو أحد أبرز العلماء السودانيين الذين اعتقلتهم جنود المنصور ونقلوا مصفدين إلى مراكش فقد امتنع هذا العالم الشهير من أن يُحدث المنصور من وراء الحجاب واتهمه بأنه يتشبه برب الأرباب، وذلك حين استنكر العالم نكبة علماء تنبكت على يد الجيش المغربي وابدي الاستغراب من الإقدام على فتح بلد إسلامي، فقال له المنصور: أردنا أن تجتمع الكلمة بكم ويتقوى جانب الإسلام، فأجابه أحمد بابا: هلاّ جمعت البلاد الأقرب – يقصد الجزائر– التي كانت تحت الحكم العثماني وتركت السودان [3]، أما السعدي فعند تعليقه عن الأعمال التي قام بها المغاربة ضد السودانيين فانه يستعيذ بالله منها فيقول: <<**وفعلوا(أي جنود المنصور) ما فعلوا، والعياذ بالله من مثلها هكذا يفعل منها كثير**>>[4]، إذن فالعلماء السودانيون كانوا يعتبرون الحملة على السودان عملا خاطئا ولا مبرر له.

---

[1] نفسه.

[2] نفسه.ص:65.

[3] الوفراني : **المصدر السابق**، ص :97 ،وأيضا العباسي بن إبراهيم (المراكشي): **الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام**، 10 أجزاء، المطبعة الملكية، الرباط، 1974م، ج:2، ص : 305 .

[4] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 34.

ب– موقف التجار:

أما فئة التجار فإن موقفهم يبرز من خلال مديد العون إلى مناهض الحكم المغربي وهذا ما أورده السعدي [1].

ج– موقف العبيد:

أما عن الطبقة الاجتماعية العامة خاصة العبيد الذين كثيرا ما تعرضوا للعذاب والحشر في معسكرات السخرة ولقد تم ملاحظة الباشا جوذر عندما كان يبنى قصبته بتنبكت و استعانته بالعبيد في بناءها وما كان يلقاه هؤلاء من قسوة وسوء معاملة إذ كان على العبيد أن يأكلوا جيدا ويناموا باكرا ليواجه مشاق العمل غدا تحت رعاية جنود حاملين للسياط و مفوضين بمعاقبة من يتخلى عن العمل أو يتواني فيه [2].

تُرجمت مواقف مختلف الشرائح الاجتماعية السودانية إلى ما يعرف بثورة تنبكت الكبرى ضد الجنود المغاربة ،هذه الثورة التي لم توردها المصادر المغربية محل الدراسة على الإطلاق في حين أن المصادر السودانية أوردتها بكل تفاصيلها.

بدأت ثورة تنبكت يوم **الخميس 21 ذي الحجة 999هـ** على يد الحاكم السابق لتنبكت– أي في عهد الأسكيين– يحي ولد بردم بعد أن بايعته قبيلة الزعرانيين الأعراب من ذوي الظفائر الطويلة على الموت وسارت معه من موطنها في **يُرو** إلى تنبكت لقتال القائد المغربي مصطفى التركي الذي أمر جنوده بإطلاق النار عليهم فوقع البعض على الأرض وفرّ الباقون وقُبض على يحي وطيف برأسه في المدنية ليعتبر منه الناس [3].

---

[1] نفسه، ص: 157.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص:147.

ظل الجو مشحون بالتوتر وبدأ الأهالي يتحفزون للانتقام وتوالت الاجتماعات في بيت القاضي عمر وزاوية الشيخ عمر الشريف سبط الشريف احمد الصقلي وذكر السعدي أن التجار والأعيان طلبوا من القاضي إعلان الجهاد بل وذهبوا إلى حد تحريض الناس في الأزقة، ولكن القاضي هدأ من روع المتحمسين وأرسل رسوله عمر إلى زاوية الشريف الصقلي وطلب منه تهدئة الناس وأن لا يفرطوا في أرواحهم لكن الرسول بدل الحديث وطلب منه العكس فأرسل الشريف الصقلي المنادى في المدينة بطلب القيام بالثورة ضد المغاربة [1] .

بدأت الثورة في **الفاتح من محرم 1000 هـ،** و استمرت إلى أوائل الربيع الأول من نفس السنة، حيث استعان القائد مصطفى التركي **بأوسنب** زعيم قبائل طوارق مغشرن ولم يكن بالذي يتأخر عن انتهاز الفرصة فقاد رجاله إلى سلب وحرق المدينة وكادت النار أن تلتهم بيت القاضي [2]،كما وقعت حادثة الجامع الكبير التي اشتبك فيها الناس مع الرماة المغاربة وجها لوجه وأصبح الجنود المغاربة محاصرين في القصبة[3]وفي هذه الأثناء بلغ الباشا محمود خبر ما يجرى بين أهل تنبكت وبين القائد مصطفى التركي من القتال وأنه محاصر مع أصحابه في القصبة فأرسل له القائد مامي بن برون مع ثلاثمائة وأربعة وعشرين راميا وأمره بقتل جميع أهل تنبكت لكن القائد تريث وقام بالصلح بين القائد مصطفى وأهل تنبكت ونجح في ذلك.

من هذه الثورة يمكن للدارس أن يستشف موقف السودانيين المعارض لهذا التواجد،ولم تكن هذه الثورة هي الوحيدة فقد كانت تقوم بين الفينة والأخرى ثورات سواء في المناطق الغربية أو الشرقية لمملكة سنغى ،وعلى سبيل المثال لا الحصر تلك المحاولة التي قام بها القائد محمد بنكن من منطقة كوندام لاستعادة مدينة جني وإعادتها لحكم الأسكيين بعد أن خضعت للحكام المغاربة[4] هذا عن الثورات التي قامت بالجهة الغربية، أما أبرز ثورة بالجهة الشرقية هي التي قام بها الأسكيا نوح في منطقة دندى التي كثيرا

[1] نفسه.

[2] نفسه، ص: 156.

[3] نفسه، ص : 157.

[4] نفسه، ص:159.

ما أزعج بها المغاربة وكبدهم العديد من الخسائر [1] وهنا نكتفي بالإشارة إلى هذه الثورات دون إيراد تفاصيلها وذلك فقط لكي نستخلص منها موقف السودانيين المعارض ، لأن المصادر المغربية المعتمدة لم تتطرق لها وهي محل دراسة.

كذلك من الأعمال الشنيعة التي قام بها المغاربة بالسودان الغربي والتي كان لها الأثر السيئ في نفوس السودانيين ما قاموا به تُجاه العلماء بتغريبهم إلى المغرب[2]،و كانت حجة المغاربة في تصرفهم هذا أن العلماء يتدخلون في تأليب العامة ضدهم ،وقد انفرد بين المصادر المغربية محل الدراسة بذكر هذه الحادثة الوفراني في حين أن الفشتالي وهو من المعاصرين لها وكاتب الدولة الرسمي لم يذكرها بالمرة .

4/الباشاوات المغاربة الذين حكموا السودان الغربي من (1591إلى 1612م):

تكتفي المصادر المغربية محل الدراسة بذكر ثلاث باشاوات الأوائل الذين تولوا الحكم بالسودان الغربي وهم على التوالي : الباشا جوذر ،الباشا محمود بن زرقون، والباشا منصور بن عبد الرحمان هذا الأخير الذي أرسله المنصور في **مارس 1595م** قال الفشتالي عنه: << **فجهز... العساكر والإمداد ... وعقد عليها لمولاه وكبير الممالك ...أبي علي منصور بن عبد الرحمان** >>[3] استمر هذا الباشا الأخير في الحكم بالسودان الغربي إلى غاية **نوفمبر 1596م**. ومع أن المنصور أرسل ثلاث باشاوات بعده وهم على التوالي الباشا محمد طابع (**ديسمبر 1597م– ماي 1598م**)، الباشا الفتى عمار(**فيفري1599م– ماي 1600م**)، و الباشا سليمان (**ماي 1600م – جويلية 1604م**) هذا ما أوردته المصادر السودانية، في حين لم يرد لهم ذكر في المصادر المغربية المعتمدة لا سيما منها المناهل خاصة إذا علمنا أن آخر حدث تاريخي أورده صاحبه الفشتالي كان في **1006هـ / 1597م** كما أكد ذلك محقق الكتاب عبد الكريم كريم [4].

---

[1] نفسه، ص ص: 171-176.

[2] لتفاصيل عن هذه الحادثة، أنظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص:124.

[3] الفشتالي: **المصدر السابق** : ص165

[4] عبد الكريم كريم: <<**مناهل الصفا ...**>>، **مرجع سابق**، ص 242.

فكيف نُفسر سكوت المصادر المغربية محل الدراسة عن هؤلاء خاصة منهم الفشتالي الكاتب الرسمي للدولة السعدية – عهد المنصور بالذات – ؟

عند دراسة كتاب مناهل الصفا للفشتالي الذي لم يبقى منه سوى الجزء الخاص بعهد المنصور يُلاحظ كما وسبق وتم الإشارة أعلاه أن آخر حدث تاريخي أورده صاحب الفشتالي كان في **1006هـ / 1597م** كما أكد ذلك محقق الكتاب عبد الكريم كريم فسر هذا الأخير سكوت الفشتالي عن الفترة الأخيرة من حكم المنصور بل وعن أحداث ربع قرن من الزمن وهي المدة التي امتدت خلالها حياة المؤرخ من أنه ألف وتأليفه ضاع خاصة وأنه كان قد وعد بذلك ، أو أن الأحداث الداخلية للمغرب منذ **1007هـ/ 1598م** قد أعاقته عن القيام بذلك خصوصا وأن السنوات الخمس الأخيرة في حكم المنصور قد تعرض خلالها المغرب لأحداث جد مؤلمة انتشار الطاعون بكل المغرب لكثرة قتل المعارك والثورات [1] و اضطراب سُبل الحياة الاقتصادية حيث أخذت المجاعة تعم البلاد وتزيد من أمر داء الطاعون استفحالا ثم الثورة التي قام بها المأمون بفاس ضد والده المنصور بمراكش والتي لم يتمكن المنصور من القضاء عليها إلا بعد جهد جهيد ، فهذه النكبات الثلاثة غيرت مجرى الحياة في المغرب وكانت نقطة سوداء في صفحة المولى أحمد المنصور الذهبية لم يجد فيها الفشتالي ما يثير الاهتمام ويستحق التسجيل وبالتالي ما يزيد من شأن ممدوحه الذي امتازت دولته بأنها الدولة الشريفة التي أثرت العديم، و أكسبت المحروم [2].

وهذا ما يؤكد سلسلة المآخذ التي تم تسجيلها عن الفشتالي عندما يتعلق الأمر بحادث أو شيء يسيء إلى الدولة السعدية أو بالأحرى عهد المنصور ومرة أخرى لا مناص من العودة إلى المصادر السودانية والمراجع لتتبع مسار الحكام المغاربة بالسودان الغربي في فترة الحكم المباشر للمغرب والتي استمرت إلى غاية **1612م** وهي السنة التي تم فيها عزل آخر باشا مرسل من المغرب وهو محمد لنك الذي أرسله مولاي فارس وصل إلى لتنبكت في **صفر 1013هـ/1604م** [3]، واستمر حكمه ثمانية

---

[1] من هذه الثورات ثورة الناصر، الفشتالي: **المصدر السابق**، ص:169.

[2] عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص: 243.

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص:191.

أعوام و سبعة أشهر عزله القائد المغربي علي بن عبد الله التلمساني يوم **الأربعاء 15 شعبان 1021هـ** وفتح بذلك باب الفتنة بالسودان الغربي بين الجنود المغاربة الذين انقسموا إلى ثلاث فرق هم : جيوش فاس، وجيوش مراكش، وجيوش شراكة إذ لم يستطع أحد منهم أن يتقبل مبدأ الطاعة للآخر بعد أن انكفأت يد السلاطين عنهم بالمغرب [1] ولم يعودوا يرسلون لهم مددا ولا أقواتا[2].

كذلك من المآخذ التي تسجل عن المصادر المغربية محل الدراسة أنها لا تعطي فكرة عن مسار الباشاوات بالسودان الغربي أو عن مجموعة المعارك التي خاضوها تجاه السنغيين ولا عن حدود المنطقة التي خضعت للمغاربة عدا الإشارة التي أوردها الفشتالي والتي قال فيها من أنها امتدت: << **فيما بين بلاد النوبة و البحر المحيط[المحيط الأطلسي]من قاصية المغرب وكان بالرايات العلوية بحول الله قد انتظمت أول الأرض بآخرها وتخطت السودان إلى السد بعز الله وقدرته**>>[3] لكن الباحث المعاصر دراماني شكك في هذه الحدود وقال أنها جزئية غير ثابتة[4].

حول الإدارة المغربية بالسودان الغربي في الفترة المعنية بهذه الدراسة هناك دراسة قام بها الباحث المعاصر محمد الغربي[5].

---

[1] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 14. تجدر الإشارة إلى أن الأمير مولاي زيدان أرسل في سنة: 1027هـ/1618م، الباشا عمار، والقائد مامي التركي مع حامية عسكرية تقدر ب 400 راميا ولم يمكث طويلا، ورجع إلى مراكش دون أن يتقلد الباشاوية، السعدي: **المصدر السابق**، ص: 222.

[2] دخل المغرب في مرحلة فوضى داخلية، نتيجة التنازع على الحكم بين أولاد المنصور الذهبي.

[3] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص:164.

[4].Z.D.Issifou :**op**.**cit**,p :22

[5] محمدالغربي: **المرجع السابق**، ص ص:345-420.

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للسودان الغربي والآثار المغربيةعليها من خلال المصادر المغربية محل الدراسة

أولا الحياة الاجتماعية:

1- في حواضر السودان الغربي.

2- التركيبة الاجتماعية السودانية.

3- الطبقات الاجتماعية.

4-الحياة اليومية.

ثانيا الحياة الثقافية:

1- اتصال الحكام بالعلماء.

2-الحركة الفكرية بالمنطقة قبل وفي ظل الحكم المغربي عليها.

ثالثا الحياة الاقتصادية بالسودان الغربي :

1-الزراعة و الثورة الحيوانية.

3 – الصناعة والحرف.

3- التجارة.

شكل موضوع الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالسودان الغربي حيزا في المصادر المغربية محل الدراسة، مع أن النصوص التي حملتها تلك المصادر لم تكن متوازنة إذ يعتبر كتاب وصف إفريقيا للرحالة الحسن الوزان أكثر غنى من غيره الذي أعطى صورة أكثر وضوح وشمول في هذه الجوانب، وذلك لأنه زار المنطقة وعاشر أهلها فشاهد لباسهم وأطعمتهم ومساكنهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وأعطى وصفا دقيقا لها، إذ لا مناص للمؤرخين المعاصرين الذين كتبوا عن المنطقة في تلك الفترة الزمنية – بداية الفترة المدروسة – من العودة إليه، مما دفعني على التركيز عليه مقارنة مع المصادر المغربية الأخرى محل الدراسة والتي جاءت هزيلة إذ نال الجانب السياسي حصة الأسد خاصة بعد منتصف القرن السادس عشر ميلادي .

وهذا ما جعل التعرف على التغيرات التي طرأت على نمط المعيشة بالمنطقة المدروسة صعب لاسيما في ظل التواجد المغربي بالمنطقة، إذ حتمت الدراسة العودة إلى مصادر ومراجع أخرى سودانية وعربية وحتى أجنبية، لإلقاء الضوء أكثر على هذه التغيرات في هذه الفترة المدروسة .

أولا الحياة الاجتماعية:

1- في حواضر السودان الغربي:

إن الظروف الحضارية وطبيعة الحياة كما يجب فهمها في بلاد السودان الغربي – مملكة سنغي– لا تعني كل البلاد، وإنما تعني مراكز الاستقرار المدني أي مراكز الاستقرار في المدن الهامة وما يتصل بها من ضواحي حيث أن معظم جهات المملكة باستثناء مواقعها على الآبار حول نهر النيجر وروافده، وكذا البحيرات الواقعة عند منحناه هي عبارة عن صحاري تنعدم بها التجمعات السكانية، ولا يرتادها إلا الرعاة من الطوارق والسودانيين لفترة محدودة قد تكون أياما معدودات فقط .

ازدهرت الحياة بشكل بارز في المراكز الحضارية، حيث المؤسسات الإدارية والاجتماعية كما كثر السكان بها وتبادلوا البضائع والخبرات والمعارف.

وعليه فإن الحديث عن تلك المراكز يبدو من الضروري بما كان لأنه يطلعنا على دور تلك المراكز في حياة البلاد، كما يعمق النظر للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيها [1] وأهم تلك المراكز الحضارية في أيام حكم الأسكيين بسنغي، وطيلة فترة حكم المغاربة المباشر من خلال المصادر المغربية محل الدراسة هي :

أ – تنبكت :

لم يرد ذكر في المصادر المغربية محل الدراسة عن مدينة تنبكت شيء لا عن زمن تأسيسها ولا عن مؤسسها، واكتفى صاحب كتاب وصف إفريقيا الذي كتب في بداية الفترة المدروسة بإعطاء معلومات ضافية عنها في الفترة التي زارها فيها، فقال أن المدينة تأسست في سنة **610 هـ / 1213 م** على يد الملك منسا سليمان [2] في حين أن الكتابات السودانية وغيرها تذكر أنها تأسست في أواخر القرن **5 هـ / 11 م**، على يد قبائل مَقشرنْ الطارقية[3]، وهذا الرأي تأخذ به أغلب الكتابات المعاصرة التي تؤرخ لهذه المدينة [4]، ذكر السعدي أن قبائل مَقشرنْ الطارقية وهم قوم من البدو قدموا هذه البلاد لرعي أغنامهم فكانوا يصيّفون على ضفاف نهر النيجر في قرية أمظغ، و في الخريف يرجعون إلى أوطانهم في(آروان)[5]، ومع مرور الوقت استقروا في هذه المدينة أي تنبكت، و من الأسباب التي أدت بالطوارق لاختيار هذه المنطقة أنه توجدها كثيرا من الآبار ذات المياه العذبة التي أدت بالتدرج إلى مكان يتلاقى بها التجار ويقيمون حوله للراحة أحيانا، ومن التقاءاتهم العديدة تحول المكان إلى سوق للتبادل التجاري بين تجار

[1] عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاى** ... ، **مرجع سابق** ، ص ص : 99 ،100.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص:165، السلطان سليمان حكم مملكة مالي بين (**724 هـ / 1341 م – 762 هـ / م**)، وفي عهد هذا الملك زار ابن بطوطة السودان الغربي، ولعل الحسن الوزان اختلط عليه الأمر في تحديد المدة التي حكم فيها هذا السلطان فكما هو معروف عنه من أن تواريخه غير مضبوطة .(أنظر عن الكتاب ومؤلفه في الفصل الأول من هذه الدراسة ص:36 وما بعدها.)

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 20، وأيضا أحمد بابير الأورابي : **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تحقيق: الهادي مبروك الدالي، ط :1، جمعية الدعوة العالمية، ليبيا، 1369 هـ / 2001 م، ص:51.

[4] توماس أرنولد: **المرجع السابق**، ص:355، وأيضا .M.Delafosse: **haut –sénégale**, p :269

[5] السعدي:**المصدر السابق**، ص ص: 20، 21، أروان: هي قرية من قرى السودان الغربي تبعد عن تنبكت عشرة أيام أو ما يقدر بحوالي 450 كلم لا توجد بها زراعة ولا تبنت فيها العشب لانعدم الأمطار، أما مبانيهم فهي من الطين أنظر: الهادي مبروك الدالي: **تاريخ إفريقيا** ... ، **مرجع سابق**، ص: 97، هاش: 2.

الشمال والجنوب[1] وهذا التبادل بطبيعة الحال لم يقتصر على تبادل البضائع فحسب بل تعداه إلى حمل الأفكار والحضارة الناشئة حول البحر الأبيض المتوسط .

أما عن سبب التسمية فيقال أن هذه القبائل عندما كانوا يرتحلون يتركون أدواتهم في ذلك المكان عند امرأة تدعي تنبكت ومن ثم أطلق هذا الاسم على هذه المنطقة، وعن نطق الاسم تنبكت ورسمه ورد بعض الخلاف بين المصادر والمراجع التاريخية التي أرخت لها فالسودانية كتبتها تنبكت كتاريخ الفتاش لكعت [2] وتاريخ السودان[3] ونيل الابتهاج[4] وكفاية المحتاج[5] لتنبكتي وغيرهم، بينما ضبطها كلا من الرحالين الحسن الوزان[6] وابن بطوطة[7] باسم تنبكتو .

أما بعض المستشرقين فقد كتبوها بالميم تمبكتو مثل توماس أرنو لد[8]، وقلدت العديد من المراجع العربية الحديثة ما كتبته الأقلام الغربية، إلا أن ما كتبته المصادر السودانية هو الصحيح وذلك باعتبار أنهم من أهالي المنطقة وأدرى بصحة نطق اسمها ورسمه لذا كتبت في هذه الرسالة تنبكت.

أما عن موقعها فهو على الحافة الجنوبية للصحراء الإفريقية الكبرى في منطقة نهر النيجر عند دورانه وتقوسه من الناحية الشمالية إلى الناحية الجنوبية[9]، وقد حدد الحسن الوزان هذا الموقع في زمنه على بعد اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر[10] .

---

[1] عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاي ...، مرجع سابق**، ص: 100.

[2] كعت : **المصدر السابق**، ص ص: 60، 109، 158 وغيرها .

[3] السعدي :**المصدر السابق** ، ص ص : 20،21 وغيرها.

[4] أحمد بابا التنبكتي : **نيل الابتهاج بتطريز الديباج، جزءان**، تحقيق: على عمر، ط:1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص ص: 8، 20، 314 وغيرها

[5] أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ضبط النص وعلق عليه: أبو يحي عبد الله الكندي، ط:1، دار حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002م، ص:505.

[6] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص ص : 165، 166، وغيرها

[7] ابن بطوطة : **المصدر السابق** ، ص : 451 ، وغيرها

[8] توماس أرنو لد: **المرجع السابق**، ص: 355 .

[9] أحمد شلبي: **المرجع السابق**، ص: 195.

[10] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص: 165.

بدأت أهمية وشهرت تنبكت تزداد بالسودان الغربي كمركز ثقافي بالإضافة إلى كونها مركزا تجاريا بعدما تقلصت أهمية مدينة ولاتة إذ قال السعدي: >> **وكان التسوق من قبل في بلد بير[ولاته] ، وإليه يرد الرفاق من الآفاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال ... ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا قليلا حتى استكملوا فيه ،وزيادة مع جميع قبائل صنهاجة بأجناسها فكانت عمارة تنبكت خراب بير [ولاتة]** ...<<[1]، ففي أوائل القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد – أي بداية الفترة المدروسة–، فقدت ولاتة أهميتها نهائيا لصالح تنبكت والدليل على ذلك ما قاله الحسن الوزان الذي زار المدينتين في أوائل القرن العاشر للهجرة / السادس عشر للميلاد ووصف ولاتة بأنها: >> **مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر ممالك السودان ، فليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاث قرى كبيرة وأكواخ متفرقة بين حدائق النخيل ... التجار تركوا ولاته شيئا فشيئا منذ عهد سني علي ... وذهبوا إلى تنبكتو[تنبكت] وكاغو [جاو] بحيث إن أمير ولاته أصبح فقير لا سلطة له عليها ... ويؤدي ......الخراج إلى ملك تنبكت (الأسكيا الحاج محمد)**<<[2].

وصف الحسن الوزان الحياة في تنبكت فقال أن الوالي على تنبكت الذي كان من قبل الأسكيين في الفترة التي زارها فيها يتوفر لديه >> **قرابة ثلاثة آلاف فارس وعدد لا يحصى من الراجلين الحاملين لقسي المصنوعة من خشب (الفُنْوي) البرية تمرق منها سهام مسمومة** <<[3]كان يحارب بهم أعداءه من جيرانه ومن يمتنع عن أداء الخراج إليه[4].

كما تكلم عن دُورها وقال أنها عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن وهذا باستثناء بناءين بها بنيا بالحجر المركب بالطين والجير وهما مسجد وقصر كبير على يد مهندس أندلسي[5]،

---

[1] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 21.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص ص:161، 162.

[3] نفسه، ص:166.

[4] نفسه، ص: 167 .

[5] نفسه، يقصد بهذا المهندس الأندلسي أبو إسحاق الساحلي الذي أحضره منسا موسي المالي من مصر عند عودته من الحج وذلك في سنة 725هـ/1324م، أنظر:الهادي مبروك الدالي : **التاريخ السياسي...**، **مرجع سابق**، ص ص:60-62.

كما ذكر أن لسان السكان لغة سنغي[1]، أما العربية فكانت لغة الثقافة والإدارة كما يتحدث بها الناس في السوق كلغة شائع استعمالها .

كما تكلم عن الحياة الاقتصادية المزدهرة بالمدينة و تمثلت في كثير من الدكاكين المملوءة بالمنسوجات والكتب[2]، و الأسواق التي تعرض فيها البضائع القادمة من بلاد البربر وكذا من أوربا عن طريق بلاد المغرب، كما أورد أن أنفق شيء في أسواقها على ذلك العهد كانت الكتب، الملح، والخيول، وأغلي بضائعها الكتب المستوردة من بلاد البربر <<**تباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع** >>[3]، كما وصف مقاعد العلم والثقافة في هذه المدينة، إذ يعيش فيها القضاة والفقهاء والأئمة والرعاية التي كان يوليها لهم ملك البلاد لينصرفوا لهذه المخطوطات كلما أتتهم من الشمال الإفريقي << **وفي تنبكتو[تنبكت] عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة ، يدفع الملك إليهم جميعا مرتبا حسنا ، ومعظم الأدباء كثيرا** >>[4] وعبارات الحسن الوزان هذه تعكس مدى ازدهار الحياة الثقافية به.

ونظرا لشهرت تنبكت التجارية والثقافية في بلاد السودان الغربي جعل الحسن الوزان يعتبرها العاصمة السياسية لسنغي في حين أن العاصمة هي مدينة جاو.

كما سبق وتم الإشارة أن كتاب وصف إفريقيا هو الوحيد من بين المصادر المغربية محل الدراسة الذي أعطى وصفا دقيقا لمدينة تنبكت والحياة فيها، ولتتبع مسار الحياة بها خلال الفترة المدروسة، فإنه لا بد من الرجوع إلى الكتابات الأخرى السودانية والعربية وحتى الأجنبية.فهذه المصادر تؤكد أن تنبكت استمرت في التعاظم والازدهار طيلة حكم الأسكيين خاصة في عهد سلاطينها العظام الأسكيا محمد الكبير و الأسكيا داوود، وعندما احتل المغاربة مملكة سنغي أصبحت مركز إقامة الباشاوات المغاربة منذ **1591** م، وظلت كذلك طيلة الاحتلال المغربي للمنطقة [5].

[1] عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاي ...، مرجع سابق**، ص: 102 .

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص: 162.

[3] نفسه، ص:167.

[4] نفسه.

[5] M. Delafosse : **op.cit**, p : 273

هناك اختلافات بين الكتابات المعاصرة حول الحالة التي آلت إليها المدينة عقب الاحتلال المغربي لها فها هو ذا المؤرخ السوداني يصف الحالة التي آلت إليها عقب إجلاء العلماء المثقفين عنها وحملهم إلى مراكش سنة **1002 هـ / 1593 م**، وأصبحت المدينة بدون مثقفين فكان مما قاله: >> **ولما أجلاهم القوم وارتحلوا صارت تنبكت جسما بلا روح وانعكس[1] أمرها وتغير حالها وتبدل[2] عوائدها ورجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفالها ، وساد أرذالها على عظمائها** <<[3].

ويوافقه في هذا الرأي الباحثان شارل أندري جوليان[4] و بازل دافدسن[5]، وقد أعطى الباحث دولافس في كتابه أعالي السنغال في الجزء الثاني تفاصيل عن الحالة التي آلت إليها مدينة تنبكت عقب الاحتلال المغربي لها[6].

ب – جني :

تقع مدينة جني في الجنوب الغربي من تنبكت بدولة مالي الحالية، ذكر الحسن الوزان الأسماء المختلفة التي أطلقت على هذه المدينة فالتجار الأفارقة سموها كناوة أما البرتغاليون ومن لهم خبرة بهذه المناطق بأوروبا سموها غينيا، و الأهليون (يقصد بهم أهل البلاد) سموها جني[7] وهذا الاسم الأخير الذي ورد عند المصادر السودانية التي أرخت للمنطقة[8] و المأخوذ به في هذه الدراسة .

---

[1] هكذا في الأصل.

[2] هكذا في الأصل

[3] كعت : **المصدر السابق**، ص : 175 .

[4] شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، جزءان، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978 م، ج: 2، ص : 277 .

[5] بازل دافدسن :**المرجع السابق**، ص: 161 .

[6] M. Delafosse : **op.cit**, pp : 273, 274.

[7] الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ج :2، ص ص:162.

[8] أمثال السعدي: **المصدر السابق**، ص: 12.

تعددت الآراء حول تاريخ تأسيس مدينة جني فبعضهم يحدد ذلك في أواسط القرن الثاني للهجرة /الثامن للميلادي[1]، والبعض الآخر يذكر أنها تأسست في القرن 5 هـ / 11 م[2].

ورد في كتاب وصف إفريقيا للرحالة الحسن الوزان أن مدينة جني خضعت لمملكة سنغي منذ عهد سني علي[3]في سنة **1473**[4]، أما في الفترة التي زارها فيها فقد أصبحت خاضعة للأسكيين حكام سنغي.

وصف الحسن الوزان المدينة بأنها عبارة عن قرية واحدة كبيرة غالب أبنيتها من أكواخ مملوطة الحيطان بالطين ومغطاة بالتبن[5]،كما نقل صورة عن الازدهار التجاري فتكلم عن البضائع الواردة إليها من المشرق والمغرب وأوربا التي كانت تصلها في الغالب عن طريق تنبكت حيث تسافر إليها يوميا القوارب المحملة بالبضائع عن طريق النيجر[6]كما أشار إلى الانتعاش الثقافي الذي كانت عليه المدينة.

تختلف مدينة جني عن مدينة تنبكت في نقطة مهمة هي أن الثانية ولدت مسلمة في حين الأولى ابتدأت في الكفر في أوائل القرن **2 هـ/8م**، واشتهرت كمركز تجاري مهم بالمنطقة المدروسة وفد إليها التجار من كل حدب وصوب ، ومع بداية وفود التجار المسلمين للمنطقة الذين حملوا عقيدتهم مع سلعهم بدأ الإسلام يدب في مدينة جني وينتشر رويدا رويدا وأقام بها كثير من العلماء يُعلمون الإسلام وينشرون مبادئه وعند تمام القرن **6 هـ/13م**، أحسّ ملكها الوثني (**كنبر**)، أن الإسلام يحيط به من كل جانب و ما لهذا الدّين من مبادئ راقية وفكر جليل فعزم على اعتناقه[7]و يحكي السعدي قصة إسلامه فيقول : << ... **ولمّا عزم على الدخول في الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا**

[1]السعدي: **المصدر السابق**، ص: 12.

[2] توماس أرنو لد:**المرجع السابق**، ص : 355 .

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص:164.

[4]R. Mauny : **op.cit**, p : 513

[5] الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ص: 164.

[6]نفسه، ص ص: 163، 164 .

[7]السعدي:**المصدر السابق**، ص ص: 11، 12.

في أرض المدينة فحصل منهم أربعة آلاف ومائتان عالما[1] [مائتا عالم] فاسلم على أيديهم وأمرهم أن يدعو الله تعالى بثلاث دعوات لمدينة تلك [لتلك المدينة] وهي: أن كلّ من هرب إليها من وطنه ضيقا وعسرا أن يبدلهما الله له سعة ويسرا حتى ينسى وطنه، وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها، وأن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة في ذات أيديهم لكي يملوا منها فيبيعونها لأهلها بناقص الثمن فيربحون بها، فقرءوا الفاتحة على هذه الدعوات الثلاثة فكانت مقبولة >>[2].

ذكرت المراجع التاريخية الحديثة أن مدينة جني كانت تحتل المركز الثالث من حيث الأهمية التجارية وذلك بعد كل من تنبكت و جاو، أما في الميدان الثقافي فقد تأتي في المرتبة الثانية من حيث المكانة التي تحتلها في هذا المجال في المنطقة المدروسة مباشرة بعد تنبكت التي تحتل المرتبة الأولى [3].

استمر الازدهار الذي كانت عليه مدينة جني طيلة عهد الأسكيين، وهذا ما عكسته المصادر السودانية التي أرخت لها، ونظرا لأهميتها فإنه ما إن تم احتلال المغاربة لسنغي حتى تم تعيين قائد يتولى شؤونها وحدها، مما يدل على الأهمية التي وجدها المغاربة عليها .

وكما هو الحال بالنسبة لتنبكت فإن المصادر المغربية محل الدراسة لا تُسعف الباحثين على تتبع أخبار المدينة والحالة التي آلت إليها عقب الاحتلال المغربي، وعليه يتحتم على الباحث العود إلى مصادر أخرى لتتبع الآثار التي خلّفها الحكم المغربي.

---

[1] يعلق توماس أرنولد عن هذا الرقم بقوله:<< **ومهما يكن هذا العدد مبالغا فيه، فإن الرواية تبين لنا فيما يظهر أن الإسلام تقدم تقدما عظيما في البلاد التابعة لهذا الملك(أي كنبر)**>> أنظر: توماس أرنولد:**المرجع السابق**، ص: 355 .

[2] السعدي: **المصدر السابق**، ص ص:12، 13.

[3] احمد شلبي: **المرجع السابق**، ص 106، وأيضا عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاي ....**، **مرجع سابق**، ص:106.

ج – جاو :

ترسم المصادر المغربية محل الدراسة اسم هذه المدينة كاغو[1]، في حين ترسمه المصادر السودانية كاغ، لكن أغلب المراجع الحديثة ترسمها جاو، وعلى كل فإن مدينة جاو تعد من أشهر مدن السودان الغربي وهي تقع حاليا ضمن الحدود السياسية لدولة مالي على الضفة اليسرى لنهر النيجر يتصل بها وادي تلمسي tilimsi الذي ينحدر إليها من قلب الصحراء[2]، وهي العاصمة السياسية لمملكة سنغى بلغت في أيام الاسكيين أقصى ازدهارها، فقد و صفها الحسن الوزان بالمدينة العظيمة[3] في حين وصف تنبكت بالمدينة فقط[4] ثم أضاف بأن جاو بها قصور الملك، و رؤساء دولته ولذا فهي من أجمل المدن في السودان الغربي كله.

تحدث الحسن الوزان عن نشاط المدينة الاقتصادي المتمثل في كثرة الأسواق، و تنوع السلع التي ترد إليها من أوربا و بلاد البربر[5] و تجعلها المراجع الحديثة في المرتبة الثانية بعد تنبكت من حيث الأهمية التجارية، و يُفهم من نصوصه أن المدينة لم تبرز في الجانب الثقافي كسابقتيها تنبكت و جنى، و ذلك ربما لأنه كان يسكنها التجار و رجال الدولة أكثر من طلاب العلم و الأساتذة، و بقيت على حالها إلى غاية نهاية حكم الأسكيين إذ احتلها جنود المنصور وقام إسحاق الثاني بأمر إخلائها حسب المصادر السودانية و المغربية محل الدراسة، و لم يرد لها ذكر في هذه الأخيرة بعد احتلالها من طرف المغاربة .

بالإضافة إلى هذه المراكز الكبرى توجد مراكز أخرى صغيرة و التي استفرد الوزان بذكرها عن المصادر المغربية الأخرى مثل وَلاَتَة، و مالي، و كَبْرَة، و أَغَدَسْ و قد كانت الحياة فيها صورة مصغرة عن الحياة في المدن الكبرى.

[1] الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ص : 169، وغيرها، وأيضا الفشتالي: **المصدر السابق**، ص : 146، وغيرها.
[2] إسماعيل العربي: **المرجع السابق**، ص: 317.
[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص: 169.
[4] نفسه، ص: 165 .
[5] نفسه، ص: 169.

2- التركيبة الاجتماعية السودانية :

عند حديث الحسن الوزان عن تركيبة المجتمع السوداني فإنه يمكن الاستخلاص من نصوصه أن المجتمع يتكون من الأفارقة السود السكان المحليين، و الوافدين الأجانب بربر كانوا أو عرب الذين توافدوا إلى هذه المنطقة عن طريق الهجرات المتتالية لا سيما من الشمال الإفريقي أومن المشرق العربي، لكنه لا يفصّل في هذه التركيبة فلا يذكر أسماء القبائل و لا أصولها و لا فروعها، بل اكتفي بقوله السود أو الزنوج، كما اكتفي بإرجاع أصلهم إلى كوش بن حام بن نوح، و هذا فيما علق في ذهنه مما نقله عن المؤرخين، و الرحالة، و الجغرافيين العرب و المسلمين لأنه قال بأنه لم يمس منذ عشر سنوات أي كتاب في التاريخ الإسلامي[1].

وعليه يتحتم على الباحث أن لا يعتمد عليه كثيرا في معرفة القبائل السودانية التي عاشت في تلك الفترة، و لا بدله من الرجوع إلى المصادر الأخرى التي أرخت للمنطقة للتعرف عليها[2].

3- الطبقات الاجتماعية:

تكاد تجمع المراجع التي أرخت للسودان الغربي على أن المجتمع السوداني كان طبقيا[3] لكن هذه الظاهرة لم تكن ذات حدود مغلقة إذ يستطيع الفرد أن يرتقي من طبقة إلى أخرى[4] ومثال ذلك أن (**علي فلن**) الذي أصبح مستشارا للأسكيا الحاج محمد الكبير وأمين سره، كان في البداية عبدا له[5]، كما حدث أن أحد ملوك سنغي استقبل موكب الحجيج على عادتهم في ذلك الوقت وقبّل يد أحد العبيد الذي كان بينهم فأراد أحد حراس الملك أن يؤدب العبد الذي مد يده للأسكيا دون أن يعرف

[1] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص ص: 35، 36.

[2] عن تركيبة المجتمع السوداني ، أنظر المبحث الأول من الفصل الأول من الدراسة ، ص:16.

[3] H.Deshamps : **l'Afrique Noir précoloniale**, Presse universitaires de France, paris, 1962, p:40 .

[4] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي...**، **مرجع سابق**، ص: 111.

[5] محمود كعت: **المصدر السابق**، ص: 60.

أنه عبده، فكان هذا سببا في أن الملك أعتق العبد و خمسين نفسا من قبيلة أمه وخمسين نفسا من قبيلة أبيه أيضا، وأسقط عنهم جميع وظائف السلطنة[1].

كان المجتمع السوداني يتكون من ثلاث طبقات اجتماعية واضحة المراتب في عهد مملكة سنغي واستمر الوضع على ما هو عليه في فترة الحكم المغربي مع بعض التغييرات التي حدثت على هذه الطبقات بعد الاحتلال المغربي للسودان الغربي وهذه الطبقات هي:

أ/ الطبقة الأولى: هذه الطبقة أقل الطبقات عددا وأكثرها ثروة تضم: الأمراء، والنبلاء، وقادة الجيش، وولاة الأقاليم، تمتعت هذه الطبقة بامتيازات عظيمة دون بقية الفئات، فقد اختصت وحدها بالوظائف الكبرى حتى أن بعض المقاطعات كانت تخضع لأسرة واحدة من الحكام بالإرث[2].

وطرأ تغيير على هذه الفئة في فترة الحكم المغربي للسودان الغربي فلم تعد لطبقة الأمراء وقواد الجيش ما كان لها من امتيازات في العهد السنغي فالأسكيا كان هو وأفراد عائلته يمتلكون النهر وسفنه، والأرض ومن عليها لم تطلهم الأحكام أو يحاسبوا على شيء باعتبار أرض السودان وما حوت ملك لهم، لم يعد يسمح لهم وضعهم الجديد في ظل الحكم المغربي بشيء من ذلك[3]، وأصبحت هذه الطبقة تتشكل من الباشا والوزراء وكبار القادة .

ب/ الطبقة الثانية : وهي أكثر عددا من الطبقة الأولى وأقل بكثير من الطبقة الثالثة، وكانت تضم التجار الكبار وعلماء الدِّين والموظفين الساميين[4] هذا ما كانت عليه في العهد السنغي، أما في فترة الحكم المغربي فقد نمت هذه الطبقة واتسعت، فبالإضافة إلى الفئة السابقة أصبحت تحوى الصناع المهرة من الأندلسيين والشرفاء من بين أكبر ملاكي الأرض[5].

---

[1] نفسه، ص: 111 .

[2] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص ص : 599، 600 .

[3] نفسه، ص:600.

[4] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي...، مرجع سابق**، ص ص:116-118.

[5] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص:601.

جـ/ الطبقـة الثالثـة : وهـي أكثـر الطبقـات عـددا وأقلهـا اعتبـارا في المجتمـع وضـمّت الجنـد و الأقيـان والحرفيين والعبيد ورعايا الممالك المحمية[1]، وقد كانت تمثِّل طبقة الإنتاج والعمل.

4–الحياة اليومية:

تعرض الحسن الوزان في حديث عن ممالك السودان الغربي لعادات الزنوج، ومعيشتهم في المنطقة فذكر لباسهم، ومساكنهم، ومعتقداتهم، وعددّ صفاتهم السيئة منها والحسن، ويتفق مع ابن بطوطة من حيث الصفات التي يتميز بها هؤلاء وحبهم للعدالة وشدة رغبة سلاطينهم في إقرار العدل، وتوقيع أشد العقوبات على المسيئين للأمن مما يضفي على بلادهم جوانب من الاستقرار والأمان.

من خلال النصوص التي حملها كتاب وصف إفريقيا يُستشف أن الإسلام قد أثر تأثيرا واضحا على الأغلبية من سكان السودان الغربي لا سيما منها المراكز الحضارية كتنبكت وجني، ومن مظاهر هذا التأثير الذي انعكس على اللباس فيذكر أن النساء <<**كن متحجبات**>>[2] وأن أهل مدينة تنبكت يرتدون لباسا حسنا و يتلثمون بلثام أبيض[3]، وهذا فعلا ما أكدته المصادر الأخرى التي أرخت للمنطقة خاصة في جانبه الاجتماعي رغم شحتها في هذا الجانب، وذلك لأن أفكار المؤلفين كما يقول الباحث عبد القادر زبادية كانت متجهة أكثر نحو تسجيل حياة الخاصة وأعمالهم[4].

أما في العهد المغربي فلم يدخل تأثير ذال بال على اللباس السوداني عدا القفطان والمنصورية اللذين دخلا للمنطقة المدروسة، وذلك لأنه ابتكار من السلطان السعدي أحمد المنصور[5].

---

[1] عبد القادر زبادية : **المرجع سابق**، ص ص: 120، 121.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 166، كاربخال مرمول: **إفريقيا**، 3 أجزاء، ترجمة: محمد حجي، وآخرون، دار المعرفة، الرباط: 1988م، ج: 2، ص: 198 .

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 163.

[4] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص: 125 .

[5] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 610، هامش رقم:1.

أما عن الطعام الذي كان يتناوله السودانيون فلم يعطي الوزان تفاصيل على نوعية الأطباق، واكتفى بقوله أنهم يتغذون من الأسماك، واللحم، والحبوب، واللبن، والسمن[1]، وقد كان للمغاربة تأثير في نوعية الطعام وأوقات تناوله[2].

أما عن المساكن فلقد أعطى الوزان عدة أشكال لها منها المبنية بالطين والمسقوفة بالتبن والبعض مبنى بالحجر، كما ذكر أن قسما من أصحاب القوارب البجعية الذين لا يملكون مساكن فإنهم كانوا يخرجونها في الغالب خلال الليل من نهر النيجر ثم يبيتون فيها أو حولها[3]، كما ذكر أن السودانيين كانوا يتخذون من الخيام مقرا لسكناهم مثل أهالي أغدس الذين << **يعيشون......في حصر(الخيام) يحملونها على الثيران عند ارتحالهم لينصبوها في مراعي ماشيتهم كما يفعل الأعراب**>>[4].

وكما هو عليه الحال فإن المصادر المغربية محل الدراسة الأخرى لا تسعف الباحث لتتبع مسار تطور نمط البناء بالمنطقة المدروسة إلا أن المراجع الحديثة تؤكد أن المغاربة لم يحدثوا تغيير بارز على شكل المساكن على الأقل في بداية فترة الحكم المغربي للبلاد[5].

احتفل السودانيون بالأعياد الدينية كالاحتفال بشهر رمضان، وعيدي الفطر والأضحى ، والاحتفالات الاجتماعية كالعقيقة والختان، وختم القرآن، والاحتفالات الجماعية بمناسبة خروج الموكب السوداني للحج وذلك على غرار ما كان يقع في العالم الإسلامي والعربي، وهذا ما أفادت به المصادر التاريخية التي أرخت للمنطقة المدروسة وشجع على هذا أكثر، الميل السوداني الغريزي إلى البهجة والمرح[6].

---

[1] الحسن الوزان: **المصدر السابق**: ج: 2، ص: 166 .

[2] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص ص: 612-616.

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص ص: 164، 165.

[4] نفسه، 172.

[5] محمد الغربي:**المرجع السابق**، ص: 625.

[6] عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاي ...**، **مرجع سابق**، ص ص: 127، 128، محمد الغربي : **المرجع السابق**، ص ص: 618-622 .

ثانيا الحياة الثقافية:

1- علاقة الحكام بالعلماء:

اعتنى الحسن الوزان بالناحية الثقافية في المناطق التي زارها، إذ قال يصف مقاعد العلم والثقافة في مدن نهر النيجر والتي كان من أبرزها مدينة تنبكت بأنه يعيش فيها الأطباء، والقضاة والفقهاء وغيرهم من سَنَدَتْ العلم لا يخشون لا مسبغة ولا سلطة ينفق عليهم الملك (أي الأسكيا الحاج محمد الكبير)، ويرعى أمنهم كل الرعاية لينصرفوا لهذه المخطوطات يدرسونها كلما أتتهم من الشمال الإفريقي[1].

تعكس هذه العبارات ازدهار الثقافة الإسلامية بالمنطقة وكذا حرص الملوك على التمسك لنشر الإسلام وتعاليمه في المنطقة ولعل أبرز مثال على ذلك ما قام به الأسكيا الحاج محمد الكبير من اتصال بالعلماء وهذا ما أكده صاحب المصدر المغربي الوفراني فقال عنه: << **لقي بمصر الإمام شيخ الإسلام حافظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده، وتعلم منه الحلال والحرام، وسمع منه جملا من آداب الشريعة، وأحكامها وأنتفع بوصاياه ومواعظه، فرجع إلى السودان فنصر السنة و أحيا طريق العدل ... شديد التعظيم لأئمة الدين محبا للعلماء مكرما لهم غاية الإكرام يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء** >>[2]، و اتصاله بالعالم الجزائري التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قام بدور إصلاحي كبير بمنطقة السودان كلها وهذا ما أكدته المصادر التي ترجم له[3]، فلا بأس من تعريف به وبدوره الإصلاحي في المنطقة.

ينتسب الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى قبيلة مغلية في نواحي تلمسان التي ولد بها في **790 هـ / 1389** م[4]، ومع أن المصادر التي ترجمت له لا تعطي تفاصيل عن

---

[1] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 167.

[2] الوفراني : **المصدر السابق**، ص ص:89، 90.

[3] عن ترجمته أنظر:التنبكتي: **نيل الابتهاج**...،**مصدر سابق**، مج:2، ص ص:264- 268، وأيضا **كفاية المحتاج**...،**مصدر سابق**، ص ص : 454 - 458، وأيضا محمد بن عسكر الحسني(الشفشاوني) :**دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق:محمد حجي، ط:2، الرباط ،1977م، ص ص: 130-132، وأيضا أبي عبد الله محمد بن أحمد(ابن مريم): **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.ن، ص ص: 253-257 .

[4] سعد مطير: **المرجع السابق**، ص: 267.

نشأته الأولى، إلا أنها تَشهد أنه كان من المثقفين وأولي الفكر في عصره، ووصفته بأنه خاتم الأئمة المحققين والعالم العلامة والقدوة الصالح[1]، كما ذكرت عددا من أساتذته الذين قرأ عليهم ومن أشهرهم : الإمام الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، والشيخ يحي بن بدير، وغيرهم. ومن تلامذته : الفقيه أيد محمد بن أحمد، و العاقب الأنصمني، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي، وغيرهم[2]. بعد أن أخذ المغيلي نصيبه من العلوم تفتحت شخصيته وبرزت أفكاره وآراءه النقدية بدأ يتضايق من وضعية عصره وينكر على الحكام المسلمين خروجهم على التقاليد الإسلامية في حكم رعاياهم، ويظهر أن هذا هو السبب الرئيسي في خروجه من تلمسان إلى توات ومنها إلى بلاد السودان[3] ويبدو أنه حينما سافر إلى بلاد السودان كانت شهرته كعالم من علماء زمانه قد سبقته إلى تلك الربوع[4] فالمغيلي كان في مستوى علمي يضاهي العالم المصري الشهير الإمام عبد الرحمان السيوطي حيث اختلف الاثنان في مسألة المنطق اليوناني، ووقعت بينهما مراسلات في هذا الشأن رفض فيها السيوطي المنطق اليوناني وأنكر على المغيلي ذهابه هذا المذهب[5].

قيل الكثير عن المغيلي وسيرته الذاتية ومواقفه المختلفة خاصة موقفه العدائي تجاه اليهود، إلا أنه سيتم التركيز على رحلته إلى بلاد السودان واتصاله بالأمراء هناك ودوره الإصلاحي بها وذلك تماشيا مع سياق موضوع البحث .

تذكر المصادر التاريخية أن المغيلي عند وصوله إلى بلاد السودان دخل أول الأمر مملكة تكدة<<**واجتمع بصاحبها ، واقرأ أهلها وانتفعوا به** >>[6]، ثم انتقل إلى مملكة كنوة (كانو) ومملكة كشنة (كاتسينا) ببلاد الهوسا، ولا تُعرف المدة التي قضاها هناك معلما ومرشدا، ولكن يبدو أنها ربما

---

[1] التنبكتي : **نيل الابتهاج...، مصدر سابق**...،ج: 2، وأيضا ص: 264 ، **كفاية المحتاج...، مصدر سابق**، ص ص: 455، 456، الشفشاوني: **مصدر سابق**، ص : 130، وأيضا ابن مريم: **مصدر سابق**، ص: 253 .

[2] التنبكتي: **نيل الابتهاج...، مصدر سابق**، مج:2، ص: 266، وأيضا **كفاية المحتاج...،مصدر سابق**، ص: 456، وأيضا ابن مريم : **مصدر سابق**، ص: 256 .

[3] عبد القادر زبادية : <<**التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، بعض أثاره وأعماله في الجنوب الجزائري، وبلاد السودان** >>، في مجلة الأصالة، ع : 26، الجزائر، 1975 م، ص: 206.

[4] نفسه، ص:213.

[5] نفسه.

[6] التنبكتي: **نيل الابتهاج...، مصدر سابق**، مج: 2، ص: 265، وأيضا ابن مريم: **المصدر السابق**، ص: 254.

زادت على السنتين لأن المغيلي حينما غادرها كان قد ترك عددا هاما من التلاميذ وأثناء وجوده هناك استغل أميرها **أبو عبد الله بن يعقوب** أن يكتب له (**جملة مختصر فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام**)، ومن إجابته ثبت سعة اطلاعه على أحوال بلاد السودان وسلوك أمرائها وسكانها، كما أثبت فيها حرصه الشديد على أن يُحكم المسلمون بحزم وذلك وفقا لقواعد الشريعة الحكيمة[1].

بعد ذلك توجه إلى مدينة جاو[2] عاصمة مملكة سنغي بدعوة من الأسكيا الحاج محمد الكبير هذا الأخير الذي سأله أن يكتب له رسالة ينصحه فيها حول سبع مسائل ذكرها الأسكيا بالتفصيل ويريد أن يعرف حكم الشرع فيها، وقد جاء جواب المغيلي مفصلا ودقيقا في آن واحد حيث أفرد لكل مسألة في أجوبته بابا خاصا[3] وكانت من بين نصائح المغيلي للأسكيا أن يصلح الأحوال الثقافية في بلاده وأن يهتم بالعلماء ويقربهم إليه لأن المجتمع لا يصلح إلا بصالحهم ويفسد بفسادهم[4].

تعتبر أجوبة المغيلي عن أسئلة الأسقيا وثيقة تاريخية هامة وذلك لأنها احتوت معلومات قيمة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في بلاد السودان الغربي في بداية الفترة المدروسة فتاريخها كان **908 – 909 هـ / 1502 م – 1503م** على ما استنتجه الباحث الجزائري عبد القادر زبادية في مقدمته لتحقيق هذه الأسئلة.

تمخض عن الجهود التي قام بها المغيلي في بلاد السودان الغربي في أوائل القرن العاشر للهجرة /السادس عشر للميلاد تفجير ما يكن أن يسمى بالثورة الفقهية الإصلاحية الداعية إلى تصحيح المفاهيم وإحياء السنة وإماتة البدعة، وهذا ما يدعو إلى وصفه (بالإمام المجدد) في بداية العصور الحديثة، وهذه الجهود الدعوية للإمام المغيلي وهذه الأفكار الإصلاحية التي صار يبثها أثرت في أفكار

---

[1] عبد القادر زبادية:**المرجع السابق**، ص:214، أنظر: نص هذه الرسالة عند آدم عبد الله الألو ري: **المرجع السابق**، ص ص: 134-136 .

[2]التنبكتي: **المصدر السابق**، ص: 265، وأيضا **كفاية المحتاج**، ص:456، وأيضا ابن مريم :**المصدر السابق**، ص : 255 .

[3] ظلت مخطوطة **أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي** في طي النسيان حتى عثر عليها الباحث الجزائري عبد القادر زبادية في المكتبة الوطنية الجزائرية، حيث قام بتحقيقها وإصدارها في كتاب عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر عام 1406 هـ/ 1974 م، ثم أعاد نشرها ضمن كتابه: (**الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء**، ص ص: 151- 173، الذي صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب، عام 1410 هـ / 1989 م.

[4]محمد بن عبد الكريم المغيلي: **أسئلة الآسقيا وأجوبة المغيلي...**، **مصدر سابق**، ص: 26.

واتجاهات قادة حركة التجديد والإصلاح واليقظة الإسلامية الذين فجروا وقادوا حركة اليقظة الإسلامية في غرب إفريقيا في القرن الثالث عشر هجري /التاسع عشر ميلادي [1].

إذن فحرص أمراء السودان على استشارة العلماء في تسيير أمور بلادهم بالشرع يعكس رغبتهم في نشر الإسلام وثقافته ببلادهم.

2-الحركة الفكرية بالمنطقة قبل وفي ظل الحكم المغربي:

هناك اتهام خطير وجهه الكاتب الرسمي للدولة السعدية ووزير قلم المنصور عبد العزيز الفشتالي تمثل في تعميم وصف أهالي السودان بالجهل والغباوة فقال عنهم: << **توغلهم في الجهل والغباوة وعدم من يحسن الإعراب عن مقاصدهم والإبانة عن أغراضهم من فرسان الإنشا والكتابة لطموس معالم العلوم على الجملة ببلادهم**>>[2]، وإذا ماُ صدقت هذه العبارة فكيف تفسر ما حملته كتب التراجم التي أرخت للمنطقة و قدمت أكثر من اسم عالم سوداني الذين اجتهدوا وألفوا في العديد من العلوم الشرعية و اللغوية و في التاريخ، بل ولم يبقي الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن ذاعت شهرتهم وبلغت خارج بلاد السودان إلى المشرق والمغرب العربيين واستدعوا للتدريس هناك.

أ/ابرز علماء السودان الغربي:

– أحمد بابا التنبكتي[3]:

[1] سعد مطير: **المرجع السابق**، ص: 270.

[2] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 68.

[3] ترجم له: هو نفسه في كتابه **كفاية المحتاج...**، **مصدر سابق**، ص ص: 513-516، وأيضا المقري: **روضة الآس...**، **مصدر سابق**، ص ص:303- 315، وأيضا السعدي: **المصدر السابق**، ص ص:37 - 56، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص ص: 86- 88، وأيضا أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق(البرتلي): **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق: محمد حجي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص ص:31-36، وأيضا خير الدين(الزركلي): **الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرفين**–، دار العلم للملايين، بيروت، 1996 م، مج:1، ص ص: 102 ،103، وأيضا ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص ص: 176-178، وأيضا

M.A .Zouber : **Ahmed baba de Tombouctou 1556-1627 Sa vie et son œuvré**, maison neuve et la rose, 1977, pp:14-71.

هو أحمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد (ثلاثا) بن عمر بن محمد أقيت الماسي الصنهاجي المكني أبو العباس، عُرف ببابا التنبكتي نسبة إلى مدينة تنبكت مسقط رأسه [1]، إذن فأحمد بابا ينتمي إلي أسرة آل اقيت العلمية التي كانت فيها وظيفة القضاء ومن ثم كانوا من الوجهاء بالمنطقة[2].

تلقي أحمد بابا التنبكتي تعليمه الأول على يد والده أحمد بن أحمد أقيت الذي رحل إلى المشرق في **956 هـ / 1549م** للحج والتقي هناك مجموعة من العلماء الذين استفاد منهم مثل: الشريف يوسف الأميوطي تلميذ السيوطي، وجمال الدين ابن الشيخ زكرياء، وغيرهم، توفي في **991 هـ / 1583**[3]، أخذ عن والده الحديث سماعا والمنطق، وأما النحو فقد تلقاه على يد عمه أبو بكر بن أحمد بن عمر أقيت الذي ولد في 932 هـ / 1525 م، رحل إلى المشرق مرتين توفي في الثانية في **991 هـ /** 1583 م[4]، ومن شيوخه الذين تركوا بصماتهم عليه : محمد بغيغ الذي رحل إلى الحج والتقى بالناصر، و اللقاني، و التاجوري، وغيرهم من العلماء المسلمين هناك فاستفاد منهم[5]، أخذ عنه أحمد بابا علوم التفسير والحديث والفقه والأصول، والعربية والبيان، والتصوف[6] ويقول أنه لا زمني أكثر من عشر سنين[7].

توضح الإشارات السابقة حول دراسة مسار حياة أحمد بابا العلمية أن أغلب شيوخه كانوا شيوخا رحل أي قاموا برحلات علمية إلى المشرق، والتقوا كبار العلماء والمشهورين في عصرهم ونهلوا من فيض علومهم، كما أنهم يشتركون في كثير من الصفات النبيلة من ورع وتقوى واجتهاد وتضلع في سائر علوم عصرهم، وهذا ما أثبتته المصادر التي ترجمت لهم كما أن الكتب التي درس عليها أحمد بابا

[1] سعد مطير: **المرجع السابق**، ص:284.

[2] التنبكتي : **كفاية المحتاج...، مصدر سابق**، ص :513.

[3] التنبكتي: **نيل الابتهاج ...، مصدر سابق**، مج:1، ص ص:153، 154، وأيضا **كفاية المحتاج...،مصدر سابق**،ص ص:79 ،80،محمد بن الطيب(القادري): **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ و العبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق:هاشم العلوي القاسمي، ط:1،منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص: 20.

[4] التنبكتي:**نيل الابتهاج...، مصدر سابق**، ص:165، وأيضا **كفاية المحتاج...، مصدر سابق**، ص ص:112، 113، وأيضا القادري: **مصدر سابق**، ص:20.

[5] التنبكتي: **نيل الابتهاج...،مصدر سابق**، مج:2، ص ص:294 ،298، وأيضا **كفاية المحتاج...، مصدر سابق**، ص ص: 476 – 479.

[6] البرتلي: **المصدر السابق**، ص: 20.

[7] التنبكتي:**كفاية المحتاج، مصدر سابق**، ص:478.

وطلاب السودان هي نفس الكتب التي تدرس بالمغرب أبرزها رسالة أبي زيد القيرواني التي كثر عليها الإقبال من قبل المغاربة فلا تخلو خزانة من خزائن المخطوطات من هذه الرسالة و شروحاتها[1].

بعد مشوار طويل من الجد والاجتهاد في التحصيل العلمي بدأ حياته العلمية بالمشاركة بالتدريس والإفتاء وتأليف الكتب، وكان له دور كبير في منطقة السودان الغربي ككل، ولم يقتصر دوره في هذه المنطقة فحسب بل تعداه إلى خارجه وذلك أنه عقب مهاجمة جنود المنصور بلاده ومحاصرة عشيرته ونفيه إلى المغرب في مستهل **1002 هـ**[2] / **1593 م** على يد الباشا محمود بن زرقون، وأثناء طريقه إلى مراكش مقيدا وقعت له حادثتان كان لها أثر على صحته ونفسيته، الحادث الأول سقوطه عن ظهر جمل وكسر ساقه، والحادث الثاني ضياع كمية كبيرة من الكتب قدرها بـ 1600 كتاب[3]، وهناك نكبة أخرى تعرض لها وهي موت ابنه بالطاعون الذي حل بالعشيرة وأدى إلى موت الكثير منها[4].

وصل العلماء العاصمة السعدية مراكش في **أول رمضان 1002 هـ / 24 ماي 1594م**، فاستقروا هناك في حكم الثقاف إلى أن انصرم أمد المحنة فسرحوا في **21 رمضان 1004 هـ**[5] **/1595 م**، وبعد أن قضى العالم أحمد بابا حوالي 12 سنة هناك أذن له السلطان زيدان – الذي خلف والده أحمد المنصور بعد وفاته – بالعودة إلى مسقط رأسه[6]، وكان ذلك في ذي القعدة عام **1016 هـ**[7] **/ فيفري 1608 م**، وقد جلس في تنبكت معلما ومفتيا ومؤلفا حتى توفي في **6 شعبان 1036 هـ**[8] **/ 22 أفريل 1627 م**.

---

[1] مختار حساني: << **دراسة على نازلة تحرير العبيد**>>، في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع:9، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2008م، ص: 225.

[2] التنبكتي: **كفاية المحتاج ...،مصدر سابق**، ص : 514، وأيضا البرتلي : **المصدر السابق** ، ص : 34، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 97.

[3] نفسه، وأيضا الناصري: **المرجع السابق**، ج 5، ص: 130.

[4] المقرى : **روضة الآس... ،مصدر سابق**، ص : 314 .

[5] التنبكتي: **كفاية المحتاج...،مصدر سابق**، ص: 515، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 97، وأيضا البرتلي: **المصدر السابق**، ص: 34، وأيضا ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص: 177 .

[6] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 218، وأيضا الوفراني: **المصدر السابق**، ص: 97.

[7] السعدي: **المصدر السابق**، ص:218.

[8] البرتلي: **المصدر السابق**، ص:37، وأيضا القادري : **المصدر السابق**، ص : 86، وأيضا ليفي برفنصال: **المرجع السابق**، ص: 178 .

- **دوره العلمي بالمغرب الأقصى :**

تصدّر أحمد بابا مدة إقامته الجبرية بمراكش للتدريس بجامع الشرفا إذ قال: << **لما خرجنا من المحنة طلبوني للإقراء فجلست بعد الإبابة بجامع الشرفا بمراكش من أنوه جوامعها أقرئ مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق ونقل وتوجيه، وكذا تسهيل ابن مالك وألفية العراقي فختمت نحو عشر مرات، و تحفة الحكام لابن عاصم، وجمع الجوامع للسبكي، وحكم ابن عطاء الله والجامع الصغير للجلال السيوطي قراءة تفهم مرارا والصحيحين سماعا علي وإسماعا مرارا، ومختصرهما، وكذا الشفا والموطأ والمعجزات الكبرى للسيوطي وشمائل الترميذي، و الإكتفاء لآبي الربيع وغيرها** >>[1]، أما من تتلمذ على يده بالمغرب فهم كثر قال: << **وازدحم علي الخلق والأعيان طلبتها ولا زموني بل قرأ علي قضاتها** >>[2] ومن هؤلاء: << **قاضي الجماعة بفاس العلامة أبو القاسم ابن أبي النعيم الغساني وهو كبير ينيف علي ستين، وكذا قاضي مسكانة[مكناسة]الرحلة المؤلف صاحبنا أبو العباس ابن القاضي المكناسي ... وهو أسن مني، ومفتي مراكش الرجراجي وغيرهم** >>[3].

بالإضافة إلى هؤلاء فقد أجاز أيضا أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني المقري[4] (**986 – 1041 هـ / 1578 م – 1632 م**) مؤلف نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وروضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتيين(مراكش و فاس)، وغيرهما، قال المقري عن أحمد بابا:<< **لقيته بمراكش وانتفعت به واستفدت منه ...وأعارني جملة كتب من خزانته الفريدة ... وأجازني جميع تأليفه المفيدة ... وكتب لي الإجازة على ظهر**

---

[1] التنبكتي: **مصدر سابق**، ص : 515 .

[2] نفسه، ص : 516، و أيضا البرتلي: **المصدر السابق**، ص: 34 .

[3] التنبكتي: **المصدر السابق**، ص: 516 ، البرتلي: **المصدر السابق**، ص: 35.

[4] ترجم له: القادري: **المصدر السابق**، ص ص: 94، 95، الزركلي: **المرجع السابق**، مج:1، ص: 237، عبد الرحمان محمد الجلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 4 أجزاء، ط:7، الجزائر،1994م، ج:3، ص ص:144-148، وأيضا عمار هلال: << **العلماء الجزائريون في فاس بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين** >>، في مجلة الدراسات التاريخية، ع:9، إصدار معهد التاريخ، الجزائر، 1995م، ص: 33، و أيضا
M.A.Zouber: **op.cit**, pp: 57, 58

ورقة>>[1]، وأجاز أحمد بن علي البوسعيدي السوسي[2] (**990 هـ - 1046 هـ / 1582 - 1637م**) صاحب كتاب (بذل المناطحة في فعل المصافحة)، وأجاز أبو الفضل محمد بن عبد الله سعيد الحاج، والفقيه أبو زيد الوقاد التلمساني[3]، و أبو عبد الله بن يعقوب الأديب المراكشي فقد قال: <<**وأجازني و ذاكرته في الأسانيد والرجال والتاريخ** >>[4] وهناك الكثير من الذين أخذوا عن أحمد بابا بالمغرب فقد قال عن نفسه: << **واشتهر اسمي في البلاد من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها** >>[5]، وقد وصفه تلميذه السعدي بأنه فريد دهره ووحيد عصره البارع في كل الفنون[6].

إذن فهؤلاء كان لهم الأثر الكبير في ازدهار الحياة الثقافية لبلاد المغرب في القرن الحادي عشر هجري /السابع عشر ميلادي.

- **مؤلفاته :**

ترك أحمد بابا التنبكتي إنتاجا علميا غزيرا يعكس درجته العلمية العالية، فقد قال عنه تلميذه محمد بن يعقوب أنه كان مطبوعا على التأليف[7] ألف في الفقه، والتراجم، والنحو والحديث والتصوف منها ما هو معروف، وآخر مفقود ما يزال البحث عنها جاريا[8].

يعتبر كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج من أبرز مؤلفاته الذي ألفه ليكون ذيلا أو استدراكا (**للديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**) لابن فرحون، فقد توسع فيما أوجزه ابن فرحون وزاد عليه ما فاته، وأضاف إلى ذلك تراجم العلماء الذين عاشوا منذ عهد ابن فرحون إلى عصر أحمد بابا

[1] المقري:**المصدر السابق**، ص ص: 303، 304.

[2] ترجم له القادري: **مصدر سابق**، ص ص:105، 106، ليفي بروفنصال : **المرجع السابق**، ص:180 .

[3] البرتلي: **المصدر السابق** ، ص: 176 .

[4] التنبكتي: **المصدر السابق**، ص: 515 .

[5] نفسه، ص:516.

[6] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 35.

[7] التنبكتي: **المصدر السابق**، ص: 514.

[8] قام عدة من الباحثين المعاصرين بإجراء حصر لمؤلفات أحمد بابا، منهم محمود عبد الزوبير أنظر كتابه:

A .M. Zouber: op.cit.

كما ذكر هو في تأليفه كفاية المحتاج[1]، وقد بلغ عدد المترجمين لهم 802 ترجمة أكمله في مراكش **1005 هـ[2] / 1002 م**، ووضع تلخيصا لهذا الكتاب سماه كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج وذلك << **ليتيسر تحصيله ويقرب تناوله** >>[3] أكمله في 1012[4] / 1612 م، و ترجم فيه لـ 667 لعلماء مالكيين مشارقه ومغاربة وأندلسيين، ذكر في آخر الكتاب مصادر كتابه، وشيوخه الذين أخذ عنهم.

و قد علق الباحثين المعاصرين عن هذا الكتاب بأنه عمل موسوعي كبير لا يستغني عنه الباحثون في مختلف العصور.

ومن مؤلفاته أيضا (**معراج الصعود إلى نيل مجلب السود، أو الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان**) و ألفه جوابا عن فتوى وردت له من طرف أحد علماء توات وهو العالم الجليل سعيد بن إبراهيم الجراري التواتي، وكانت فحوى الفتوى تتمثل في حكم الشرع من العبيد المجلوبين من السودان إلى توات هذه الأخيرة التي نشطت في هذا النوع من التجارة خصوصا العبيد الزنوج، وكانت الجالية اليهودية هي التي تحكم هذه التجارة لأنها كانت هي المتحكمة اقتصاديا في توات[5].

و تكمن المشكلة أن بعض هؤلاء العبيد كانوا مسلمين فهل يجب الاتجار بهم[6] ؟

[1] التنبكتي: **نيل الابتهاج ...،مصدر سابق**، مج :1، ص: 10، **كفاية المحتاج ...، مصدر سابق**، ص: 25.

[2] التنبكتي: **نيل الابتهاج....، مصدر سابق**، مج: 2، ص: 345.

[3] التنبكتي: **كفاية المحتاج.... ، مصدر سابق**، ص: 25.

[4] نفسه، ص:517 .

[5] مختار حساني: **المرجع السابق**، ص:228.

[6] أنظر: نص رسالة معراج الصعود في مقال مختار حساني: **المرجع السابق**، ص:229 و ما بعدها، توجد ثماني نسخ من هذه الرسالة أنظر:
Mohammed Ibrahim el – kettani :<< **les mamiscrites de l'occident africain dons les bibliothèques du Maroc** >>, IN Hespéris, Vol IX, 1968, pp : 57 – 63.

وكانت الخطوات التي اتبعها أحمد بابا للإجابة على هذا السؤال كالتالي[1]:

1 – الرجوع إلى أمهات مصادر المذهب المالكي وموقفها من تجارة العبيد على الخصوص الكتب المغربية التي تناول أصحابها موضوع العبيد المجلوب من السودان.

2 – حكم الشرع في العبد المجهول الهوية لأن السودان الغربي نجد فيه قبائل وثنية وأخرى مسلمة، وفي بعض الأحيان نجد مسلمين والوثنيين في نفس القبيلة.

3 – موقف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم من تجارة العبيد وعلى الخصوص المجلوب من بلاد الحبشة.

4 – تفنيد أسطورة نوح المتعلقة بلون الزنوج والبرهان على أن هذا مرتبط بمناخ المنطقة.

5 – الضوابط الأخلاقية في تجارة العبيد بالنسبة للمسلمين .

6 – استرقاق العرب.

7 – وضعية المولدان .

تعكس هذه الخطوات التي اتبعها التنبكتي المستوى العالي الذي يتمتع به هذا العالم السوداني الذي جعل العلماء من الخارج يستعينون به لحل قضاياهم، فهو يعكس المستوى العلمي للمنطقة. وهناك مؤلفات أخرى فقد ترك ما يزيد على أربعين مؤلفا[2].

وقد وصف الباحث المعاصر الجزائري عبد القادر زبادية أسلوب أحمد بابا بأنه شيق وجزل ومتين[3]، شيق من حيث الموضوعات التي طرقها كتراجم علماء المالكيين، ورسالته حول حكم الإسلام في امتلاك المسلم للمسلم كعبد، فقد عالج الموضوع بأسلوب علمي موضوعي، ويظهر من عباراته أنه كتبه كإبداء رأيه في إحدى مشاكل مجتمعه في عصره ،أما جزالة الأسلوب فتتمثل في تمكُّنِه من الألفاظ التي

[1] مختار حساني: **المرجع السابق**، ص: 228، 229.

[2] ليفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص : 178 .

[3] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاى...، مرجع سابق**، ص ص: 156، 157.

استعملها وفي المفردات التي تتركب منها جمله، فهي كلها متناسقة مما جعل جمله قصيرة أيضا شأن المتمكن من اللغة، ومتانة الأسلوب فتمثل في أن ألفاظه بقدر معانيه أما عباراته فهي شديدة الدلالة على ما يقصد.

ولم يكن أحمد بابا التنبكتي هو العالم الوحيد بالمنطقة بل هناك الكثير فقد ذكر عبد الرحمان السعدي في الفصل العاشر من تاريخه تراجم سبعة عشر عالما من تنبكت مبينا الميادين العلمية التي أختصّ بها كل منهم، فكانوا من النحاة و المناطقة والفقهاء والأدباء وعلماء اللغة والتفسير والحديث، وقد عدد بعض مؤلفاتهم التي فقدت بسبب سوء الأحوال في تنبكت منذ الاحتلال المراكشي حتى الاحتلال الفرنسي[1]، وسيتم ذكر أسماء بعض العلماء السودانيين لا سيما المشهورين منهم :

– القاضي محمود كعت[2] :

هو محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني دارا والتنبكتي مسكنا الوعكرى أصلا ولد في منطقة كورما غرب مدينة جاو سنة 873 هـ / 1468 م.

أخذ العلم عن علماء تنبكت و فقهائها، برع في الأدب والفقه وتقلد منصب القضاء[3]، رافق محمود كعت الآسكيا الحاج محمد الكبير إلى الحج سنة **902 هـ[4]/1496م**، وفي رحلته هذه اطلع على أحوال البلدان الإسلامية والتقى بعلمائها ، توفي كما قال السعدي في: << **ليلة الاثنين أول ليلة من المحرم الحرام الفاتح للعام الثانية بعد الألف قرب طلوع الفجر توفي العلامة الفقيه القاضي**

[1] السعدي: **المصدر السابق**، ص ص: 37 - 56، نعيم قداح: **حضارة الإسلام...**، **مرجع سابق**، ص: 161.

[2] ترجم له: هو نفسه في **تاريخ الفتاش...**، **مصدر سابق**، ص ص: 9، 54، 86 ،وغيرها، وأيضا السعدي:**المصدر السابق**:211، وأيضا حسن محمد نبيلة: **المرجع السابق**، ص ص : 21- 25، وأيضا يحي بوعزيز:**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**، دار هومة، الجزائر،2001م، ص ص:197- 199، وأيضا سعد مطير: **المرجع السابق**، ص:278 -281.

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 211، وأيضا مبخوت بودواية:<< **أعلام السودان الغربي بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين**>>، في مجلة حولية المؤرخ، ع: 6 ،يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005م، ص : 185.

[4] كعت **المصدر السابق**، ص : 16.

محمود كعت بن الحاج المتوكل على الله في اركيا وحمل إلى تنبكت وصلى عليه بعد صلاة العشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ودفن ساعتئذ >>[1].

إذن عاش محمود كعت من **873هـ / 1468** م **إلى 1002هـ / 1593** م، وعليه يكون قد عاش طيلة حكم الآساكين لمملكة سنغي وحضر احتلال المغاربة للسودان، إذن فهو يعتبر شاهد عيان لكثير من الأحداث التي عرفتها المنطقة والتي ضمنها في كتابه المشهور: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق الأنساب العبيد من الأحرار**[2]،لكن على ما يبدو أنه ليس هو المؤلف الوحيد للكتاب لأن الحوادث التي احتواها الكتاب تجتاز عمره بست سنوات مما يبعث على الظن بأن الكتاب قد أتمه بعض أحفاده بعد وفاته، وهذا فعلا ما حصل والدليل على ذلك أن نجله المدعو إسماعيل والذي يتحدث في تاريخ الفتاش بضمير المتحدث (أنا) أي مؤلف الكتاب : << ... **وأنا حاضر أي القاضي إسماعيل كعت** ... >>[3] وهناك أيضا يوسف كعت، ومحمد الأمين وغيرهم[4].

بدأ كعت مؤلفه بالحديث عن بداية عهد الأسكيا الحاج محمد الكبير، فأثنى عليه كثيرا ووصفه بالعدل والصلاح في حين أنحى باللائمة على سلفه سني علي، ووصفه بالمروق على الدين والمجون السافل، وختمه بالحديث عن تنبكت حين غزاها المغاربة وكيف ساء حالها بعد الصلاح، وأرجع كعت مجيء المغاربة وأسباب النكبات التي حلت بسنغي إلى فساد أخلاق السكان في الأخير واستهتار المتأخرين من الملوك الأساكيين[5].

وقد اعتمد عليه الباحثين كثيرا في دراسة تاريخ السودان الغربي فهو وثيقة جد مهمة تحتوى على وصف للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لمملكة سنغي.

---

[1] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 211.

[2] كعت: **المصدر السابق**، ص: 11.

[3] نفسه، ص:116.

[4] لمزيد من التفاصيل عن الذين شاركوا في تأليف كتاب تاريخ الفتاش أنظر سعد مطير: **المرجع السابق**، ص ص: 280، 281 .

[5] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي**..... ،**مرجع سابق**، ص : 161.

لقد ذكر محمود كعت في كتابه المصادر التي اعتمد عليها وهي مصادر شفوية، وأخرى مكتوبة مثل كتاب (**درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان**) الذي ذكره في أكثر من موضوع، وهذا يشهد على دقة في البحث التاريخي، وأمانة في سرد الحوادث[1].

يقول الباحث المعاصر نعيم قداح أن ما ورد في مقدمة كتاب تاريخ الفتاش يمكن أن يسمى بالنقد العلمي في البحث التاريخي، وأنه أدرك أهمية التاريخ في حياة الأمة، كما قال عنه أنه إلى جانب علمه بالتاريخ كان عالما بالخطوط والكتابات[2].

أسلوب الكتابة مقارنة مع كتاب نيل الابتهاج وذيله بعيد نوعا ما عن المتانة والجزالة ومع هذا لا يفقد الكتاب أهميته[3].

نشر هذا الكتاب المستشرقان هوداس و دولافوس في باريس عام 1914 م، وترجم إلى اللغة العربية، أعيد طبعه دون تغيير في **1923 م و 1964م** والطبعة الأخيرة هي التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة .

يستلزم الحديث عن الحياة الثقافية العربية الإسلامية بالمنطقة المدروسة التطرق لموضوع نظام التعليم المتبع بالمنطقة[4] الذي لم يكن ليختلف كثيرا على مكان عليه في بلدان الشمال الإفريقي لا سيما المغرب العربي[5].

---

[1] نعيم قداح: **المرجع السابق**، ص: 162.

[2] نفسه.

[3] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص: 157.

[4] لمعرفة تفاصيل أكثر عن النظام التعليمي بالسودان الغربي أنظر: التنبكتي: **نيل الابتهاج** ... ،**مصدر سابق**، مج:1، ص ص: 148- 153، مج:2، ص ص: 291- 296 وغيرها، وأيضا **كفاية المحتاج**...،**مصدر سابق**، ص ص: 314، 315 وغيرها، وأيضا نعيم قداح: **المرجع السابق**، ص ص: 160-164، وأيضا عبد القادر زبادية: <<**ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر** >>، في المجلة التاريخية المغربية ،ع : 7-8 ، تونس، جانفي 1977م ، سعد مطير: **المرجع السابق**، ص ص: 220 - 229 .

[5] لمعرفة تفاصيل عن طريقة التعليم بالمغرب أنظر لفي بروفنصال: **المرجع السابق**، ص ص : 28 - 32 .

ب/النظام التعليمي المتبع بالمنطقة:

عند استقراء المصادر التي أرخت للمنطقة يُلاحظ أن النظام التعليم المتبع في المدن السودانية كتنبكت وجني وجاو المشهورة بمختلف جامعتها كجامعة سنكورى في تنبكت التي شابهت إلى حد بعيد قريناتها من مراكز الثقافة الإسلامية مثل: القرويين في فاس، والزيتونة في تونس، والأزهر بالقاهرة وغيرها[1]، فالمراحل التي يمر بها الطالب في مختلف أطوار تعليمه في السودان الغربي هي نفسها التي يمر بها الطالب في الشمال الإفريقي وذلك قبل الاحتلال المغربي للمنطقة على عكس ما أورده الباحث المغربي المعاصر محمد الغربي بأن هذه المراحل لم تكن معروفة << **فقد أصبح (أي عقب التواجد المغربي) هناك تعليم ابتدائي ومتوسط ومتخصص** >>[2]، وعليه تكون هذه من الآثار التي خلفها التواجد المغربي للمنطقة وهذا ما يتنافى مع ما ورد في المصادر السودانية المحلية لا سيما منها كتب التراجم، وكذلك ما أثبته المراجع الحديثة فيما بعد.

أما عن المواد الدراسية والمقررات المتبعة بالسودان الغربي فهي الأخرى لا تختلف عما كانت في العالم الإسلامي خصوصا بلدان المغرب، كتعليم القرآن الكريم وعلومه وكتب الحديث الشريف مثل الصحيحين : البخاري والمسلم[3]، كما كانوا يدرسون الكتب المشهورة في الفقه المالكي مثل: المدونة لأبي سحنون والرسالة لأبي زيد القيرواني، فقد قرأها وأتمتها الآسكيا داوود عدة مرات على يد شيخ يعلمه ويقرئه منذ الصباح الباكر حتى الظهر[4]. ومختصر خليل[5]، وكتاب الشفا للقاضي عياض ، وفي علوم اللغة يركزون على ألفية ابن مالك وشروحها المختلفة ويدرسون الصرف والبلاغة والأدب والخزرجية في العروض وفقه اللغة، وكتب الفتاوى والنوازل مثل : المعيار للونشريسي، كما يدرسون رجز المغيلي في المنطق وشروحه ، ومن العلوم الأخرى التي كانت تدرس في المنطقة : علم الخط ، والتاريخ، والتراجم،

[1] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص: 103.

[2] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص:521.

[3] السعدي: **المصدر السابق**، ص ص: 46، 47.

[4] كعت: **المصدر السابق**، ص: 94 .

[5] السعدي: **المصدر السابق**، ص: 45.

والصرف والسيرة النبوية والجغرافيا ، والحساب والهندسة والكيمياء والفلك والطب والفلسفة وغيرها[1] إلى غير ذلك من المواد وهذا كله قبل التواجد المغربي وبعده .

كما عرفت الحياة الثقافية في السودان الغربي نظام الإجازات على غرار بلدان العالم الإسلامي[2]، و تدفق الكتب وإقبال السودانيين على اقتنائها كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان والتي كانت ترده من الشمال الإفريقي في بداية القرن السادس عشر ميلادي[3].

أما عن حركة التأليف فهي الأخرى كانت موجودة قبل الاحتلال المغربي للمنطقة[4] في مختلف العلوم المعروفة في عصرهم: العلوم الشرعية من قراءات وتفسير،وفي علم الحديث وفي الفقه و الأصول، وعلم الكلام والمنطق وعلوم اللغة وآدابها من نحو وبلاغة وأدب (الشعر و النثر)، وفي التاريخ والتراجم هذه الأخيرة التي يدعى الباحث المعاصر محمد الغربي أنها لم تكن موجودة وهي من الآثار التي خلفها الاحتلال المغربي بالمنطقة[5] أي أنه وقبل **1591م** لم يكن هذا النوع من الكتب موجود.

وعليه فكيف يُوصف الكتاب الذي وصفه الباحثين المعاصرين بالكتاب الموسوعي الذي لا غنى للباحثين المعاصرين في تاريخ المنطقة من الرجوع إليه وهو كتاب نيل الابتهاج الذي بدأ فيه صاحبه قبل تواجد المغربي بالمنطقة[6] و يدخل ضمن كتب التراجم، وكتاب تاريخ الفتاش الذي ألفه صاحبه محمود كعت المولود في (876 هـ / 1468 م) كما سبق وتم الإشارة إلى ذلك[7]، وليس كما قال الباحث محمد الغربي أنه ولد في 1547 م وتوفي في سن الخمسين سنة[8] مع أنه يذكر في الصفحة التي قبلها أنه

---

[1]عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص: 105، وأيضا سيسوكو سيكيني مودي: **السنغاي بين القرن 12و16م**، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988 م، مج: 4، ص: 220، وأيضا

Félix Dubois: **Tombouctou la Mystérieuse**, paris, 1897, pp : 322-324,

A .M. Zouber: **op.cit** pp: 68.

[2]التنبكتي: **نيل الابتهاج...**، **مصدر سابق**، مج: 2، ص ص: 294- 298، وأيضا **كفاية المحتاج...**، **مصدر سابق**، ص ص: 476 -479.

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 167.

[4] أنظر سعد مطير: **المرجع السابق**، ص ص: 237-240.

[5] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص ص: 521 - 530.

[6]لمعرفة تفاصيل عن الكتاب ومؤلفه أنظر: ص ص: 122 وما بعدها من هذا البحث .

[7]لمزيد من التفاصيل عن الكتاب وصاحبه أنظر: ص ص:124 وما بعدها من هذا المبحث.

[8]محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 530.

عاصر الأسكيا الحاج محمد الكبير (**1428 م / 1528 م**) وعليه لابد من إعادة النظر في بعض المعلومات التي أوردها خاصة و أن مؤلفه جد مهم .

وهناك كتب أخرى في التاريخ السوداني إلا أنها وللأسف في حكم المفقود ككتاب : **درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان** الذي نقل عنه محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش.

كما أن المكتبات كانت موجودة بالمنطقة فهذا أحمد بابا يتكلم على المكتبة التي خلفها جده الفقيه أحمد بن عمر أقيت قال عنه: << **وترك نحو سبعمائة مجلد أخذ عن جده لأمه الفقيه اندغمحمد**[1]**، وعن خاله الفقيه المختار النحوي وغيرهما** >>[2]، كما كان للفقيه محمد بن محمود بغيغ مكتبة زاخرة بنفائس الكتب والمخطوطات التي كثيرا ما كان يُعِيرها لطلاب العلم كما ذكر ذلك أحمد بابا : <<... **وربما يأتي لباب داره (أي دار محمد بغيغ) طالب فيرسل له براءة فيها اسم كتاب يطلبه فيخرجه من الخزانة ويرسله له من غير معرفته من هو، فكان في ذلك العجاب ايثارا لوجهه تعالى مع محبته للكتب وسعيه في تحصيلها شراءا ونسخا** >>[3]، كما أن لأحمد بابا مكتبة فقد قال عنها عند نفيه إلى مراكش: << ... **أنا أقل عشيرتي كتبا وقد نهب لي ست عشرة مائة مجلد** >>[4]، ولم يقتصر امتلاك المكتبات على العلماء فحسب بل حتى حكام المنطقة كانت لهم مكتبات وهذا ما ذكرته المصادر السودانية التي أرخت للمنطقة، فمثلا: هاهو الأسكيا داوود يقتنى المخطوطات وينشئ خزانة، ورتب عددا من النساخ لينسخوا له الكتب الجديدة والنادرة[5].

من خلال عرض ما سبق يمكن الاستنتاج بأن الحياة الثقافية بالسودان الغربي كانت مزدهرة بل في أوج ازدهارها، وأن التواجد المغربي لم يضف شيئا لها عدا إدخال بعض العبارات الدارجة المغربية والتي

[1] هو أندغمحمد بن عثمان بن محمد بن نوح وهو عميد أسرة (أندغمحمد) الشهيرة بمكانتها العلمية بالمنطقة ، سعد مطير:**المرجع السابق**، ص : 233 .

[2] التنبكتي: **كفاية المحتاج ...**، **مصدر سابق**، ص:75.

[3] التنبكتي: **نيل الابتهاج...**، **مصدر سابق** ، مج : 2 ، ص: 295، وأيضا **كفاية المحتاج**، **مصدر سابق**، ص: 477.

[4] الناصري: **المرجع السابق**، مج: 5، ص: 130.

[5] كعت: **المصدر السابق**، ص: 94، وأيضا F. Dubois: **op.cit**, P: 304

بطبيعة الحال كانت طبيعية، بل ولعل الاحتلال المغربي ساهم في ضياع كثير من المؤلفات التي تركها السودانيون نتيجة الحرب التي شنّها هؤلاء[1].

ثالثا الحياة الاقتصادية بالسودان الغربي :

شكل الجانب الاقتصادي بالمصادر المغربية محل الدراسة حيزا مهما، فالنصوص التي قدمتها هذه المصادر تعكس ما تزخر به المنطقة المدروسة من تربة زراعية خصبة، و ثروة حيوانية، وسمكية، ومعدنية، هذه الأخيرة التي جعلته منذ القديم محطة لاستقطاب التجار من كل مكان خاصة شمال المنطقة والمشرق العربي – و ما حمل هؤلاء معهم من أفكار حضارية أثّرت في المنطقة خاصة الإسلام – فازدهرت الحركة التجارية بالمنطقة و هذا ما تعكسه نصوص المصادر التي ألفت في المد الزمني السابق للفترة المدروسة، و أيدته مصادر هذه الدراسة هي الأخرى، فسيتم عرض ما قدمته المصادر الأخيرة من نصوص عن الحالة الاقتصادية التي كانت عليها المنطقة المدروسة قبل الاحتلال المغربي لها، و التغيرات التي طرأت عليها بعده، مع أن نصوص المصادر المغربية محل الدراسة لا تسعف كثيرا الباحث في تتبع هذه التغيرات، إذ ستتم محاولة دراسة هذه التغيرات بالاعتماد على مصادر و مراجع أخرى.

1– الزراعة و الثروة الحيوانية:

يصف الحسن الوزان أراضي السودان الغربي خاصة تلك المجاورة لنهر النيجر << **أجمل أرض السودان ما امتد منها على طول مجرى النيجر** >>[2]، كما قال الفشتالي: <<**وحسبك ببلاد أثرها الله و أثرها بنهر الجنة و منبع مياه الرحمة ...يجبي إليهم الثمرات والخيرات**>>[3]، فمن هذان النصان يمكن القول أن الأراضي السودانية لاسيما منها المجاورة للمسطّحات المائية كانت تتمتع بخصوبة تجعلها صالحة للزراعة و تربية المواشي و هذا ما أكده الوزان << **و كل هذه الأقاليم المجاورة لهذا النهر تصلح جدا للزراعة و تنمو فيها الحبوب بكثرة، و توجد بها الماشية أعداد لا تحصى**>>[4].

---

[1] نعيم قداح: **المرجع السابق**، ص: 161.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:1، ص: 30.

[3] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص117 .

[4] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص: 77.

وعليه فقد عرف سكان السودان الغربي الزراعة و مارسوها، وهذا ما أثبتته المصادر السودانية التي أرخت للمنطقة فها هو ذا محمود كعت يذكر أن الأسكيا داوود يمتلك مزارع يشتغل فيها عبيده و يعود منتوجها إليه << **و كان يأتيه من مزارعه و أحراثه من الطعام ما لا و يعد يحصى ...... وقد يحصل له من ذلك الطعام في بعض السنين ما ينيف على الأربعة آلاف صينية** >>[1].

قال الباحث الجزائري المعاصر عبد القادر زبادية أن سكان السودان الغربي كانوا يحسنون الري و قد فرعوا عن نهر النيجر وروافده والبحيرات الموجودة عند منحناه الأعلى عدة قنوات[2]، و لربما استند إلى إشارة السعدي في هذا لموضوع من أن الملك سني علي اختمرت في ذهنه فكرة شق قناة المياه من الطرف الشمالي لبحيرة فاكبين(Faqbine) إلى منطقة ولاتة الصحراوية و قد شرع في هذا المشروع لكن حروب خارجية تعرضت لها جعلته يعدل عن فكرته و يوقف العمل في ذلك المشروع الهام[3].

ويعتقد الباحث بوفيل أن سني علي كان يهدف من هذا المشروع إلى نقل المياه إلى مدينة ولاتة التي تبعد حوالي مائتي ميل عن الطرف الشمالي لبحيرة فاكبين[4].

استعمل سكان المنطقة الأسمدة التي يتخذونها من فضلات الحيوانات و كانت الفؤوس و المحاريث الخشبية هي عدة الفلاح في تعامله مع أرضه[5]، و كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسية و المصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل البلاد[6].

كما أعطى الحسن الوزان صورة على نوعية المزروعات التي كانت بالمنطقة و تتمثل في الحبوب التي تشمل الأرز و كان يزرع بصفة خاصة حول نهر النيجر و روافده لما تتطلبه من مياه كثيرة[7]، والدخن

---

[1] كعت : **المصدر السابق** ، ص:94 .

[2] عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاي... ،مرجع سابق،** ص : 172 .

[3] السعدي: **المصدر السابق،** ص: 70، وأيضا سعد مطير: **المرجع السابق،** ص: 358.

[4] محمد الغربي : **المرجع السابق،** ص : 515، نقلا عن بوفيل.

[5] عبد القادر زبادية :**المرجع السابق،**ص : 172، وأيضا محمد الغربي : **المرجع السابق،** ص ص:471- 482 .

[6] الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي و الاقتصادي.... ، مرجع سابق،** ص: 267 .

[7] الحسن الوزان : **المصدر السابق،** ج:2 ، ص : 163 وغيرها، وأيضا عبد القادر زبادية : **مرجع سابق،** ص: 173.

الذي كان يزرع في جميع جهات البلاد في أيام الأسكيين وهو الغذاء الأساسي لدى السكان[1]، ووجد بالمنطقة نبات صغير يشبه الحمص يسمى السورجو و هو الآخر من الأغذية التي يتناولها السودانيون و يأتي في المرتبة الثالثة بعد الرز والدخن ويزرع حول النيجر و رافده[2] وكما زرع بالمنطقة الشعير[3].

كما عرفت المنطقة زراعة القمح[4] و اللوبياء و الحمص و القرع[5] ، و هذا يعتبر ردا على ما أورده الباحث المعاصر من أن هذه المزروعات عرفت لأول مرة في السهول السودانية عندما حل المغاربة على المنطقة[6] عقب احتلالهم لها.

كما عرفت المنطقة المزروعات الصناعية و التي تتمثل في القطن و الكتان[7]، و قصب السكر الحناء[8] التي كانت تستعمل للتزيين و العلاج، و كذلك الأشجار المثمرة كالنخيل والكروم، و التين، والحمضيات[9].

إذن فقد أعطى الحسن الوزان صورة عن الزراعة التي كانت تمارس بالمنطقة، و أهم المزروعات بها.

وعليه يمكن الخروج بنتيجة بأن المغاربة عندما حلوا بالمنطقة لم يدخلوا تأثيرا ذا بال في الجانب الزراعي للمنطقة، و اقتصر هذا التأثير على ما قدمه الأندلسيون الذين رافقوا الحملة في كيفية الاستغلال الجيد للأراضي الزراعية و المياه و تحسين نوعا ما في نوعية المحصول بجلب بعض البذور[10] على غرار ما فعلوه بالمغرب عقب هجرتهم من الأندلس فقد قال المقري عن الدور الذي قاموا به هناك << **فاستنبطوا المياه و غرسوا الأشجار وأحدثوا الأرحية الطاحنة بالماء و غير ذلك و علموهم أشياء لم يكونوا**

---

[1] عبد القادر زبادية: **مرجع سابق**، 174 .

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 162، وأيضا عبد القادر زبادية: **مرجع سابق**، ص: 174 .

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص: 163.

[4] نفسه، ص:82.

[5] نفسه، ج1، ص: 42.

[6] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص:19.

[7] الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ج2، ص ص:163، 164.

[8] عبد القادر زبادية:**المرجع السابق** ،ص :178.

[9] الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ص: 174.

[10] محمد الغربي:**المرجع السابق**، ص: 482، سعد مطير:**المرجع السابق**،ص:360.

يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم و صلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم و عمتهم الخبرات.... و أما أهل الحواضر و استوطنوها... فاقوا أهل الصنائع أهل البلاد، ومتى دخل شغل علموه في أقرب مدة و أفرغوا فيه أنواع الحذق و التجويد >>[1].

كما عاشت بالمنطقة المدروسة حيوانات كثيرة وورد ذلك في مختلف المصادر التي أرّخت للمنطقة فذكرت أنواعها المفترسة والأليفة، هذه الحيوانات التي كان يستفيد منها سكان المنطقة في مختلف نشاطاتهم اليومية في التنقل، و الحرث و الحصاد، و تسويق المحاصيل و الحراسة، كما استفادوا من فضلاتها لتسميد الأرض، ومن منتوجاتها في التصنيع كدباغة الجلود و السروج، و الأكياس، و سقوف المنازل، و بيوتهم (الخيام)، و الألبسة والأحذية وغيرها.

أورد الرحالة الحسن الوزان هذه الحيوانات الأليفة و التي كانت من مستلزمات الحياة السودانية كالأغنام والتي كانت تعيش في شمال نهر النيجر و بلاد الحوض في موريتانيا الحالية[2]، فكانوا يأكلون لحومها و يتخذون من جلودها فراشا كما يُصنع من صوفها خياما و ألبسة (البرنس) و زرابي، و الماعز كانت تربى في مناطق الوسط و الجنوب من بلاد السنغي[3]، كما عرفت بالمنطقة تربية الأبقار وهي تحتل المرتبة الأولى أي قبل تربية الأغنام و الماعز من ناحية الكثرة و سعة الاستهلاك فخديم الأسكيا داوود كان له سبعة سراج بقر و ثلاثون سارحا للغنم كما كان السكان يقتاتون بحليبها و مشتقاته [4] وأغلبها كان من نوع الصغير الحجم وكانت تتخذ للحمل[5]، كما عاشت بالمنطقة الأحمرة و البغال، أما الخيول كانت أغلبها تستورد من الخارج لا سيما الشمال الإفريقي وهي باهظة الثمن حيث يباع الحصان الواحد مقابل خمسة عشرة أو عشرين عبدا[6].

[1] أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب** ......، **مصدر سابق**، ج: 3، ص: 152.

[2] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 476.

[3] نفسه.

[4] كعت: **المصدر السابق**، ص: 102.

[5] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص: 172.

[6] نفسه، ص: 177.

كما عاشت بالمنطقة الجِمال المعروفة بقافلة الصحراء التي وصلت من المشرق العربي إلى الشمال الإفريقي منذ العهد الروماني والتي ذيّلت الصعوبات التي كان يلقاها المسافرون من وإلى السودان الغربي[1].

كما عاشت بالمنطقة القطط والكلاب، واهتم سكان المنطقة بتربية النحل التي يجنون منها العسل[2].

كما وجدت بالمنطقة الحيوانات غير الأليفة مثل الفيلة[3]التي استفادوا من أنيابها العاج و كثيرا ما كان يقبل عليها التجار لأهميتها في العالم في ذلك الوقت.

وعليه فإن الدور المغربي عقب تواجده بالمنطقة اقتصر على جلب بعض السلالات الجديدة وعلى رأسها الخيول[4].

2-الثروات المعدنية:

كان بمنطقة السودان الغربي ثروات معدنية متعددة في مقدمتها الذهب، فقد قال المؤرخ المغربي الفشتالي عن غنى المنطقة بهذا المعدن: << **فهي مثرات العديم و مجلب التبر إلى المشارق والمغارب في الحديث والقديم** >>[5] هذه الثروة التي كان التجار يقطعون الصحاري والبحار من أجلها وجلبت لها أطماع القوى الخارجية منذ القديم، فقد أسالت لعاب المغاربة – السعديين الذين قاموا باحتلالها من أجله وساهموا بإسقاط أكبر قوة سياسية إسلامية بمنطقة السودان الغربي إلى الأبد[6]– وهذا ما تعكس كتاباتهم فهاهو الفشتالي يتحدث عن ذهب المنطقة في أكثر من موضوع على من امتلكه << **بالتفاوت فيه(أي الذهب) تتفاوت أقدار وسلطانا وجنودا و أطانا فهي مثرات العديم**

[1] دونالد ويدنر: **المرجع السابق**، ص: 37.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص:33.

[3] الهادي مبروك الدالي: **المرجع السابق**،ص:276.

[4] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 475.

[5] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص ص: 117، 168.

[6] لمزيد من التفاصيل أنظر الفصل الثاني من الدراسة ص ص:76 وما بعدها.

ومجلب التبر إلى المشارق والمغارب في الحديث والقديم، فمن ملكها ملك الأرض وجمع الطول والعرض لاضطرار أهل الأرض قاطبة إلى حمرائه ، وانقيادهم إلى الإذعان لصفرائه >>[1] وفي موقع آخر قال عن ماله من أهمية << **أما مالها من الخصوصية بمعدن الذهب الإبريز، وحد النضار الذي فغرت إليه أقطار الأرض أقواها و إستماحت بأبوابها إستماحة المقتر المعسر، ورمتها جلائل الأمصار بأفلاد أكبادها من غير مزاحمة قطر من أقطار الأرض لها في ذلك بمنكب ولا مساجلة لها في ذلك .. لأن معدن الذهب.. ببلاد السودان ..** >>[2].

وعليه كان المغاربة (السعديين) ينظرون للسودان الغربي (مملكة سنغي)على أنه غني وغناه (خاصة بالذهب) كان السبب الرئيسي لاحتلالهم له.

و للإشارة فإن أماكن تواجد الذهب بالمنطقة كان في أعالي نهر النيجر الذي يجرفه عند انحداره السريع من مناطق الجبال العالية حيث يتسع مجراه عند مدينتي جاو و تنبكت فيفيض على الجوانب في موسم الأمطار[3]، كذلك يوجد في منطقة **ونقارة** التي تقع إلي الجنوب الغربي من العاصمة باماكو بجمهورية مالي الحالية[4]، كما يوجد في كل من **بوري** عند حافة السنغال أيضا[5] وقد كان ذهب السودان الغربي يغذي من حاجة عالم البحر الأبيض المتوسط بما يقدر بالنصف[6].

وهناك معلومة انفرد بها الفشتالي من بين المصادر المغربية محل الدراسة مفادها أن المغاربة عندما وفدوا إلى المنطقة استولوا على منابع الذهب << **معادن الذهب الثلاثة التي اكتنفتها هذه الممالك**

---

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 168 .

[2] نفسه.

[3] R. Mauny :**op**.**cit**, p : 295.

وأيضا عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاي...، مرجع سابق**، ص: 188.

[4] الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي.. ، مرجع سابق**، ص: 281.

[5] عبد القادر زبادية : **المرجع السابق**، ص: 188،

أنظر الخريطة التي وضعها موني عن موقع مناجم الذهب : R . Mauny :**op**.**cit**. P: 295

[6] Ibid, p :304.

وأمره(أي المنصور أمر جوذر باشا) بالبناء عليها واختطاط الحصون الجاثمة عليها وترتيب الجيش فيها لحياطتها>>[1].

بالعودة إلى الكميات التي كانت تصل مخازن المنصور والذي أصبح يعرف بالذهبي نتيجة الكميات الكبيرة التي حصل عليها منه وهذا ما ورد في المصدر المغربي محل الدراسة تاريخ الدولة السعدية التكمادرتية << **ودعي الذهبي (أي أحمد المنصور)، لاكتسابه كثرة الذهب من السودان واحتوائه على المعادن منها وكثرة إعطائه الرواتب المخزنية وغيرها** >>[2]، فقد أعطت المصادر المغربية محل الدراسة صورة عن أحمال الذهب التي كانت ترسل إلى المغرب من السودان الغربي فورد في نفس المصدر السابق عنها << **فدخل لدار السلطان (أي المنصور) أثني عشر مائة مملوك من الجواري والغلمان وأربعون حملا من العاج و الينوز وكور غالية، و قطوط الغالية، وذخائر السودان** >>[3]، وهذا ما ورد عند الوفراني أيضا[4].

كما ذكر المقرى: << **وكنت يوما بمحلته نصره الله فإذا ببعير قد قدمت منها نحو العشرين منها موقرة تبرا** >>[5]، وذكر الفشتالي أن المنصور بعد استيلائه على معدن الذهب بلغ من التوسع في الإنفاق الذي لا يخشى علِيّة ولا فقرا[6].

هذه الكمية الكبيرة التي كان يجلبها المغاربة إلى المغرب لفتت أنظار الدول الأجنبية للبلاد وجعلته محط أطماعه، فقد أرسل السفير الإنجليزي **لورانس مادوك** تقريرا إلى حكومته في سبتمبر 1594 م أكد فيه << **أن السلطان أصبح أعظم حاكم في الكون ... وأن الرفاهية الاقتصادية التي أصبحت عليها دولة المنصور بعد فتح السودان، كانت نتيجة الموارد الضخمة التي أصبحت خزائن المولى أحمد تتلقاها بين الفينة والأخرى من مناطق الإمبراطورية وبلاد السودان بوجه خاص، ولكثرة**

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 165.

[2] مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة السعدية...** ، **مصدر سابق**، ص:64.

[3] نفسه، ص: 70.

[4] الوفراني: **المصدر السابق**، ص ص : 96 ، 97 .

[5] المقري: **روضة الآس، مصدر سابق**، ص:33 .

[6] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص: 198.

الغني وشيوع الذهب أصبح المنصور (الإمبراطور الذهبي)، فانفتحت أمامه آفاق واسعة، وظهرت مشروعات ضخمة كان أهمها الاعتناء بالأسطول وتقويته <<[1].

ولم يكن الذهب هو المعدن الوحيد بالمنطقة المدروسة فقد وجد النحاس لكنه بكمية قليلة وكانت من بين المنتجات التي تستوردها كما قال الحسن الوزان[2]، أما عن مواقع تواجده كانت في **أكجوجت** إلى الجنوب الغربي من موريتانيا الحالية وفي منجم **أزوليك** ببلاد **الآير**[3]، كما وجد بالمنطقة الحديد، والقصدير، والرصاص، والفضة[4].

3 –الصناعة والحرف:

عرفت المنطقة المدروسة مختلف الصناعات والحرف، وقد لاحظ الحسن الوزان أثناء زيارته للمنطقة انتشار دكاكين حياكة أقمشة القطن[5] رغم أنها لم تكن تفي لسد حاجة الاستهلاك المحلي إذ تم استراد كميات من الأقمشة من أوربا عن طريق تجار الشمال[6]، بدأت هذه الصناعة أول الأمر في السنغال الحالي حوالي منتصف القرن الحادي عشر ميلادي ثم عمّت بقية أنحاء السودان الغربي بعد ذلك[7].

كما صنعت من الأصواف والشعر والوبر الألبسة و الزرابي، واختصت النساء دون غيرهم في ذلك، كما عرفت المنطقة صناعة الحصير التي كانت تستعمل كفراش للمساجد التي تنسج من نبات يشبه الديس إلا أنه أقوى منه وأكثر سمكا[8].

---

[1] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص:17 نقلا عن De Castries .

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 163.

[3] R.Mauny: **op.cit**, p : 404

وأيضا محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص:497.

[4] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص : 190.

[5] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج 2، ص ص: 165، 166، وأيضا ج.هوبكنز: **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية**، تقديم وترجمة: محمد عبد الغني سعودي، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ص:94.

[6] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص: 166.

[7] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 498.

[8] الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ج:2، ص : 172 ، وأيضا كعت:**المصدر السابق**، ص:106.

كما عرفت المنطقة صناعة دبغ الجلود وكثر محترفوها، حيث تعددت الصناعات الجلدية فصنعوا القِرب، الملابس، النعال، السروج، أغمدة السهام، والآلات الموسيقية خاصة الطبل الذي كان من أهم الآلات الموسيقية[1]، ومارس السكان في بلاد سنغي حرفة دباغة الجلود التي تستعمل فيها قشور الرمان والأملاح ونباتات أخرى[2].

كما عرفت المنطقة الصباغة واستعملت أوراق النباتات للحصول على الألوان ، ويضاف إليها في الغالب الشب والملح لتثبيت الألوان[3].

ازدهرت في المنطقة بعض الصناعات ذات الاستعمال المنزلي مثل : صياغة الحلي من الذهب والفضة وقد اشتهرت عائلات بهذه الحركة في تنبكت خصوصا حي الغدامسية، وحومة السوق[4].

صناعة الحدادة كانت موجودة بالمنطقة فالحدّادون كانوا يحتلون مكانة في المجتمع الإفريقي، وكانت صناعتهم رائجة نظرا لحاجة الفلاحين إلى الأدوات الزراعية ولحاجة العمال اليدويين إليها في النجارة والدباغة و الحياكة[5].

ونظرا لوقوع أغلب مدن مملكة سنغى على نهر النيجر الذي كان طريقا لمواصلاتها وخطا

لدفاعها، فقد نشطت صناعة القوارب بمختلف أشكالها التجارية والحربية المصنوعة من أشجار غليظة[6].

وفي هذا النهر الكبير ثروة سميكة ضخمة لذلك نمت صناعة تجفيف السمك[7]، ومن الصناعات المحدودة في السودان الغربي صناعة الصابون الذي يستخدمه أهالي المنطقة في التنظيف ففي حادثة

[1] الهادي مبروك الدالي :**المرجع السابق**، ص:291 .

[2] عبد القادر زبادية :**المرجع السابق**، ص:192، وأيضا ج .هوبكنز: **مرجع سابق**، ص:96.

[3]R.Mauny:**op**.**cit** ,p : 102

و أيضا عبد القادر زبادية : **المرجع السابق**، ص :192 .

[4]الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي**.....، **مرجع سابق**، ص: 290.

[5] نعيم قداح: **المرجع السابق**، ص: 143، وأيضا ج .هوبكنز: **المرجع السابق**، ص: 96.

[6] الحسن الوزن :**المصدر السابق**، ج:2، ص : 164، وأيضا كعت: **المصدر السابق**، ص : 50 - 95.

[7]نفسه، ص:75.

وقعت لإحدى عجائز المنطقة مع الأسكيا داوود قالت له >>... **ولا بد لي من حمل غرامة لك تذكرني بذلك وذلك عشر رؤوس صابون في رأس كل سنة** <<[1].

كما عرفت المنطقة المدروسة مهنة الخياطة[2]، و صناعة الفخار و الخشب وصناعة الطوب[3].

بعد استعراض أهم الصناعات والحرف التي عرفتها المنطقة في فترة حكم الأسكيين التي ظلت على ما هي عليه في فترة حكم المغاربة للبلاد كما أن إنتاجهم المصنع لم يتجاوز حدود تلك البلاد [4]

4-التجارة:

أ- التجارة الخارجية:

كثيرا ما تكلمت المصادر التي أرخت للمنطقة في المد الزماني السابق لهذه الدراسة عن الحركة التجارية التي كانت قائمة بين شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء – بلاد السودان – والتي تمتد إلى العهد الفينيقي، حيث أن اجتياز الصحراء كان يتم بواسطة الثيران والخيل والحمير، لأن الجمل لم يكن معروفا والذي جُلب في أوائل العصر المسيحي فقط. فكانت القوافل تحمل ريش وبيض النعام ومسحوق الذهب من السودان في مقابل الملح والقمح وغيرها من السلع وهذا منذ القرن الخامس قبل الميلاد [5]، ازدادت هذه الحركة في القرون الوسطى وعليه لم تكن الصحراء في يوم من الأيام تشكل عائقا دون الاتصال الحضاري المثمر بين طرفيها الشمالي والجنوبي، وقد كانت الأسس الأولى لهذا الاتصال هي التجارة وتبادل المنتجات والبضائع – كما سبق وتم الإشارة إلى ذلك – وتكونت على طول طريق القوافل التجارية الرابطة بين السودان الغربي وشمال إفريقيا مراكز لخدمة التجار ومثالا على ذلك : سجلماسة، غدامس، توات، زويلة وغيرها، إذ كان للتجار في هذه المراكز وكلاء و أدلاء وفنادق تأوي

---

[1] نفسه، ص: 106.

[2] نفسه، ص: 131

[3] لمزيد من التفاصيل عن هذه الصناعة والحرف بالسودان الغربي أنظر : عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص :193 وما بعدها ، وأيضا ج.هوبيكنز: **المرجع السابق** ، ص :94 وما بعدها.

[4] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 497.

[5] بوليم دنيس: **الحضارات الإفريقية**، ترجمة: على شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974 م، ص ص: 34، 35، وأيضا دونالد ويدنر: **المرجع السابق**، ص: 37 .

بضائعهم [1]، كما نشأت مراكز تجارية هامة في السودان الغربي وهي:ولاتة ، كومبي صالح ، تنبكت ، جاو ، جني [2] وغيرها .

ظلت الحركة التجارية على ما هي عليه في بداية العصور الحديثة فقد أعطت المصادر المغربية محل الدراسة صورة عن الحركة التجارية الخارجية للسودان الغربي، فهاهو الرحالة الحسن الوزان يشير في أكثر من موضع للعلاقات التجارية التي كانت تربط بلدان الشمال الإفريقي مع بلدان السودان الغربي فمثلا تجارة تلمسان مع المنطقة المدروسة قال عنها: << **فالتجار أناس منصفون مخلصون جدا أمناء في تجارتهم... أهم أسفارهم التجارية هو الذي يقومون به إلى بلاد السودان، وهم وافروا الغنى... (وتلمسان) تشكل مرحلة بين أوربا وبلاد السود، فإن الملك يستفيد أموالا كثيرة من دخول البضائع وخروجها** >>[3]، وعن تجارة سكان إفران مع المنطقة المدروسة : << **السكان أغنياء نسبيا لأنهم يتجرون بسلعهم مع البرتغاليين في ميناء غار كسيمة ، فيأخذون منهم الثياب الخشنة والقماش وغير ذلك ويحملونها إلى بلاد السودان كولاته وتنبكت**>>[4].

كما أكدت النصوص التي جاءت في كتاب النزهة فيما نقل صاحبه عن الفشتالي، إذ ورد فيها أنه عندما همّ المنصور لاحتلال المنطقة ولقي معارضة من طرف أعضاء مجلسه على ذلك ومن أسبابها صعوبة الطريق المؤدية للسودان ، فكانت إجابة المنصور تدّل على الحركة التجارية الرابطة بين المنطقتين فقال: << **التجار على حالة ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت، ويخوضون أحشائها مشاة وركبانا، ومثنى وفرادى وقط لم تنقطع ركاب التجار منها** >>[5].

كما تحدّث الفشتالي عن استمرار الحركة التجارية للسودان الغربي فقال : <<... **أسواق بالخلق والنعم زاخرة كأنما انطلق أهلها من الحساب لكثرة من ينتابها من جميع زوايا المعمورة من ركاب**

[1] عبد القادر زبادية :**المرجع السابق**، ص : 212 .

[2] نعيم قداح: **حضارة الإسلام...** ، **مرجع سابق**، ص:140.

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص ص:21 -23 .

[4] نفسه، ص: 117.

[5] الوفراني:**المصدر السابق**، ص:91.

التجار، وأرباب البضائع الثقيلة الذين يضربون إليها أكباد الإبل من كل فج عميق، وتهوى إليه أفئدتهم من كل مكان سحيق >>[1].

وقد أعطى المصدر المغربي وصف إفريقيا للحسن الوزان تفصيلا أكثر من غيره من المصادر المغربية محل الدراسة عن جملة من الأمور المرتبطة بالرحلات التجارية بين بلاد السودان وشمال إفريقيا، فتعرض للطرق التجارية التي تسلكها القوافل التجارية، والعوائق التي تعترضها كمشكل الماء، وللسلع التي تنقلها القوافل من وإلى السودان الغربي وسنعرضها في ما يلي:

1/مسالك الطرق التجارية:

تحدث الحسن الوزان عن الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية في بداية الفترة المدروسة ورسم صورة عن تحول هذه المسالك خلافا لما كانت عليه في العصور الوسطى كما ذكرتها الكتابات العربية في هذه الفترة للبكري والإدريسي وابن بطوطة [2]، فالحسن الوزان يساعد على رسم الحالة التي كانت عليها تلك الطرق والتحولات التي عرفتها في المكان والزمان، وفي هذا السياق ومع نهاية القرن الخامس عشر ميلادي و بسبب سقوط سجلماسة في قبضة عرب المعقل [3]، ووجود التجار الأوربيين بوادي نون من أجل ممارسة النشاط التجاري على ساحل المغرب الجنوبي [4]، تحولت التجارة العابرة للصحراء من طريق سجلماسة الذي فقد أهميته إلى طريق وادي درعة إذ يشير الوزان في هذا الإطار إلى توافد تجار بلاد السودان على هذه المنطقة من أجل استبدال منتجاتهم وتعاطي سكان تلك المنطقة للتجارة مع بلادالسودان [5] ويضيف بأن وادي نون قد ازداد ازدهاره بفضل العلاقات التجارية مع أوربا التي بدورها تحملها إلى السودان [6]، ورغم أهمية المحور الغربي في العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان والتي استمدها من توفره على ظروف طبيعية وبشرية ملائمة فإنه لم يخلو من صعوبات ومشاكل

[1] الفشتالي: **المصدر السابق**، ص117.

[2] لمزيد من التفاصيل عن الطرق التجارية الكبرى العابرة للسودان الغربي في العصور الوسطى أنظر:

R.Mauny:**op.cit**, P: 426. وما بعدها .

[3] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:1 ص: 55.

[4] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج:2، ص:108.

[5] نفسه، ص :119.

[6] نفسه، ص:108.

تتمثل أساسا في تراجع تجارة القوافل الناجم عن انعدام الأمن بفعل الخطر الذي شكله تحرك البرتغاليين على السواحل الأطلسية [1] ، وكذا تحركات عرب المعقل بين سجلماسة والساحل الأطلسي [2].

وبخصوص المحور الأوسط المباشر : درعة – تغزة – تنبكت، يرى الوزان أنه أصبح يمر عبر منطقة درعة التي أصبحت تكتسي أهمية بالغة في العلاقات التجارية التي جمعت بين المغرب وبلاد السودان حيث وُجدت بها قصور محصنة ومستقلة أبرزها قصر بني صبيح [3]، ويسجل الوزان أن هذه القصور كان يقيم فيها التجار الغرباء عن البلاد وليس من المستبعد أنه وجد بينهم تجار سودانيون [4] مما يؤكد هذه الأهمية التي أصبحت درعة تحتلها في العلاقات التجارية مع السودان الغربي .

وفيما يتعلق بالمحور الشرقي : توات – كورارة (تيكورارين) – جاو يرى المصدر نفسه أن قوافل فاس وتلمسان كانت مع بداية القرن السادس عشر ميلادي تلتحق وهي في طريقها نحو بلاد السودان بفكيك وتنحدر مع وادي زوسفانة ثم وادي الساورة المؤدي إلى بستان النخيل تيسبت وهي ملحقة غربية لتكورارين[5]، وكان لتوات كمحطة انطلاق للقوافل التجارية بالنسبة لهذا المحور امتياز كبير بحكم موقعها المتقدم جنوبا، وقد أكد الوزان هذه الأهمية حيث أشار إلى أنها شكلت <<**مجمع القوافل لأن التجار ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعا**>>[6]، كما سجّل أن سكان واحات توات و تيكورارين << **أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان** >>[7].

هذا فيما يخص الطرق التجارية شمال جنوب ، أما الطريق التجاري غرب شرق فقد أشار الرحالة الحسن الوزان إلى الطريق الرابط بين ولاتة والقاهرة [8].

---

[1] نفسه.

[2] نفسه، ج:1، ص: 55.

[3] نفسه ، ج:2، ص: 119.

[4] نفسه.

[5] نفسه، ص: 133.

[6] نفسه، 113.

[7] نفسه، ج:1، ص:33.

[8] نفسه، ص: 76.

كما أشار إلى الأخطار التي تعترض لها القوافل التجارية في الطريق كمشكل الماء ، وكيف تصدوا لحل هذه المشكلة وذلك بالمحافظة على آبار المياه المتواجدة في الطريق وحمايتها من خطر الزوابع الرملية فيقومون بترميمها من الداخل بواسطة عظام الإبل الهالكة ثم يغطونها بجلودها للمحافظة عليها [1].

أما عن أهم المراكز التجارية التي امتدت على طول وأطراف المحاور التجارية العابرة للصحراء، و لعبت أدوارا مختلفة في العلاقات التجارية التي جمعت بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي كأسواق تجارية استقطبت تجار شمال الصحراء وجنوبها، وأُبرمت فيها صفقات تجارية مهمة وكمحطات سمحت للقوافل التجارية أن تتزود فيها بالمؤن والمواد التجارية المختلفة وتعمل على إعادة توزيعها وترويجها كما شكلت سوقا استهلاكية للمواد التي يصدرها السودان الغربي، ومن بين هذه المراكز :

سجلماسة : هذه المدينة كانت خلا ل العصور الوسطى أكبر قاعدة للقوافل الصحراوية وقد أشار إلى ذلك الحسن الوزان إلا أنه عندما زارها في بداية القرن السادس عشر ميلادي وجدها خرابة وانتقلت أهميتها إلى القصور المجاورة [2].

تكاوست : كانت تنطلق منها القوافل التجارية وهي محملة بالأقمشة الصوفية من صنع محلي التي كانت تجد إقبالا في الأسواق السودانية فقال عنها الوزان : << **يباع فيها بأبخس الأثمان ويصنع منه الكثير من قطع الثياب الصغيرة التي يحملها تجار المدينة مرة في السنة إلى تنبكت و ولاته من بلاد السودان** >>[3].

تدسي: ارتبط بها وجود عدد مهم من تجار بلاد السودان [4].

افران[5]**توات**[6] وغيرها.

[1] نفسه.

[2] نفسه، ج:2، ص: 128.

[3] نفسه، ج:1، ص: 120.

[4] نفسه، ص: 119.

[5] نفسه،ج:2، ص: 117 .

[6] نفسه، ص:133.

و من المراكز التجارية السودانية التي لعبت دورا مهما:

تنبكت[1] : يذكر الوزان أن هذه المدينة أصبحت أهم مركز لاستقبال تجار البربر بدل ولاتة التي أفل نجمها في الفترة التي زارها فيها الحسن الوزان، وذكر الوزان عن تنبكت أن سكانها أغنياء مترفين لاسيما منهم الأجانب المقيمين في البلاد حتى أن الملك زوج اثنتين من بناته من تاجرين أخوين لغناهما [2].

جاو[3] : شكلت مع تنبكت محطة لتوقف القوافل التجارية وهمزة وصل بين المغرب وبلاد السودان، كان سكانها – حسب الوزان – من التجار الأغنياء يتجولون دائما بسلعهم في المدينة ، والتجار السود منهم يبادلون الذهب بالمواد المستوردة من بلاد البربر وأوربا[4].

2/المواد والسلع التجارية:

الواردات: تنوعت صادرات المغرب نحو بلاد السودان وشملت مواد محلية وأخرى صحراوية في مقدمتها الملح الذي يشكل المادة الأساس في هذه المبادلات وذلك لندرته وأهميته بالسودان ولأنه مادة صحراوية لم تتوفر لا بالمغرب ولا ببلاد السودان ، و التحكم في هذه المادة كان يعني بكل سهولة احتكار الذهب الآتي من الجنوب.

وبخصوص الملاحات تحدث الوزان عن ملاحة تغزة الشهيرة وذكر أن بها مناجم الملح تشبه مقالع الرخام تستخرج منها هذه المادة من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح يأتون مع القوافل، ويقيمون هناك كمنجمين يستخرجون الملح ويحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشتريه منهم ومن هنا يحمل إلى تنبكت التي يغزوها الملح كثيرا [5]. كما وردت للمنطقة المدروسة الأقمشة الفاسية والأوربية رغم أن صناعتها كانت منتشرة في بلاد السودان إذ يشير الوزان في معرض حديثه عن مدينة تنبكت إلى وجود دكاكين كثيرة للصناع والتجار بها ولاسيما منها دكاكين نساجي أقمشة القطن لكن

[1] للمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة أنظر: المبحث الأول من الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص:104 وما بعدها.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص:166.

[3] للمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة انظر المبحث الأول من الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص:112 وما بعدها.

[4] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ص: 169.

[5] نفسه، ص:108.

إنتاجهم لم يكن ليفي بالحاجيات المحلية الأمر الذي يستدعي استيراد مختلف أنواع المنسوجات من الشمال الإفريقي وأوربا[1] ، كما استوردت المنطقة الأواني النحاسية،المصنوعات الحديدية والزجاجية،مقتطعات مرجانية ، الودع ، التمور ، القمح ، الكتب ، والخيول ، الجلود المدبوغة ، الأصبغة ، الحلي...[2].

الصادرات:على رأس صادرات المغرب الذهب، ريش وبيض النعام، التوابل (البهارات) [3].

لكن المصادر المغربية محل دراسة لا تسعف الدارس في تتبع الحالة التي آلت إليها التجارة الخارجية عقب الاحتلال المغربي للمنطقة المدروسة إلا أن بعض المراجع الحديثة تذكر بأنه بفضل السيطرة المغربية على المنطقة المدروسة تضاءلت عدد القوافل المتجهة من الشرق إلى الغرب والعكس، وأخذ المحور الشمالي الجنوبي كل الأهمية التي كانت للطرق الأخرى [4]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فالسلع التي كانت ترد على المنطقة وتصدر منها لم يطرأ عليها هي الأخرى تغير ويمكن استنتاج ذلك بوضع مقارنة بين ما ورد عند عبد القادر زبادية في كتابه مملكة سنغاي في عهد الاسكيين وما ورد عند محمد الغربي في كتابه بداية الحكم المغربي في السودان الغربي في الجزء الخاص بصادرات وواردات المنطقة المدروسة في الفترة المدروسة [5].

ب–التجارة الداخلية ومتعلقاتها :

يمكن الاستنتاج من النصوص التي قدمها الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا بأن الحركة التجارية كانت نشطة بين مختلف المدن السودانية فمثلا تجارة مدينة كبرة الواقعة على نهر النيجر ذكر عنها أنه تنقل منها << **البضائع في السفن إلى جني ومالي**>>[6] وكذا تجارة جني وتنبكت مع مالي

[1] نفسه، ص:166.
[2] نفسه، ص ص:163 –166، وأيضا عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**،ص:219وما بعدها.
[3] نفسه، الحسن الوزان : **المصدر السابق**، ص: 166 .
[4] محمد الغربي: **المرجع السابق**، ص: 431، لمزيد من التفاصيل عن الطرق التجارية في العهد المغربي أنظر: نفسه، ص: 458 وما بعدها.
[5] عبد القادر زبادية: **المرجع السابق**، ص :219 وما بعدها، وأيضا محمد الغربي :**المرجع السابق**، ص :445 وما بعدها .
[6] الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ج:2، ص: 168.

هذه الأخيرة التي تزودها بكثير من المنتجات [1]، وكذا تجارة جني و تنبكت[2] كما ذكر الأسواق التي كانت تعرض فيها المنتجات << **وهناك ساحة يباع فيها(المنتوجات) أيام السوق**>>[3].

أما عن وسائل النقل فقد ذكر الزوارق << **ويأتي تجار تنبكت .... حاملين بضائعهم في زوارق صغيرة ضيقة جدا مصنوعة من نصف جذع مجوفة تجري بهم نهارا** >>[4]، كما استعملت الحمير والثيران والعبيد كوسيلة للنقل [5]، هذا عن وسائل النقل داخل بلاد السودان الغربي، أما فيما يتعلق بالنقل بين السودان الغربي والمغرب ومصر على الخصوص فقد كانت تستعمل الجمال وذلك لأنها الحيوانات الأكثر ملاءمة لقطع الصحراء لقدرتها على تحمل المشاق أكثر من غيرها من الحيوانات .

وفيما يخص المكاييل ، المقاييس ، الموازين والمعايير ،الأسعار وكذا العملة ، فالمصادر المغربية محل الدراسة لا تسعف الدارس في إعطاء تفصيلات كافية عليها عدا الإشارات التي أعطاها الحسن الوزان في كتابه، لكنها ذُكرت في الكتابات السودانية للسعدي و كعت وأحمد بابا دون ذكر مقاديرها، وقد تصدى الباحث المعاصر رايمون موني Raymond Mauny لبحثها فكانت النتائج هي التي اعتمد عليها أغلب الباحثون الذين جاؤوا بعده في دراستهم لهذا الموضوع[6].

[1] نفسه، ص:164.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص:169.

[4] نفسه، ص:164.

[5] نفسه، ص ص: 172 -175 وغيرها

[6] أنظر:

R. Mauny : **op.cit**, p:410 وما بعدها

الخاتمة

من خلال الدراسة يمكن الخروج بعدة نتائج و استنتاجات هي:

- عمق الاتصال بين دول شمال إفريقيا، وإفريقيا جنوب الصحراء و الذي تتجلى مظاهره في مختلف مناحي حياة المجتمع السوداني.
- عرفت منطقة السودان هجرات بربرية، وعربية منذ القديم و ازدادت هذه الهجرات عقب دخول الإسلام إلى دول شمال إفريقيا، وأن الصحراء لم تكن في يوم من الأيام حاجزا بين المنطقتين.
- الدور الكبير الذي لعبه التاجر الداعية في نشر الإسلام بمنطقة جنوب الصحراء.
- أهمية المصادر العربية الإسلامية في إلقاء الضوء على تاريخ المنطقة.
- أهمية المصادر المغربية محل الدراسة في التعريف بتاريخ المنطقة في الفترة المدروسة مع تسجيل جملة من التحفظات حول بعض المعلومات الواردة في المصادر المغربية محل الدراسة نوجزها في ما يلي:

1 – في الجانب السياسي :

- لا يمكن الاستغناء عن كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان، خاصة وأنه زار المنطقة المدروسة في بداية المد الزماني لهذه الدراسة، أي في عهد الأسكيا محمد الكبير، ونقل معلومات جد مهمة عن التنظيم الإداري للمملكة وعن مختلف الفتوحات التي قام بها الأسكيا محمد الكبير، و جاء بتفاصيل أكثر من غيره من المصادر المغربية محل الدراسة عن عهد الأسكيا محمد الكبير.
- أما الفشتالي في كتابه مناهل الصفا، فهو الآخر تبرز أهميته، خاصة في النصف الثاني من القرن 16 م، فهو يعكس العلاقات السياسية التي ربطت مغرب – السعديين – بالسودان الغربي – مملكة سنغي – وكيف تأرجحت العلاقات بينهما بين الود و التوتر، مع أن المعلومات التي حملها صاحب الكتاب كثيرا ما تبعد الموضوعية، وتخرج عن طابها الأكاديمي إلى التوظيف السياسي:

- فجاء بتفاصيل عن العلاقات التي ربطت المنصور بالأسكيين في كل المسائل التي حالف فيها الحظ المنصور نجد المؤلف يسهب ويطنب في تفاصيلها، بينما حالات القضايا الأخرى يتحفظ فيها أو يسكت عنها بالمرة، وهذا ما تم إثباته في هذه الدراسة.

- كثير من المغالطات التاريخية حملها هذا الكتاب خاصة تلك المتعلقة بالحملة المغربية مع أنه جاء بكثير من التفاصيل لكنه حاد عن الموضوعية، ومثال على ذلك الخسائر التي تكبدتها الحملة في طريقها إلى السودان الغربي وهذا ما أثبتته المصادر والمراجع السودانية والأجنبية كما تم إثباته في الدراسة.

- أما فيما يخص معدات الحملة فلم يوفق كذلك في إعطاء صورة دقيقة عنها واكتفى بالمبالغة.

- أما عن الطريق فهو الآخر لم يوفق كثيرا في رسم المسار بدقة.

- و عن وصف المعركة أعطى وصفا دقيقا لها.

- لم يذكر الفشتالي سلسلة الثورات التي قام بها السودانيون ضد المغاربة خاصة ثورة تنبكت، والتي تدخل ضمن الحيز الزماني الذي أرخ فيه الفشتالي.

- لم يذكر النكبة التي تعرض لها آل آقيت على يد محمود بن زرقون وكيف اقتيدوا إلى المغرب مصفدين.

-كذلك لا يعطى الكتاب تفاصيل عن الوضع السياسي الداخلي لمملكة سنغي الإسلامية في هذه الفترة.

- أما الوفراني تمكن أهميته فيما نقله عن الفشتالي والأسلوب الذي طرح به الموضوعات التي طرقها، وهو أكثر موضوعية من الفشتالي حسب الكثير من الدراسات، بل لدرجة انتقد فيها بعض المعلومات الوارد به.

- ويتميز أيضا في نقله لمعلومات سكت عنها الفشتالي ولم يذكرها مع أنها وقعت في الفترة التي كتب مؤلفه فيها، مثل قضية آل آقيت وكذلك النداءات التي كان يرددها جنود الأسكيا إسحاق عند القصف المغربي لهم، و هي "نحن إخوانكم في الدين الإسلامي".

- كذلك ذكر الوفراني أن الأسكيا الذي تولى بعد الأسكيا الحاج محمد الكبير هو ابنه داوود ، في حين أثبتت الدراسة أن هذا لم يتول إلا بعد ثلاثة حكام جاؤوا بعد الأسكيا الحاج محمد الكبير، وكذا هو الشأن بالنسبة للحكام الذين تولوا بعد الأسكيا داوود.

- في حين تميز مؤلف كتاب الدولة السعدية التكمادرتية بطابع انتقادي للدولة السعدية، لكن أهميته تكمن في أنه نقل المعلومات دون أن يكيل المدح، والثناء لمن يكتب عنهم.
- أما ابن القاضي فقد أعطى مقتطفات متعلقة بحملة المنصور عن السودان الغربي دون الخوض في التفاصيل.
- أما كتاب رسائل سعدية تكمن أهميته في الوثائق التي احتواها.
- أما عن موقف أصحاب المصادر المغربية المعتمدة من الحملة التي شنها المغاربة على السودان فقد تباينت بين مؤيد ومعارض للحملة.
- أما عن موقف السودانيين من الحملة فهو المعارضة.
- نستشف من خلال هذه الدراسة أن الهدف من الحملة التي قام بها المغاربة هو هدف اقتصادي بالدرجة الأولى، بمعنى هي غزو و احتلال منه إلى فتح.
- أما عن الباشاوات الذين حكموا السودان الغربي لم تذكر منهم المصادر المغربية سوى ثلاثة باشاوات الأوائل كما لم تعط صورة عن مسار الباشاوات في السودان الغربي.

2 – في الجانب الاجتماعي:

- انفرد الحسن الوزان تقريبا بإعطاء تفاصيل للجانب الاجتماعي للمنطقة مقارنة مع المصادر المغربية الأخرى، وبالتالي يصعب على الباحث الاعتماد على هذه المصادر لأخذ صورة عن مختلف التغير الذي طرأ على المنطقة عقب التواجد المغربي، دون الرجوع إلى مصادر ومراجع أخرى الشيء الذي التزمت به وتوصلت إلى ما يلي:

– هناك اختلاف بين المراجع الحديثة عن الحالة التي آلت إليها المدن السودانية عقب التواجد المغربي، منهم من اعتبرها اضمحلت، ومنهم من ذكر أنها ازدهرت.

– أما عن نمط البناء فلم يسجل أي تأثير، وهذا بشهادة المغاربة أنفسهم، و الحال نفسه بالنسبة للباس، أما بالنسبة للطعام تم رصد تأثير في نوعية الطعام وأوقات تناوله.

3 – في الجانب الثقافي :

– أعطى الوزان صورة عن انتعاش الحركة الثقافية الإسلامية بالمنطقة، وذلك بتشجيع ملوك السنغي للعلماء والإنفاق عليهم بسخاء وكذا الاتصال بالعلماء في أرجاء العالم الإسلامي و الاستعانة بهم وإقبال السودانيين على شراء الكتب بالأسواق الواردة من الشمال الإفريقي .

– كما أشار الوفراني إلى حرص الملوك على التقيد بالتعاليم الإسلامية.

– لكن هناك اتهام خطير وجهه الفشتالي تمثل في تعميم وصف أهالي السودان بالجهل والغباوة، وقد أثبت الدراسة عكس ذلك .

– لم يدخل المغاربة تأثير ذا بال على هذه الناحية بل هناك دراسات حملت المغاربة مسؤولية اضمحلال وتدهور الحركة الثقافية بالمنطقة.

4 – أما الجانب الاقتصادي :

- أخذ المجال الاقتصادي حيزا في مصادر الدراسة من خلال الإشارة إلى مختلف الثروات التي تحوزها المنطقة المدروسة، ومختلف الأنشطة الاقتصادية الممارسة بها وازدهار الحركة التجارية.
- كثيرا ما روجت الكتابات المغربية المعتمدة صورة الغنى الفاحش عن مملكة سنغي مما جعل أنظار المنصور تتجه نحو السودان الغربي للاستحواذ على خيراته.
- أما عن الآثار الإيجابية التي خلفها المغاربة في ظل تواجدهم بالمنطقة لم تكن كبيرة، لا في الزراعة ولا في الصناعة.

الملاحق

الملحق رقم : 01

رسالة السلطان المنصور الأولى إلى الأسكيا إسحاق الثاني [703]

« إلى رئيس كاغوا وكبيرها والقائم بأمرها وتدبيرها إسحاق سكية[أسكيا] بن داوود وصل الله لكم أسباب هدايته وتوفيقه، وجعلكم ممن انتهى إلى حزب هذا الجناب النبوي الكريم وفريقه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما: بعد حمدا لله الذي صرف لهذه الإمامة النبوية الكريمة وارثة الأرض ومن عليها وجعل زمام الأمة بيدها والنظر فيما لهم وعليهم موكولا إليها الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث من أطيب المعادن وأشرف من تنصرف إليه الوجوه من كل ظاعن وقاطن و الرضي عن ءاله الأئمة الأعلام خلفاء الإسلام وأصحابه الذين عزروه ونصروه بالسنان و الحسام وصلة الدعاء لهذا المقام العلي الأمامي النبوي المنصوري الأحمدي الحسني الفاطمي بنصر تدور به الأفلاك وتستنزل به الملائكة وتخضع له الأملاك، فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية وكرسي ايالتنا العلوية ومقر إمامتنا الهاشمية الحسينية مراكش حاطها الله ونعم الله على هذا المقام المنصور ضافية السر بال وافية السيال والاعتناء بحفظ نظام الدين وتشييد قواعده من كاسة العنوق والاصطباح والاهتمام بمصالح الأمة المحمدية مستغرق فيه المساء والإصباح، وإرسال سوابق الفكر في تتبع المصالح التي تتعلق بها أعلام التوحيد على أهل التثليث هو الديدن في الغد والرواح كل ذلك علم الله لنقدم في هذا الدين المحمدي المقام الشريف ونبرأ على أكمل وجوه من عهدة التكليف ، فقد نيطت بنا التكاليف الشرعية التي لم تنط بغيرنا أي مناط، وارتبطت بنا أي ارتباط ولا مطمع في التقصي من ربقتها والانفلات من عهدتها إلا بمواصلة الجد في السالمات وأعمال الحزم وترك الهوينا، ومتى يقع الخلاص من أعباء عرض حملها على السموات والأرض

[703]الفشتالي: **المصدر السابق**، ص ص: 123-125.

ووعدها بالثواب عليها خالق العالم فتأبى فإليه نمد أكف الضراعة في تيسير الخلاص من هذه الأثقال ومنه نستمد الأمانة التي بها تنال الآمال وغير خفي على من ذاق حلاوة الإيمان وخالطت بشاشة قلبه وألقى إلى هواتف الشريعة كتابا وسنة سمعه ولبه اننا بهده الأثقال دون غيرنا مطالبون بأعبائها مضطلعون إذ الناس في هذا الأمر تبعٌ ونحن المتبَعون وان طاعة هذا الأمر الذي تقلدنا قلادته مفروضة على أهل الأرض وواجبة على كل من أحاط من أسياج المعمور على الطول والعرض لما اختصنا الله به من إمامة الجماعة التي أوتيتها حكم الولاء والكفالة ووراثة الأرض ومن عليها لا عن كلالة وقلدنا من حماية بيضة الإسلام والذب عن أمة نبيه عليه السلام واني لمن بهده المنزلة أن تطرق اجفانه سمة اغتماض أو يتأتى له عن رعي المصالح الخاصة و العامة صدود أو إعراض وعدو الدين إلى شق عصى الإسلام وإفساد بيضته على طول المدى فأغر فاه معمور الفكر والبال فارغ ما سواه ولهذا ومن أجله لم تزل بحمد الله سهام أنظارنا السديدة إلى أهداف مصالح الأمة المحمدية موفقة و ءارؤنا ولا كفران لله بحوله وقوته إلى صوب الصواب موفقة نعثر منها على ما جر عليه قبل الأيام ذل الإغفال فأسدل دونها رواق الإهمال وكلما أثرنا في مهامه الفيح قنصا وقعنا به على مهارق الأعلام والتعريف لكم ولغيركم ممن اوجب عليه الله الإنصات لأمرانا قصصا لتلبى في الأقطار والأفاق دعوتنا إليه المطاعة وتعطى إشارتنا به على الأنام ما يجب لها من الشهرة المقرونة بالامتثال والإذاعة ويشتد به أزر هده العصابة الإسلامية وهده الجماعة ويحصل لها به بعد سبر غوره الفرح والاغتباط ولنا إن شاء الله أجر الإشارة به عليها والاستنباط هذا وإن مما وقف بنا عليه بعد استخارة الله زائد الاختيار وسبرنا غوره من سديد النظر بمسبار وما تعاضدت شواهد الشرع على اعتباره وإباحة إجتناء ثماره وأنه من القلادة التي طوقتنا دلائل الكتاب والسنة طوقها أسالت أرواح الإذن الإلهي من سماء التمكين على أكتاف ودقها وأوجبت عليكم خصوصا وعلى الناس عموما تلبية منادينا وإنهاء التعريف بالقبول لها إلى شريف نادينا وذلك هذه الملاحة المعدنية التي تضرب إليها أكباد الإبل وتشد بسببها لبلاد تغازي على الدوام الاقتاب والرحال وتعمل المطي إليها الوخد و الارقال وتشق البيد نحوها بأحمال الثقال قد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الإسلامي و الأسطول الجهادي الذي جعل المولى سبحانه بأيدينا زمامه وصرف بفضله إلى إحياء دينه ظعنه ومقامه وشرق من اجله طاغية التثليث بريقه

وضاق متسع الفضاء فرقا به وبحزبه وفريقه لا يصلح في قانون الشرع أن تقابل بالإهمال ولا يرى من عهدته إلا البدار إليها والإعمال لما فيها من الإعانة لهذه الجيوش الإسلامية والعساكر المظفرة بالله الهاشمية الأمامية وتقوية هذه العصابة النبوية التي بها يقع الدفاع عن الملة ويحمى حماها بسيوفها المستلة وصرفها في إقامة أسطول الجهاد وفيما اعتدنا للرباط في ذات الله من الصافنات الجياد مع ما فيها للأمة المحمدية من المنفعة التي إن ضيعناها توقعنا فيما ولانا الله من أمرها تقصيرا وزجرا بارتكابها وانتهاز الفرصة فيها من عظيم فضله أجرا كبيرا وذلك بان وظفنا زنة مثقال تبرا على كل حمال من الجمال التي تغشى هذه الملاحة للحمل على طول المدى وألزمناهم ذلك ما أعقب غدا بحيث لا يوسق رحل إلا بعد إعطائه ونقده ومن تأبى فليتيقن بصده عن حملها ووروده وها نحن قد أنفذ ما إليكم بما لأمة المذهب في هذه المسألة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج والنصوص والبراهين المحكمة البنيان المرصوص لتعلموا أن الأمام فيها النظر والاجتهاد وصرفها فيما يراه من وجوه السداد وبخاصة في إقامة فريضة الجهاد وتستشعروا مالكم في امتثال ذلك من السعادة التي تجدونها ذخرا والفلاح الذي تفوزون بليله إن شاء الله دنيا وأخرى وعرفناكم بهذا لتكونوا أول من ثنى إليه أعناق الرجال وأول من أحرى الاستماع إليه والامتثال ومن شممتم منه رائحة الانحراف عن هذا الأمر العلى والازورار فقوموا اعوجاجه بثقاف الإلجاء إليه والاضطرار فأنتم أحق الناس والحمد لله بحشر الناس لهذا الباب وما يذكر إلا أولوا الألباب»

الملحق رقم : 02

رسالة السلطان المنصور الثانية للأسكيا إسحاق الثاني [704]

« إلى كبير كاغوا وأميرها ومالك زمام أمورها وتدبيرها و المرجوع إليه عند خاصتها وجمهورها الأمير الأجل الأثيل الأحفل الأمير سكية وصل الله كرامته وجعل التُقى سمته وعلامته سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمدا لله مسهل المرام وميسر أسباب الكمال والتمام والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا شفيع الأنام المبعوث بالحنفية السمحاء إلى الخاص والعام و الرضي عن آله الأئمة الأعلام وخلفاء الإسلام وعن أصحابه الذابين عن كلمته بالسنان والحسام ومواصلة للدعاء لهذا الجناب الكريم بالعز السامي المقام والنصر المنشور الريات والأعلام فانا كتبناه إليكم من حضرة فاس المحروسة بالله وعناية الله وارفة الظلال و نواسم النصر والإقبال دائمة الهبوب بالبكر والآصال لله المنة .

هذا و موجبه إليكم سدد الله طريقكم وجعل التقى رفيقكم أعلامكم أن معدن الملح بتغازي التي من ايالتنا وفي حكم إمامتنا هو كما لا يكاد يخفاكم من جملة المعادن التي يختص بيت مال المسلمين بخراجها المستفاد وللإمام النظر فيها والاجتهاد وبحسب هذا فان رأينا إن شاء الله من الرأي السديد والنظر المبارك الرشيد أن نضع عليه خراجا يعود إن شاء الله بمزيد النفع على المسلمين وبالضر على أعداء الله المشركين وهو إنا افترضنا مثقالا على كل جمل من سائر الإبل التي ترده وتؤمه من سائر الجهات وتقصده وقصدنا بما يحصل من ذلك صرفه إن شاء الله في سبيل الغزو والجهاد وفي أرزاق ما بأنضرنا العلي من العساكر والأجناد التي جعلنها لنكاية عدو الدين بالمرصاد واعتدناها للذب عن كلمة الإسلام و حياطة البلاد والعباد وهي جنود الله تعالى التي لولا ما حجزت بينكم وبين طواغيت الشرك سيوفها القاصمة وضربت في وجه الكفر دونكم بأسوارها العاصمة وخضدت من شوكة الشرك باستئصال حماته وأنصاره ومنازلته

---

[704] رسائل سعدية، **مرجع سابق** ، ص ص:132- 136.

على الدوام في عقر داره لفاض عليكم طوفانه السائل وسال على ارض من منه شؤبوب هاطل وكبحت عنكم عنان الكفر حتى نمتم في كفالتاها آمنين وفي حياطتها وادعين مطمئنين وأنفذنا إليكم هذا الخطاب الكريم لتعلموا ما وقاكم الله بسيوفنا التي أقرتكم في هدو وسكون في جنات وعيون وتقابلوا ما رأيناه من النظر الكريم بالإسعاف والإسعاد جريا على مقتضى إشارتنا العلية في الصلاح البلاد والعباد وان لا تسعوا فيما يبطل هذه الفريضة العائدة بالنفع على الإسلام وتؤيد حزب الله على مواصلة قتال عبدة الأصنام .

ثم اعلم أن أخاكم الذي قد نزل بنا واستجار بحرمنا الكريم النبوي ، وأمَ إلى هذا الجناب العلي العلوي قد وصل إلى حضرتنا المراكشية وأناخ منها على أبوابنا الشريفة وعتباتنا السامية المنيفة وكتب لمقامنا العلي من هنالك لأول وصوله ومناخه ونزوله ، وها كتابه يصلكم طي هذا المكتوب الكريم لتتأمله وتقف على ما قصده من جنابنا العلي وأمله .

وها نحن أمهلناه في الجواب و عاملناه بما نعامل به كل من يرد على مقامنا العلي من القبول والبر والترحاب حتى نرى إن شاء الله ما يبدو منكم ، ويصل في أمره عنكم وجب الكُتُبُ إليكم والله يرشدكم بمنه والسلام».

الملحق رقم : 03

رسالة المنصور إلى القاضي عمر بن محمود بن عمر[705]

« بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله ثم كانت العلامة الكريمة المباركة المذهبة المنيرة المشرقة التي خطت فيها يمين الإمام وبنان سبط النبي عليه السلام اسمه الشريف المبارك الكريم بتدبيج يبهر العيون حسنا ورواء وفخامة ويسع منفسح البياض المعد لذلك ما بين البسملة ومبدأ الخطاب الكريم وهو من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله أوامره وظفر عساكره إلى القاضي عمر ابن محمود ابن عمر من أسعدكم الله بتقواه وطاعته وعرفكم بركة الانطواء إلى حزب الهدى وجماعته سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمدا للذي جعل حركة أحمد كلما انتصب حركة فتح و أمره إذا جزم أمر إقبال وعلمه على الغلبة على سائر الأعلام معرفا عند العرب والعجم فلذلك تتلى عند رفعه سورة الفتح قبل القتال والصلاة والسلام على نبيه الذي أرسله بالحق بشيرا ونذيرا إلى الأبيض والأسود وإبتعثه أحمد الفاتح الخاتم فكان بالرعب منصورا على الأقرب والأبعد والرضى عن آله فروع النبوة و الرسالة وينابيع السماحة والبسالة أهل البيت والمشعر وكفلاء الأبيض والأسود والأحمر والأئمة الذين إن مكنوا في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر وعن أصحابه الفائزين بسعادة المورد والصدر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلي الإمامي الأحمدي المنصوري الحسني الفاطمي بنصر لا تزال عزائمه مرهوبة وغنائمه مجلوبة ومجنوبة فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية دار الإسلام ومقر كرسي الإمام مراكش حاطها الله وبركة هذه الدعوة

[705] الفشتالي:المصدر السابق ،ص:131 وما بعدها.

النبوية الشريفة التي عمت الربى والوهاد وطبقت أنوارها الصادقة الأغوار والأنجاد تنسكب كالمطر وتنسحب على البشر وتقضى بعادة النصر والظفر وسعادة الورد والصدر بحول الله وقوته والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته وان توقنوا أن هذا الأمر العزيز منصور اللواء مديد بجنود الأرض والسماء موعود إن شاء الله بالظهور والاستيلاء وانه المصيب المنصور المفتوح له لا يناوئه مناوئ أو يعانده معاند إلا قصمه الله وخذله فهذا أمر الله الذي وعد بالظهور ظهيره ولم يخف الخذلان نصيره فلا يغلب حزبه ولا يستطاع حربه ومن يتوكل على الله فهو حسبه والدعوة التي قضى لمن اعتصم بحبلها ولجأ إلى ضل ظليلها بالأثرة الدائمة والسعادة الأبدية ولمن تنكب على حزبه وانتصب لحربها بالأسنة السمهرية والقوا ضب المشرقية بحول الله وقوته وعزته وقدرته ، هذا وانه وفقكم الله وسدد وأعانكم على إتباع كلمة الحق وأنجدكم فمما لا يخفى على كل مؤمن ومسلم موقن أن هذا الأمر الذي نيطت بجيدنا الكريم قلادته وكان لأولنا بداؤه و لأخرنا إعادته وهو أمر بغير عروتنا الوثقى لا يناط وعقد بغير سلكن المنتظم لا يتم له اتساق وارتباط إذ نحن بأعباءه دون غيرنا مضطلعون والناس فيه تبع المتبعون وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الأئمة من قريش وقال عليه السلام لا يزال هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه وقال عليه السلام الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم وبهذه الآثار الشريفة وضروبها ظهر على الحق حتى درج سلفنا وعليه حتى تقوم الساعة بحول الله يمضى خلفنا ونحن مذ ولانا الله هذه الأمانة العظمى التي قلدنا بها إمامة الجماعة واوجب لنا بها سبحانه السمع والطاعة وصرف لايالتنا الشريفة بها وراثة الأرض ون عليها حتى تقوم الساعة لم نغمد سيف الحق ولا أرحنا يوما في مرابطها جيادنا المبارية للبرق وعساكرنا الهاشمية التي إذا أرعدت نيرانها ذكرت برجة الصعق نفتح البلاد المقفلة أرضا أرضا ونقيم من أعمال الجهاد ومصالح العباد نفلا وفرضا حتى انفتح في الجنوب إلى من يليكم وأقيمت دعوتنا الكريمة في الأقطار التي تصافيكم وعلمنا أن التكول لا يسع مع القدرة وأن الله لا يقبل منا في إهمال ما استرعانا من أمور العباد والبلاد سوى معذرة فتعين حينئذ اصطحاب العمل وتخطى المرعى من البلاد إلى العمل حتى ينجز الله وعده الكريم في استيلاء على الأقرب والأبعد وملاك الأحمر والأسود ونأتي بفتح الأرضين إن شاء الله على

الوجه الأكمل ولما كنتم بتلك المملكة معيد بابها ومدبر أحكامها الشرعية ومدير أسبابها وأنكم بالآثار الشريفة التي سردنا والأحاديث النبوية التي أوردنا وبحقوق هذه الإمامة النبوية التي تجب طاعتها قطعا وتحرم مخالفتها شرعا اعرف من سواكم واعلم بالتي هي أحسن لكم في دينكم ودنياكم خاطبناكم بهذه الرسالة الشريفة لتكونوا أول من لبى داعيها وأجاب مناديها وأن ترفعوا بها عقيرتكم في تلكم الأقطار وتوضحوا لناس هذه الحجج الساطعة الأنوار حتى يعلموا منها ما اوجب الله عليهم من طاعة هذه الامامة النبوية الشريفة التي لا يقبل الله إلا بطاعتها الأعمال ولا يتم لمسلم نفل ولا فرض إلا بأداء ما افترض الله على الخلق من الانقياد الذي تكمل به الفرائض وتتم الأنفال وتشعروهم أنه من كان بهذه المراشد مقتديا ولنداء هذه الدعوة الشريفة ملبيا ولأوامرها العلية المطاعة مقتفيا وتمسك بعصم طاعة من اوجب الله على الخلق الاستمساك بشريف طاعته والإئتمام بواجب إمامته فأزاحت قداحه وتضاعفت من أقسام السعادة متاجره وأرباحه فان ذلك عند ذوي الإيمان أوثق العرى والذخر النافع الذي يجده كل موفق سعيد يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وان تقف إن شاء الله لندب الناس إلى أداء ما افترض الله عليهم من طاعتنا على قدم وتعقد مالكم في ذلك عند الله وعند خليفته الإمام من عظيم الأجر وجزيل المغنم وتستشعروا ما قال عليه السلام " لئن يهدي الله بك رجلا خير من أن يكون لك بها حمر النعم " واعتقدوا مع ذلك أن كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة برايتها البيض على تلكم الأقطار السودانية إن شاء الله طلوع الفجر وكتائبنا المتلاطمة تلاطم أمواج البحر فقد أمناه ومن أجرتموه فقد أجرناه إظهارا لمزيتكم وإشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة وإيذانا بجليل منصبكم عندنا وسمو رتبتكم والله تعالى يصل توفيقكم ويجعل الخير رفيقكم وحزب الهدى قرينكم والسلام وكتب في شوال عام ثمانية وتسعين وتسعمائة »

الملحق رقم : 04

رسالة المنصور إلى الجماعات والأقطار ليبشرهم بفتح السودان[706]

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره وظفر عساكره إلى الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان من بلاد كذا أسمعكم الله من البشائر ما يملأ صدوركم ارتياحا ويغمر قلوبكم انشراحا و يوسع إرجاءكم وأكنافكم في ظل الآمنة انبساطا وانفساحا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمدا لله الذي شرف ملة الإسلام على الملل والدول القرشية على سائر الدول وخصوصا الدول الحسنية التي جعل الله بيض سيوفها الفاطمية قاهرة لأعدائها الصفرية وعبيدها السودانية وصدع بأنوار خلافتها النبوية دجنة سوداء طالما نعق غرابها منذ حام ووصل بدعوتها الشريفة بين سام وحام والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي خفقت أعلام هدايته على الرُبا والآكام وكآثر بآياته الباهرة كتهور السحاب ومثغنجر الغمام و الرضى عن أله خير آل سادات الأقيال آساد الأغيال خلفاء الإسلام وورث بالعدل وشرف الخلال وأيمة الخلق الذين ذيلوا معالم النصر بالإكمال وفتحوا الأقطار على التوال وعن أصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده بالسيوف و النصال وواصلوا في إعزاز ملته ونصرة دينه البكر والآصال ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلى الآماد النبوي المنصور الأحمدي بنصر يكفل الإسلام وعز يخلع جماله على الأيام واتصال البشائر تستخدم في نشرها المحابر والأقلام فأنا كتبناه إليكم كتب الله لكم من البشائر أسرارها إلى النفوس امتزاجا وهداها إلى الأرواح مسرة وابتهاجا واقطعها في الأفاق سبلا فجاجا وأرقاها إلى السبع الطباق سموا ومعراجا من حضرتنا العلية مراكش حاطها الله وبركة هذه الإمامة الكريمة تتمد الأقطار من مقاسها وتروى رواية الإفادة والإبادة من ضحكاها وعباسها والفتوحات الربانية تحتفل الملائكة لولائها وأعراسها فله الحمد على النعمة التي لا

---

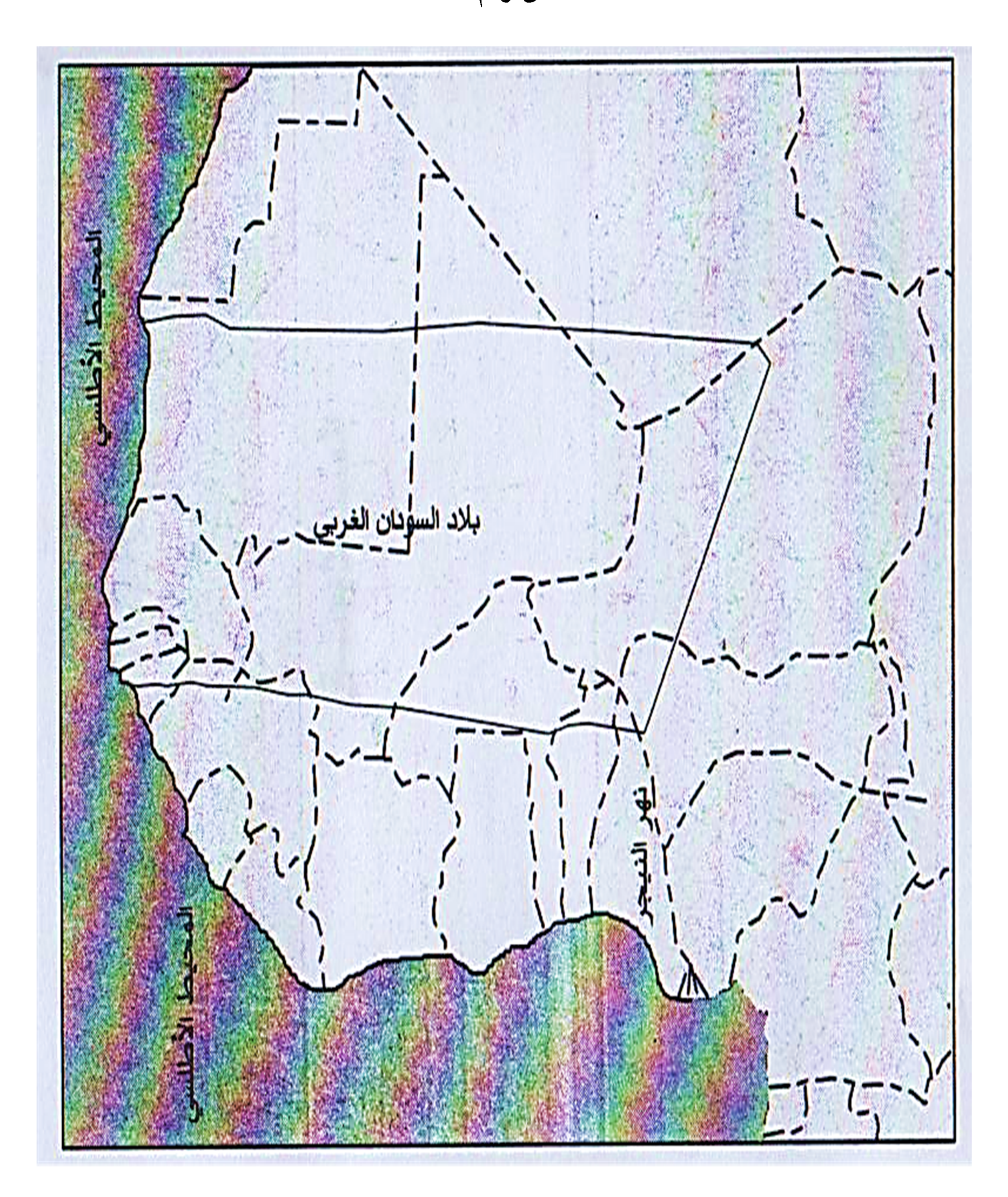
[706] الفشتالي : **المصدر السابق** ،ص ص:143، 146.

يحيط الوصف بأنواعها وأجناسها وعنايتها التي تضرب بعصاها الصخرة الصماء ممن عصاها فتبادر بانفلاقها وانبجاسها لله المنة هذا وقد علمتم فسح الله أملكم وواصل أسباب الخيرات قبلكم ما كان من تجهيز عساكرنا المظفرة بالله إلى بلاد السودان لافتتاح القاصي من ممالكها بحول الله والدان وما كان من عظيم احتفالنا لذلك بما لم يعهد مثله ولا سلف لأولى الحزم من الملوك بعضه فكيف كله من انتقاء العساكر و الأجناد وأسود الحرب الذين دربوا على الطعن والجلاد ومعانقة السيوف و الصعاد من كل أبناء حرب شرف في أنساب الوقائع جدهم ويرد الجموع الصحيحة إلى التكسير مزدهم ومدادهم بما لا يحصى عدا وكثرة وبما لا مزيد فوقه بسطا وقدرة من الظهر وصواعق الحرب التي تفرق لها صروف الدهر وغير ذلك من كل ما يقتضيه الحزم ويبعث عليه العزم ولما تكامل بحمد الله هذا الاحتفال والاستعداد وأخذت أهبتها العساكر والأجناد واقلعوا في لألوية وساروا على التعبئة ونصر الله تعالى يظلللهم غمامة وتتراءى لهم ثنية الإقبال أعلامه وتخفق عن يمينهم وشمالهم راياته وتبدو لهم في كل حرة وسكون آياته هذا وما كان يخفاكم ما سلف هنا بالمغرب من الدول العظام وممالك الإسلام ومع هذا فما كان أحد منم ليروم فتح هذه البلاد بسيف أو تطاول هممهم إلى إغزائها ببعث ولا زحف أو يسموا أنفسهم بالمقدرة عليها وعلى الصمود بجنودهم إليها والحالة أنهم أضخم ملكا وأعمال و أفسح خطة ومجالا وأوفر نفعا وأوسع أحوالا مما كان يشقهم وينفقون فيه أنفسهم وأموالهم ويستغرقون معانته طول أيامهم بكرهم وآصالهم وما ذاك إلا بعجزهم عن مقاومتها وعلمهم من أنفسهم عدم القدرة على مصادمتها وإنها عند جميعهم غيل لا يزحم وعريس لا تقحم وحسناء أبية لانتقاد العنقاء تكبران تصادلان البلاد كما علمتم قد توغلت في الجنوب إلى ابعد الأقاليم من المعمور واعترضت دونها من القفر وسرابه المتموج بحور وصحاري تظل القطافي مهامها الفسيح وتكل في جوب عرضها بل بعضها سوافي الريح كم اغتالت من أمم غولا و ترد من حر الأوام وعولها وكم أفنت من خلق جيلا فجيل وألقت على الرحال وأهلها كثيبا مهيلا تغلي من رمضاءها الرؤوس وتذوب من حميمها النفوس وتنزل شمسها على الهام حتى تكاد تلمس باليد ويشتبه على الخريت فيها اليوم الغد لا ماء ولا شجر ولا ورد ولا صدر إلا شرابا يعشى العيون ويقرب المنون وأجاج يغلي في البطون كغلي الحميم وهو اجر يصلى الناس من حرها الجحيم حتى ظن

بدلك أهل السودان أن سربهم من أجل البعد و المفاوز المعترضة دونه لا يراع وليلهم الديجوجي لا يرجى لفجره انصداع وحماهم من هذه المشاق لا يطرق ولا يحام وبلادهم حتى بالوهم لا ترام فاستخرنا الله الذي لا يخيب من توكل عليه ولجأ في عظائم الأمور إليه واحتفلنا لذلك بما يليق من الأهبة والاستعداد وبنينا الأمر بالثقة بالله على أوثق عماد فجهزنا جنود الله تلقائهم في عساكر تحمل الأسل والنار واسود تأنف الدنية والعار فخاضوا إليهم بحار الآل و صابروا في قطع الشقة البعيدة عظائم الأهوال ولما شارفوا البلاد وهم على ما كانوا عليه بحمد الله من شدة الحزام وسل الحسام لم تضعف لهم والحمد لله شدة ولا نقص منهم ما كابدوه من المشاق عددا ولا عدة زحف الشقي بكافة جموع السودان وحشودها وطلعوا في الجو حنادس واقبلوا إقبال الليل الدامس فالتقى الجمعان على ثلاث مراحل من كاغوا فأحدق منهم بعساكرنا المؤيدة بالله سواد لا يحصيه إلا محصي الخطرات والأنفاس ومن أحاط علمه بالأنواع والأجناس فدارت رحى الحرب ووقفت على ساق وأرعدت رعود نارنا فرجت من صعقتها الأفاق فثبت الأشقياء لزلزالها ثبات الجبال الراسية وأقدموا من الشدة والصبر على الموت أقدام الأسود الضارية التي لا تثنيهم صوارم ولا أسل ولا يعرفون ما الخوف ولا الوجل يتهافتون على النار من كل جانب تهافت الفراش على الذبال ويتسابقون للسيوف والصياد تسابق الجيد في المجال مع كثرتهم التي ذكرت بالحشر الثاني حشرها الأول ومغالبتهم كانت لذلك من قبيل المحال لولا الثقة باله سبحانه وتعالى وعونه الذي كان عليه المعول فلم يكن إلا أن هبت ريح النصر والظفر وجاء نصر الله الذي هو لرايتنا حليف في الورد والصدر فانكشف الشقي وجموعه وولوا الأدبار وركبتهم الأسنة والشفار وفضتهم جنود الله فضا يهز الجبال زلزاله وتصيب النواصي أهواله واستمر القتل في الأشقياء وتركتهم سيوفنا الهاشمية حصيدا بالعراء ونفل الله عساكرنا ذلك السواد وكمل الفتح بحمد الله بالاستيلاء على البلاد وانتظام ممالكها في سلك الطاعة والانقياد والعاقبة للمتقين والحمد لله حمد الشاكرين ولما استولى القدم بعساكرنا وفرها الله في البلاد وأصبحوا في دنيا لا تفي العبارة لا بكنه ولا تعارض بشبه ولا نظير لها في الارضين بوجه ما شئت من ممالك متعددة الأقطار متنوعة الأوطان و الأوطار جمة المرافق والفوائد ومألف الوافد والرائد لا تحد بغاية ولا تردك لها نهاية محشر الأمم وبستان العالم ومدرج الذر من بني أدم وملك ضخم لا تصل إليه الهمم

لولا عنايته التي لا تقاوم وناهيك بمماليك يخترقها نهر النيل نهر الجنة ومدفع مياه الرحمة تسقيهم النهل والعلل بحجة ويجبى إليهم الثمرات والخيرات بثجة إلى أواق تزخر بالنعم واتصال عمران كالعقد المنظم وبالجملة فهي غريبة لا تثبت إلا في الحلم وموهبة لا يفي بشكرها لسان ولا يحيط بوصفها قلم وما عسى أن تبلغ العبرة فالأمر أضخم والحال اجل و أعظم ولقد اجتمعت بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الإسلام وارتقى الأمر بحول الله إلى الكمال الذي دل منه حسن الابتداء على حسن الاختتام ولم يبقى بحول الله إلا صرف العزائم إلى جهاد العدو الكافر وأن تدور عليه من سطى الإسلام بحول الله الدوائر حتى نغزوه بجنود الله في عقر داره ومحل قراره ويعلوا حزب الله على حزب الشيطان وأنصاره بعز الله وتأييده ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى والمسرة الكبرى بادرنا تعريفكم بصنع الله فيه الهنى الغريب وأعلامكم بحديثه الحسن الغريب لتقدروا صنع الله فيه حق قدره وتقبلوا بحمده سبحانه على هذا المن الجسيم وشكره فانه فتح لم تلد مثله الأيام ولا عوهد فيما سلف من دول الإسلام ولا علم نظيره فيما تقادم من الأعصار ومضى من الأعمار بما جمع من هذه المالك العظيمة التي لم يشتمل عليها ملك ولا نظمها سلك وان خبيئته في طي العصور السالفة إلى هذه المدة الكريمة والدولة الجليلة العظيمة لدليل على عناية الله بشأنها بما ظهر على يدها من خوارق العادة وجمع على عهدها الكريم من هذه الممالك المنتظمة في سلك الانقياد انتظام القلادة فاشكروا الله تعال على هذه المفاخر التي ادخرها لعصركم وأظهر بها أية أنجادكم على الأعادي ونصركم واغتبطوا بما خولكم الله من هده البشرى والمسرة الكبرى أتم اغتباط وتأخذوا بحظكم فيها من السرور والانبساط واتخذوا يومها الغر المحجل عيدا ومهرجانا وأقيموا لها سوقا من البسط نافقة سرا وإعلانا واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم فهو بكل خير شامل إن شاء الله كفيل وعلى ما وراءه بحول الله من الفتوح المتوالية عنوان ودليل وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر للنعم قيد وعقال وعصمة بحول الله تؤمن من الزوال والله يكلؤا جميعكم فلا رب غيره ولا خير إلا خيره والسلام في ليلة الجمعة سابع شعبان المكرم عام تسعة وتسعين وتسعمائة».

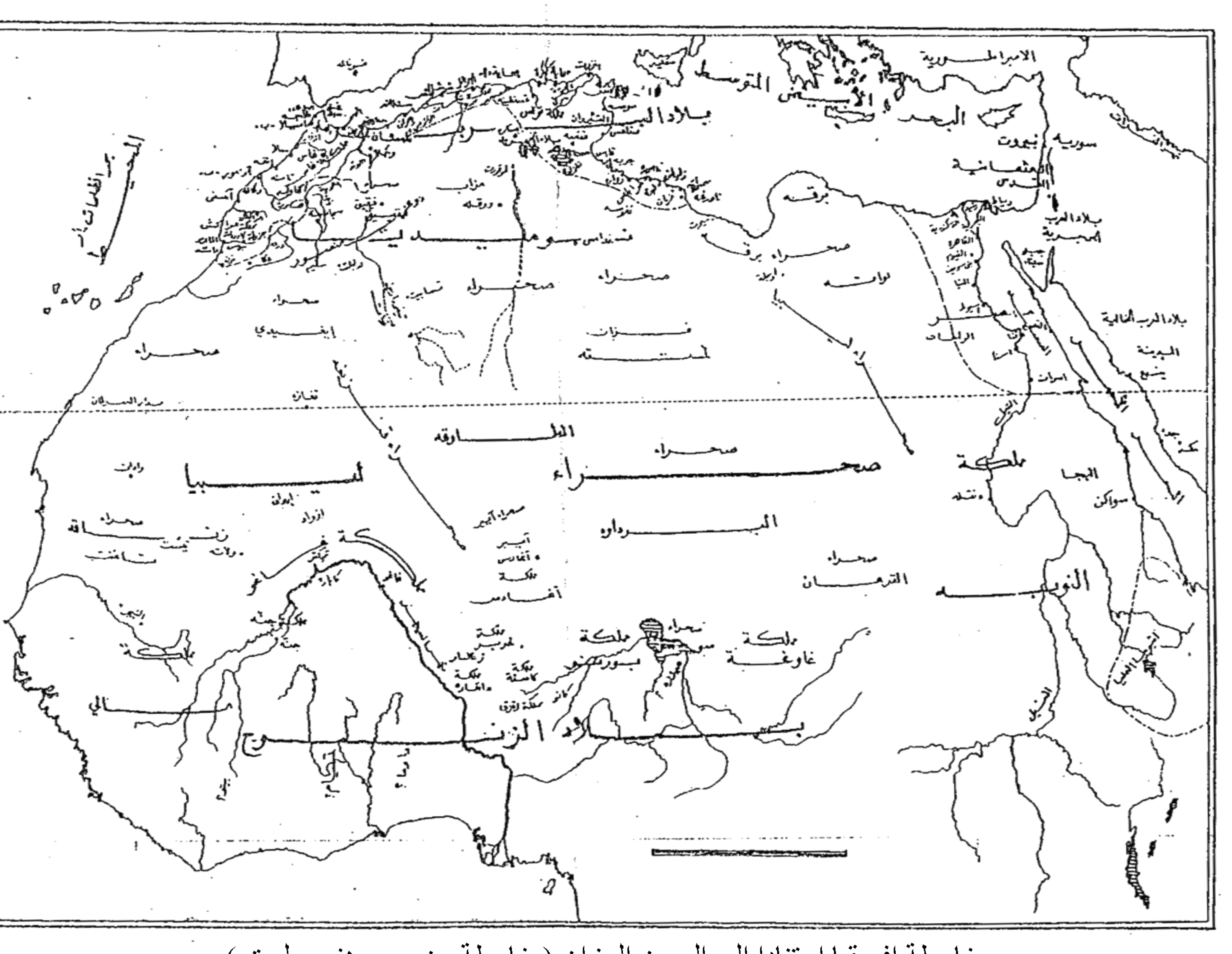
الملحق رقم : 05



خريطة توضح الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي

سعد مطير غيث أحمد: **المرجع السابق**، ص: 462.

الملحق رقم : 06

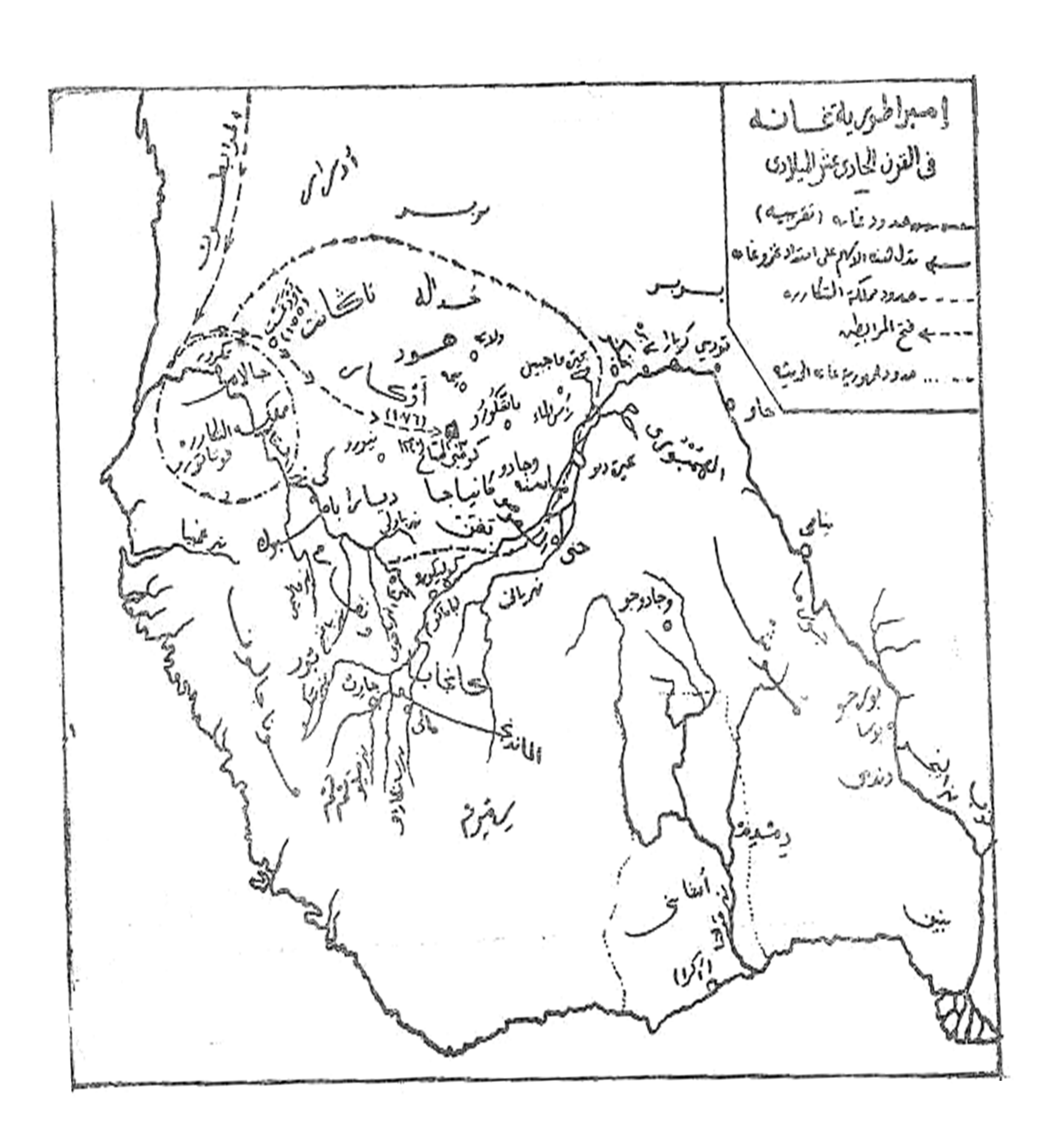


خارطة إفريقيا استنادا إلى الحسن الوزان (خارطة من رسم هنري لوت)

موقع الممالك التي زارها الحسن الوزان

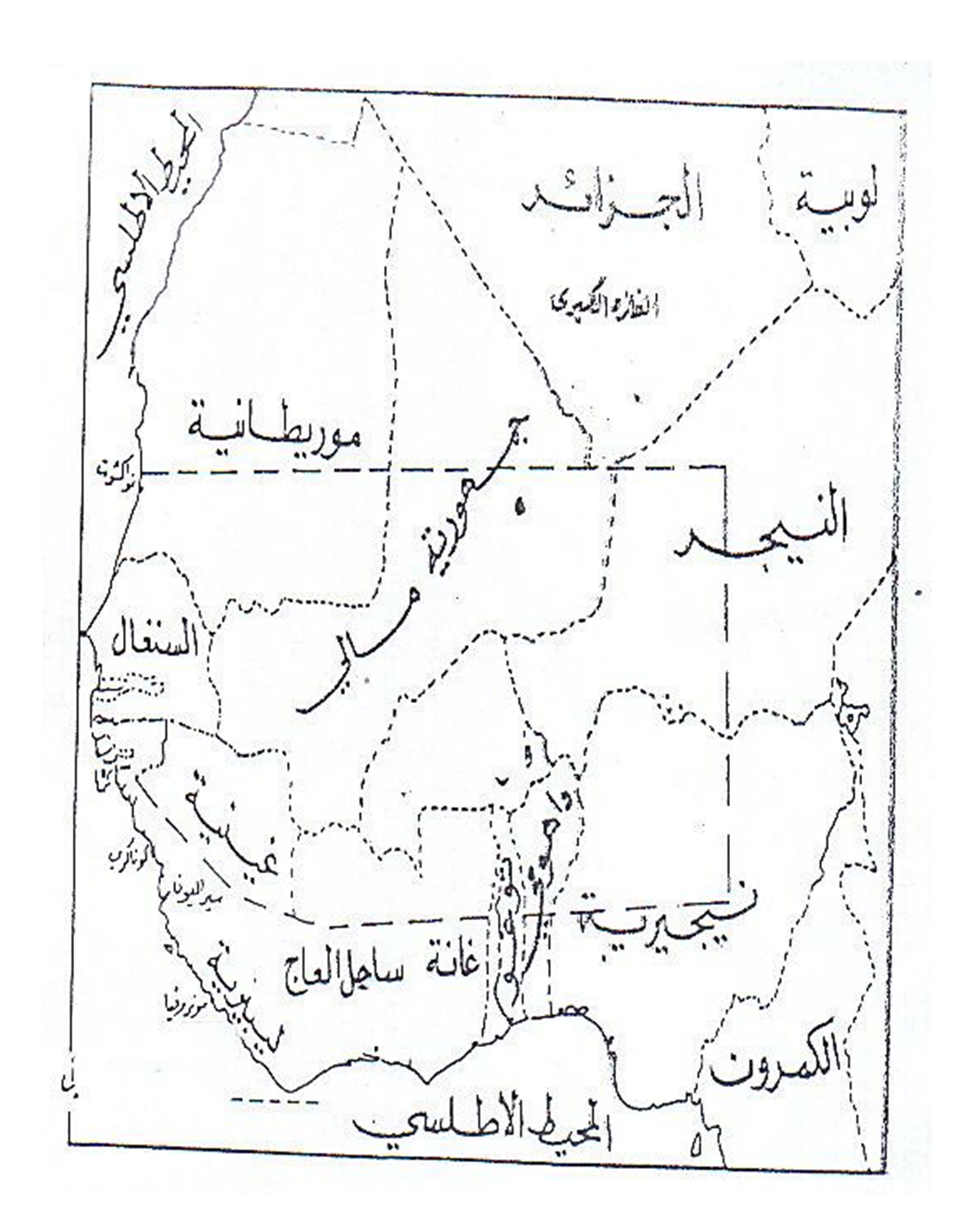
الحسن الوزان : **المصدر سابق** ، ج: 2 ، ص : 247 .

الملحق رقم : 07



إبراهيم طرخان :**المرجع السابق** ، ص : 46

الملحق رقم : **08**



الخطوط التقريبية لمملكة مالي في القرن الرابع عشر

الهادي مبروك الدالي : **العلاقات بين مملكة مالي ... ، مرجع سابق** ، ص 196

الملحق رقم : 09



عبد القادر زبادية:**مملكة سنغاي... ،مرجع سابق**،ص: 93

الملحق رقم : 10



التوسعات التي قام بها ملوك سنغي في عهد الأسكيين

R.M auny:**op.cit** , p : 513

الملحق رقم : **11**



طريق سير حملة المنصور إلى السودان الغربي

De castrie (H) : **op.cit**, p :447.

البيبليوغرافيا

المصادر و المراجع:

باللغة العربية:

أ– الوثائق:

1- رسائل سعدية (عبد الله كنون)، تطوان، 1954م.

ب– المصادر:

2- ابن أبي زرع (أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس**، مجلد بالمكتبة الوطنية الجزائر، د.ت .ن.

3- الإدريسي (أبو عبد الله الشريف): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مجلدات، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.ن.

4- الإصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي): **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، مصر، 1961م.

5- أكنسوس محمد بن أحمد: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي**، 3 أجزاء، مجلد بالمكتبة الوطنية، الجزائر، د.ت.ن، ج:1.

6- البرتلي (أبي عبد الله الطالب محمد بن ابي بكر الصديق) : **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق: محمد حجي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

7- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم): **تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار (المعروفة بالرحلة)**، دار الكتاب البناني، دار الكتاب المصري.

8- البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد): **المسالك والممالك**، جزءان، تحقيق: أدريان كيوفن، و أندري فيري، الدار العربية، تونس، 1992م.

9- التنبكتي (أحمد بابا) : **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ضبط النص وعلق عليه :أبو يحي عبد الله الكندي، ط:1، دار حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 2002م.

10- التنبكتي (أحمد بابا): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، جزءان، تحقيق: علي عمر، ط:1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004 م.

11- التونسي (محمد بن عمر): **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، تحقيق: خليل عسكري، وآخرون، المؤسسة الوطنية المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1965م.

12- الحموي (أبو عبد الله ياقوت): **معجم البلدان**، 5 أجزاء، بيروت، 1977 م، ج:4.

13- ابن خلدون(ابن عبد الرحمان): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، 8 أجزاء، دار الفكر، بيروت، 2000م.

14- الزياني (أبو القاسم): **الترجمانة الكبرى**، مطبقة فضالة، المحمدية، د.ت.ن.

15- السعدي (عبد الرحمان): **تاريخ السودان**، طبعة هوداس، أنجي، فرنسا، 1964م.

16- الشفشاوني (محمد بن عسكر الحسني): **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، ط:2 ، الرباط ،1977م.

17- العمري (ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحي): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 27 جزء، أصدر فوائد سزكين، وآخرون، شراوس، هيشرج ألمانية الاتحادية، 1989م.

18- الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز): **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق:عبد الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1972م.

19- القادري (محمد بن الطيب): **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، ط:1، دار الأفاق الجديدة بيروت، 1983م.

20- ابن القاضي (أبي العباس بن محمد المكناسي): **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، جزءان، تحقيق: محمد زروق، مكتبة المعارف 1986م.

21- ن القاضي (أبي العباس بن محمد المكناسي): **درة الحجال في أسماء الرجال**، 3 أجزاء، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت.ن، ج:3.

22- القلقشندي (أبو العباس أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة والنشر، القاهرة، 1983 م.

23- كربخال (مرمول): **إفريقيا**، 3 أجزاء، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الرباط، 1988م .

24- كعت (محمود بن الحاج المتوكل): **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، نشر هوداس، باريس، 1964 م.

25- مجهول: **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التكمادرتية**، نشر: جورج كولان، الرباط، 1934 م.

26- مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط: 1، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

27- ابن مريم (أبي عبد الله بن محمد): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت. ن.

28- المغيلي (محمد بن عبد الكريم): **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

29- المقري (أحمد بن محمد التلمساني): **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، المطبعة الملكية، الرباط ، 1964 م .

30- لمقري (أحمد بن محمد التلمساني): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

31- ابن الوردي (زين العابدين بن عمر): **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، ط:1، بيروت 1970م.

32- الوزان (الحسن المعروف بليون الإفريقي): **وصف إفريقيا**، جزاءان، تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

33- الوفراني (محمد الصغير): **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق: هوداس، أنجي، 1888م.

ج- المراجع :

34- ابن سوده (عبد السلام بن عبد القادر): **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، جزءان، ط:2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960 م.

35- أرنولد (توماس) : **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة : حسن محمود حسن، وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، 1970م.

36- الأرواني (مولاي أحمد بابير) : **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تحقيق: الهادي مبروك الدالي، ط:1، ليبيا، 2001 م.

37- الألوري (أدم عبد الله): **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، 1965م.

38- بروفنصال (ليفي): **مؤرخو الشرفاء**، تعريب: عبد القادر الخالدي، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.

39- بن خروف (عمار): **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ / 16 م**، ج:1، دار الأمل، الجزائر، 2006 م.

40- بوعزيز (يحي): **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 م الي القرن 20م**، دار هومة، الجزائر، 2001م.

41- التازي (عبد الهادي): **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم**، 10 مجلدات، المغرب، 1988 م .

42- جمال (قاسم): **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، 1996م.

43- جوزيف (جوان): **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات افريقيا السوداء**، ترجمة : مختار السويفي ، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984م.

44- جوليان (شارل أندري): **تاريخ إفريقيا الشمالية**، جزاءان، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ج: 2.

45- الجيلالي (عبد الرحمان) : **تاريخ الجزائر العام** ، 4 أجزاء ، ط : 7 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م .

46- حركات (إبراهيم): **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1987 م .

47- حسن إبراهيم حسن: **انتشار الإسلام والعروبة فيما وراء الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربيها**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية ، 1957م

48- دافدسن (بازل): **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة : جمال أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .

49- الدالي (الهادي مبروك): **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط: 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.

50- الدالي (الهادي مبروك): **العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية، واهم المراكز بالشمال الإفريقي في:7 – 9 هـ / 13 – 15م**، ط: 1، دار المحيط العربي، بيروت.

51- دندش (عصمت عبد اللطيف): **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038 – 1121م)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

52- دنيس (بوليم): **الحضارات الإفريقية**، ترجمة: علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974م.

53- زبادية (عبد القادر): **الحضارة العربية والتأثير الأوربي – دراسات ونصوص –** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

54- **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 – 1591** م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت .ن.

55- الزركلي (خير الدين): **الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، والمستشرفين –**، دار العلم للملايين، بيروت، 1996م، مج:1.

56- زكي (عبد الرحمان): **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1964 م.

57- شعيرة محمد عبد الهادي :**المرابطون تاريخهم السياسي (430–439هـ)**،ط:1، دار الإتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1969م.

58- شوقي (أبو خليل): **معركة وادي المخازن**، ط: 1، دار الفكر، بيروت، 1988م.

59- العربي (إسماعيل): **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر، 1982م.

60- علي محمد فاضل، كريرية سعيد إبراهيم: **المسلمون في غرب إفريقيا** – تاريخ وحضارة- ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

61- الغربي (محمد): **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، دار الرشيد، بغداد، 1982م.

62- غيث (مطير سعد): **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة / السادس عشر والسابع عشر للميلاد – دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي –** ، ط : 1، دار المدار الإسلامي، طرابلس، 2005م.

63- كام (جوزيف): **المستكشفون في إفريقيا**، ترجمة: يوسف نصر، و آخرون، دار المعارف، 1983م.

64- كريم (عبد الكريم): **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط: 2، الرباط، المغرب، 1977م.

65- كنون (عبد الله): **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.ن.

66- قداح (نعيم): **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، ط: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

67- قداح (نعيم): **حضارة الإسلام، وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، ط: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت.ن.

68- محمود (حسن أحمد) : **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م.

69- المراكشي (العباسي بن إبراهيم): **الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام**، 10 أجزاء، المطبعة الملكية، الرباط، 1974م، ج:2.

70- المنوني (محمد): **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، جزءان، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1983م.

71- الناصرى (أبو العباس أحمد بن خالد): **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، 9أجزاء، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، 1955 م، ج: 5.

72- نبيلة (حسن محمد): **في تاريخ إفريقية الإسلامية – انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري**، دار المعرفة الجامعية، 2007م.

د– المقالات، الندوات:

73- بن خروف (عمار): << **مقاومة الجنوب الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10 هـ / 16 م** >>، في مجلة حولية المؤرخ، ع: 2، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، 2002 م.

74- بدواية (مبخوت): << **أعلام السودان الغربي بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين** >>، في مجلة حولية المؤرخ، ع:6، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005م.

-75 حساني (مختار): << **دارسة على نازلة تحرير العبيد** >>، في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 9، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2008 م.

-76 حسن (إبراهيم حسن): << **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية** >>، في المجلة التاريخية المصرية، مج:14، القاهرة، 1968م.

-77 دهينة (عطاء الله) : << **العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن 6 إلى القرن 8 هـ ودور تلمسان في هذا الميدان** >>، في مجلة الأصالة، ع: 26، الجزائر، جويلية – أوت، 1975 م.

-78 زبادية (عبد القادر): << **التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض أثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان** >>، في مجلة الأصالة ، ع: 26، الجزائر، 1975م.

-79 زبادية (عبد القادر): << **ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر** >>، في المجلة التاريخية المغربية، ع : 7، 8، تونس، 1977 م .

-80 طرخان (إبراهيم): << **غانة في العصور الوسطى** >>، في مجلة التاريخية المصرية ، مج 13، القاهرة، 1967 م .

-81 القاسمي (علي): << **العلاقات بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء ، كيف نفسر أحداث التاريخ ؟** >>، ندوة حول: المغرب وافريقية جنوبي الصحراء في بداية العصر الحديث، السعديون والسنغاي، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، مراكش، 23 إلى 25 أكتوبر.

-82 كريم (عبد الكريم): << **مناهل الصفا في أخبار موالينا الشرفا** >>، في المجلة التاريخية المصرية مج: 15، المطبعة العالمية، القاهرة، 1969م.

-83 مزين محمد: << **المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16 و 17 ميلاديين** >>، في مجلة المؤرخ العربي ، ع: 31، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1987م.

-84 هلال (عمار): << **العلماء الجزائريون في فاس بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين (4 / 14 هـ)** >>، في مجلة الدراسات الإفريقية ، ع: 9، إصدار معهد التاريخ، 1995م.

هـ- الرسائل الجامعية:

85- بتقه إبراهيم: **مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920م)**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، قسم التاريخ، الجزائر، 2009/2010م.

86- شعباني (نور الدين): **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين (4 و 10 هـ / 10 و 15 م)**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005 / 2006 م.

و- الموسوعات:

87- حجي محمد: **موسوعة أعلام المغرب**، 9 أجزاء، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

88- سيسوكو (سيكيني مودي): السنغاي بين القرن 12 و 16م، **تاريخ إفريقيا العام**، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، البنان، 1988م.

89- شلبي (أحمد): **موسوعة التاريخ الإسلامي**، 8 أجزاء، مكتبة النهضة، القاهرة، 1990م، ج: 6.

90- **دائرة المعارف الإسلامية**، 14 مجلد، ترجمة: محمد ثابت الفندي، أحمد الشناوي، وآخرون:

- **مادة أودغست**، مجلد: 13.
- **مادة سنغاي**، مجلد : 12 .
- **مادة السودان**، مجلد: 12.

باللغات الأجنبية:

أ - المراجع:

91- Beraud (J.Villars): **l'empire de Gao un état soudanais aux XV^{e} et XVI^{e} siècles, paris, 1942**.

92- cissoko (sékéné Mody) : **Documents d'histoire de l'ouest Africain pour l'enseignement secondaire- le Moyen âge VII^{e}- XVI^{e} siècle-** ,Présence Africaine ,paris,1965.

93- Cornevin (R et M): **Histoire de l'Afrique des origines a la deuxième guerre Mondiale**, **4eme** editions: petite bibliothèque payot, Paris, 1964

94- Davidson (B): **les Africains avant les blans**, traduit par: Pierre vivaud, Paris, 1962.

95- Delafosse (M): **haut –Sénégal– Niger**, 3 t, Maisonneuve et la Rose, paris, 1912

96- Delafosse(M): **les noirs de l'Afrique**, pais, 1922.

97- Deshamps(Hubert) : **l'Afrique Noire précoloniale**, presse universitaires de France ,paris ,1962.

98- Dubois (Félix) : **Tombouctou la mystérieuse**, paris, 1897.

99- Fage (J): **A history of Africa**, frist published, Hutchinson, and com, London, 1978.

100- Issifou (Zakari Dramani): **l'Afrique noir dans les relations Internationales au 16e siècle analyse de la crise entre le Maroc et Songhaï –**, Paris, 1982.

101- Mauny (Raymond): **Tableau Géographique de L'ouest Africain au Moyen âge**, IFAN, Dakar, 1961.

102- Trimingham (J. Spencer) : **A History of Islam in west Africa**, oxford, London, 1963

103- Park (Mungo): **Voyage dans l'intérieur de l'Afrique**, **trad**: Adrian Adams, François, Maspero, paris ,1980.

104- Zouber (A. M) : **Ahmed baba de Tombouctou 1556-1627 Sa vie et son œuvré**, maison neuve et la rose

ب- المقالات:

105- De Castrie (H) :**<< la Conquête du sudun par El Mansour 1591>>**, in Hespririse T: 03, 1923.

106- EL kattani (Mohamad Ibrahim):**<<les manuscrite de l'occident africain dans les bibliothèques du Maroc>>**,IN Revue Hespéris, vol IX,1968.

107- Sabeur (chérif Khaled):**<<Dynamique desaxes caravaniers au XVe et XVIe >>**in annal of the historien, vol VI, Algérien, juillet 2005.

فهرس الموضوعات

الإهداء

كلمة شكر

قائمة المختصرات